إعتاب الكتاب

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي

المعروف بابن الأبار

المتوفى سنة ٦٥٨ هـ

إعتاب الكتاب

لابن الأبار

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

إعتاب الكتاب

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي
المعروف بابن الأبار
المتوفى سنة ٦٥٨ هـ

حققه وعلق عليه وقدم له
الدكتور صالح الأشتر
أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق

طبعة أولى عورضت بثلاث نسخ مخطوطة

١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

١ ـــ ابن الأبّار : عصره وحياته

٢ ـــ آثار المؤلف المطبوعة والمخطوطة

٢ ـــ إعتاب الكتّاب : وصفه وتحليله

٤ ـــ النسخ المخطوطة وعملنا في التحقيق

— ١ —

ابن الأبّــــار

عصره وحياته

١ ـــ في أواخر القرن الهجري السادس شهدت الأندلس ميلاد رجلٍ من كبار أعلامها ، مؤرخٍ محدّثٍ أديب شاعر ، يُعرف بابن الأبّار ، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي ، من قبيلة قضاعة اليمنية[1] التي استوطنت شرقي الأندلس ، وسكنت في «أُنْدَة[2]» في ضواحي بَلَنْسِيَة[3] ، وفي مدينة بلنسية ولد ابن الأبّار سنة ٥٩٥ هـ .

يمكننا أن نقسم حياة ابن الأبار إلى مرحلتين متميّزتين: أولاهما في الأندلس والثانية في تونس ، وسنفصّل القول في كلٍ منهما .

* * *

٢ ـــ قضى ابن الأبار طفولته في مسقط رأسه بلنسية ، وهي مدينة مشهورة

---

١ — ويذهب بعض النسّابين إلى أنها عدنانية : المقري : ١ / ٢٧٨ والقلقشندي : ٤٠٠

٢ — المجلة الاسلامية : ٢ / ٣٧٤ و (أندة) مدينة من كُوَر بلنسية : الحميري : ٣١

٣ — انظر : الحميري : ٤٧ — ٥٥ والمقري : ١ / ١٦٨ — ١٦٩ والمعجب للمراكشي : ٣٧٠ ومعجم البلدان لياقوت : ١ / ٤٩٠ — ٤٩١

بجمال موقعها وغنى أراضيها ، تقع على ثلاثة أميال من البحر ، في سهل منبسط ، « في غاية الخصب واعتدال الهواء[١] » ، ويشقها نهرٌ جارٍ ، يسقي بساتينها ومزارعها ، وعلى جانبيه جنّات وارفة الظلال ، وعمارات متصلة . هذا الموقع الجغرافي الممتاز جعل بلنسية مدينة غنية بتجارتها وزراعتها ، فالقوافل لاتني تمر بها ، وحركة الميناء البحري القريب منها لاتكاد تهدأ ، ولخصب الأرض واعتدال الهواء تنوعت محصولاتها الزراعية ، وكثرت فواكهها وثمارها ، ورخصت أسعارها[٢] ، وأصبحت — كما يقول الحميري[٣] — جامعة لخيرات البر والبحر .

والمؤرخون يجمعون على الثناء على أهل بلنسية وأخلاقهم العربية الأصيلة[٤] ، فلهم « حسن زيٍ وكرمُ طباعٍ ، والغالب عليهم طيب النفوس[٥] » .

في هذا المحيط الخيِّر الخصب نشأ ابن الأبار ؛ وإذا كنا لا نعرف الشيء الكثير عن طفولته وشبابه فإن مؤلفاته الكثيرة التي وصل بعضها إلينا تدل على أن صاحبها أمضى في التحصيل والدراسة زمناً ليس بالقصير قبل أن يكتمل تكوينه الثقافي وينشط إلى التأليف ، فهو قد درس على شيوخٍ كثيرين ، يردد أسماءهم في مؤلفاته ، وينقل عنهم ، من أمثال أبي عبد الله بن نوح ، وأبي جعفر الحصّار ، وأبي

١ — المعجب للمراكشي : ٣٧٠

٢ — يقول الحميري : « وهي في أكثر الأمور راخية الأسعار » ص ٧ ؛ ولكنّ المقري ينقل في نفح الطيب (١ / ١٦٩) شعراً لبعضهم يصف فيه بلنسية بأنها « محلّ غلاء سعر » !

٣ — صفة جزيرة الأندلس : ٤٧

٤ — يقول ياقوت : « وأهلها خير أهل الأندلس ، يُسمّون عرب الأندلس » معجم البلدان : ١ / ٩٠ ؛

٥ — الحميري : ٤٧

الخطّاب بن واجب ، وأبي الحسن بن خَيْرة ، وأبي سليمان بن حَوْط ، وأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سَعْدة [١] ، ويمكننا أن نعدّ أبا الربيع بن سالم في طليعة شيوخ ابن الأبّار ، فقد لزمه قرابة عشرين عاماً ، وأبو الربيع أكبر محدّث في عصره وأشهر علماء الأندلس في زمانه ، وهو الذي علّم ابن الأبّار صناعة الكتابة ، وأورثه إياها [٢] .

لم يكتف ابن الأبار بالدراسة على علماء بلنسية ، بل قام برحلة طويلة جاب بها الأندلس [٣] ، وأصبح يجمع إلى تضلّعه في الحديث ثقافة جامعة لعلوم عصره ، ثم عاد أخيراً ، ولمّا يبلغ الثلاثين من عمره ، إلى بلنسية ، ليتخذه أميرها السيد أبو عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي كاتباً له ، ثم أصبح كاتباً لابنه السيد أبي زيد من بعده [٤] .

وعندما استطاع زيّان بن مردنيش أن يتغلّب على بلنسية ، هرب أميرها السيد أبو زيد والتجأ إلى النصارى الاسبان ، وصحبه كاتبه ابن الأبار ، ولكنه لم يلبث أن تركه عندما اعتنق النصرانية ، وعاد إلى بلنسية ، ليكتب لأميرها الجديد ابن مردنيش [٥] سنة ٦٢٦ هـ

كانت الأندلس آنذاك مسرحاً للحروب الأهلية الداخلية وللهجمات المعادية

---

١ ــ الحلة السيراء : ٢ / ٣٧٤

٢ ــ ابن الأبّار يعترف بذلك في الترجمة التي يخص بها شيخه هذا : إعتاب الكتاب الترجمة رقم : ٧٥

٣ ــ فوات الوفيات : ٢ / ٤٥٠

٤ ــ ابن خلدون : ١ / ٤٢٩ ــ ٤٣٠ ونفح الطيب : ٣ / ٣٤٦ ــ ٣٤٧

٥ ــ ابن خلدون : ١ / ٤٣٠ وأزهار الرياض : ٣ / ٢٠٥

الخارجية،وكانت بلنسية بخاصة هدفاً لهجمات ملك أراغون الدون جاقم (Dome Jayme) الذي تمكن من الاستيلاء على كثير من القلاع والحصون حول بلنسية وشقر سنة ٦٣٣ هـ ، وبنى حصن أنيشة[١] قرب بلنسية ليعسكر فيه جنده استعداداً لحصار بلنسية .ولقدحاول ابن مردنيش أن يبذل آخر جهوده فاستنفر أهل شاطبة وشقر ، فخرجوا وانضموا إلى جند بلنسية ، وهاجموا حصن أنيشة في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٣٤، ولكنهم هُزموا ، وقتل في المعركة عدد من كبار الفقهاء العلماء ، ومن بينهم الأديب المحدّث العلاّمة أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي شيخ ابن الأبار ، فرثاه تلميذه بقصيدة طويلة أولها[٢] :

ألمّا بأشلاء العُـلا والمكارمِ   تُقَدُّ بأطراف القنا والصوارم

كانت هزيمة المسلمين أمام حصن أنيشة دليلاً على قرب سقوط بلنسية فأخذ الناس في الانتقال عنها[٣] ، وفي رمضان سنة ٦٣٥ هاجم ملك أراغون بلنسية وضرب حولها حصاراً قوياً، وأدرك المسلمون فيها أن لا طاقة لهم بصد المحاصِرين، وعزموا على الاستغاثة بسلطان الدولة الحفصية في المغرب ، وعند ذلك أرسل ابن مردنيش وفداً من أهل بلنسية إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى ، وأوفد معه كاتبه ابن الأبّار في رجب سنة ٦٣٦ ، فحمل الوفد بيعة أهـل بلنسية للسلطان الحفصي وطالبه

---

١ - الحميري : ٣٢ وابن خلدون : ٣٩١/١٠

٢ - الحميري : ٣٢

٣ - ابن خلدون : ٣٩١/١ « وكان يوماً عظيماً وعنواناً على أخذ بلنسية ظاهراً »

بنجدتهم [1] ، وقد أدى ابن الأبار مهمته خير تأدية ، وأنشد بين يدي السلطان في تونس قصيدة ضارعة طويلة بدأها بهذا المطلع اليائس المستغيث [2] :

أدركْ بخيلكَ خيلِ الله أندلسا إنّ السبيل إلى منجاتها دَرَسا

فكان للقصيدة تأثيرها الكبير في نفس السلطان الحفصي ، فأمر من فوره بإرسال أسطول إلى المدينة المحاصرة محمّلاً بالعتاد والسلاح والقوت والمال، ولكن المدد وصل إلى ميناء بلنسية ليجد النصارى قد راقبوا الميناء وأحكموا حصارهم للبلدة ، فاضطر الأسطول الحفصي إلى الرسو في ميناء دانية ، ولم يجد سبيلاً إلى مساعدة المدينة المحاصرة وإنقاذها . . واشتدت وطأة الحصار على بلنسية ،وعدمت الأقوات ، وكثر الهلاك من الجوع ، فلم ير المسلمون فيها بدأً من المفاوضة لتسليم المدينة [3] . ويصف لنا ابن الأبار نفسه سقوط بلده ، ذلك أنه حضر بنفسه تسليمه إلى المحاصِرين يوم الثلاثاء في السابع عشر من صفر سنة ٦٣٦ ، ففي هذا اليوم « خرج أبو جميل زيّان من المدينة — وهو يومئذ أميرها — في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند ، وأقبل الطاغية وقد تزيّا بأحسن زي ، في عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة ، فتلاقيا بالولجة ، واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلماً لعشرين يوماً ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم ، وحضرتُ ذلك كله ، وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك ... [4] » ثم ابتدأ الجلاء .

---

١ — تاريخ الدولتين للزركشي : ص ٢٠ ، وابن خلدون : ١ / ٣٩١

٢ — ابن خلدون : ١ / ٣٩٢ — ٣٩٤

٣ — ابن خلدون : ١ / ٣٩٤ وأزهار الرياض : ٣ / ٢٠٧ — ٢١٠

٤ — الحلة السيراء لابن الأبار : ١٩٠

كان حزن المسلمين على سقوط بلنسية عظيماً ، ويبكي ابن الأبار مسقط رأسه بدمع غزير : « وأما الأوطان... فقد ودّعنا معاهدها وداع الأبد ... أين بلنسيةُ ومغانيها ، وأغاريد وُرقها وأغانيها ؛ أين حُلى رصافتها وجِسرها ، ومنزلا عطائها ونصرها ؛ أين أفياؤها تندىٰ غضاره ، وركاؤها تبدو من خُضاره ؛ أين جداولها الطفّاحة وخمائلها ، أين جنائنها النفّاحة وشمائلها ! شدّ ما عطَلَ من قلائد أزهارها نحرُها... فأية حيلة لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى بانت إلاّ رونق الحق وبشاشة الإيمان ! [1] »

وكأن ابن الأبار قد أدرك بعد سقوط بلنسية أن النصارى سيوالون هجماتهم على المدن الاسلامية الباقية في الأندلس ، واحدة إثر أخرى ، فعزم على الهجرة بأسرته إلى تونس ، لاجئاً إلى حمى السلطان الحفصي الذي لقي منه خلال سفارته السابقة لديه كل رعاية وتكريم ؛ وكذلك غادر ابن الأبار في أواخر صفر من عام ٦٣٦ أرض الأندلس إلى غير عودة !

* * *

٣ — كانت تونس تستقبل أفواج المهاجرين اللاجئين من الأندلسيين الهاربين من زحف النصارى الإسبان فتُحسن إيواءهم ورعايتهم ، وكان سلطان تونس قد انتهى قبيل سنتين إلى دعم ملكه فيها ، وبقضائه على ثورات القبائل العربية استتب الأمر للبيت الحفصي في تونس ، وبدا السلطان أبو زكريا حاكماً مرهوب الجانب ،

١ - الحميري : ٥٢ - ٥٣

يُعلّق الأندلسيون آمالهم عليه ، ويقدمون له البيعة معترفين بسلطانه عليهم ، طالبين حمايته لهم ؛ وقد حذا حذو الأندلسيين عدد من مدن مراكش ، وبذلك اتسع ملك الحفصيين ، وغدا أبو زكريا سلطاناً على جميع الغرب الإسلامي ، وظهرت سياسته الحكيمة الحازمة في الداخل ، كما ظهرت حسناتها في الخارج بعلاقاته مع النصارى والمعاهدات التجارية التي عقدها .

في ظلال هذه الدولة القوية وسلطانها الحازم كان على ابن الأبّار أن يلقى المجد والثروة والنجاح ، لسابق كفايته وتجاربه في الكتابة والعمل في الدواوين لدى أمراء بلنسية والسفارة لهم ، والحق أن السلطان أبا زكريا أحسن استقباله وقدّر مواهبه وعهد إليه بالكتابة في ديوانه ، ثم أسند إليه كتابة الإنشاء والعلامة [١]، ولكن سوء الحظ شاء لابن الأبار الإخفاق الذريع في عمله الجديد !

كان ابن الأبار يكتب العلامة السلطانية بالخط المغربي ، وكان السلطان يؤثر أن تكتب بالخط المشرقي، ولهذا لم يلبث أن عهد بكتابتها إلى أحمد بن ابراهيم الغساني [١]، وطُلب من ابن الأبار أن يقتصر على إنشاء الرسائل وكتابتها وأن يدع مكان العلامة فيها للخطاط الجديد ! فغضب ابن الأبار لكرامته وساءه إيثار غيره عليه ، ولم يُطع ما أُمر به فظل يخط العلامة بخطه المغربي ، فعوتب في ذلك وروجع ، فاستشاط غضباً ورمى بالقلم من يده وأنشد [٢] :

اطلب العزّ في لظى وذر الذلَّ ـــــ ولو كان في جنان الخلود

---

١ – تاريخ الدولتين للزركشي : ص ٢١ وابن خلدون : ١/٤٣٠ .

٢ – ابن خلدون : ١ / ٣٤٠ وأزهـــار الرياض : ٣ / ٢٠٥ والبيت للمتنبي ، ورواية ديوانه : (فاطلب . . .) : ديوان المتنبي : ١/٣٢٢ .

وحُمل الخبر إلى السلطان فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته !

إخفاق ابن الأبار في عمله الديواني في تونس مردّه إذاً إلى حدة في الطباع والخلق[١] أولاً، ثم إلى سعاية بعض حساده من أهل تونس، ممّن ساءهم أن يروا المهاجرين الأندلسيين يحتلون أرفع المناصب في الدولة الحفصية ويزاحمونهم عليها بما يملكون من ثقافات ومواهب ! ولقد أحسّ ابن الأبار سريعاً بفداحة خطئه فحاول أن يتلافاه، والتجأ إلى نجل السلطان، الأمير أبي عبد الله محمد، يسأله الشفاعة له عند أبيه[٢]، (والأمير رجلٌ موصوف بالشجاعة والخبرة، وهو الذي آل إليه ملك الدولة الحفصية بعد وفاة السلطان وولي عهده أبي يحيى، ولقّب بالمستنصر[٣])، وراح ابن الأبار ينظم القصائد الضارعة معتذراً راجياً عفو السلطان وصفحه عن زلّته[٤] :

لمبشّري برضاك أن يتحكّما لا المالَ أستثني عليه ولا الدما

ندمي على ما ندّ مني دائمٌ وعلامة الأوّاب أن يتندّما

وعكف ابن الأبار خلال الفترة التي كان مهدداً فيها بالنفي عن الحضرة على تأليف كتاب رفعه إلى السلطان، وضرب له فيه الأمثال على عفو الملوك والأمراء عن ذنوب كتّابهم، وقبولهم أعذارهم، وسمّاه « إعتاب الكتّاب »، وجاءت مساعي الأمير أبي عبد الله محمد مكللة بالنجاح، بعد طول ترقب وانتظار، ورضي

---

١ – نفح الطيب : ٤ / ٢٨٢ .

٢ – انظر مقدمة ابن الأبار لإعتاب الكتاب (ص : ٤٧) وانظر شكره لشفاعة الأمير محمد في خاتمة الكتاب ص ٢٦١ ٢٦٢ .

٣ – الأعلام : ٨ / ٨ .

٤ – انظر خاتمة ابن الأبار لإعتاب الكتاب ففيها عدد من اعتذارياته .

السلطان عن ابن الأبار ، وغفر له زلّته ، وأقال عثرته ، وأعاده إلى سابق عمله[١] .

وفي سنة ٦٤٦ يموت أبو يحيي ولي العهد ، ويلحق به والده المفجوع به بعد سنة من وفاته ، ويصير الأمر إلى ولد آخر للسلطان ، هو المستنصر[٢] .

كان السلطان الجديد في الثانية والعشرين من العمر[٣] ، وكان عالي الهمة يحب البناء والقصور ، وابن خلدون يُسهب في وصف الآثار السلطانية التي بنيت في عهده[٤] . وقد تابع المستنصر سياسة أبيه في الداخل والخارج ، وجمع حوله طبقة من العلماء والأدباء ، وكان ابن الأبار واحداً منهم[٥] ، ذلك أننا نجده يرتجل الشعر مرة في حضرة المستنصر[٦] ، ويدبّج له الرسائل في وصف منشآته العمرانية وإصلاحاته[٧] ؛ ولكن حسّاد ابن الأبار كثيرون لا يفتأون يكيدون له ، وفي مقدمتهم الوزير ابن أبي الحسين ، وكان من ألد أعدائه الحاقدين عليه[٨] ، وقد تمكن هذا الوزير من أن يوغر صدر المستنصر على ابن الأبار وأن يحمله على نفيه إلى

١ – ابن خلدون : ١ / ٤٣٠

٢ – ابن خلدون : ١ / ٤٠٨

٣ – تاريخ الدولتين الزركشي : ص ٢٤ – ٢٥ ، ويقول ابن خلدون « كان في سن العشرين ونحوها » ١ / ٤١١

٤ – ابن خلدون : ١ / ٤١٢ – ٤١٤

٥ – ابن خلدون : ١ / ٤٣٠

٦ – أزهار الرياض للمقري : ٣ / ٢١١

٧ – انظر رسالته التي كتبها للمستنصر يصف فيها وصول الماء إلى تونس : المصدر السابق : ٣ / ٢١١

٨ – كان سبب حقد الوزير عليه أن ابن الأبار لما قدم في الأسطول من بلنسية نزل ببنزرت ، وخاطب ابن أبي الحسين بغرض رسالته ، ووصف أباه في عنوان مكتوبه بالمرحوم ، ونُبه على ذلك فاستضحك وقال : إنّ أباً لاتُعرف حياته من موته لأبٌ خامل ! ونُميت إلى الوزير فأسرّها في نفسه وراح يكيد له : ابن خلدون : ١ / ٤٣١

بجاية[١] ؛ وكان ذلك سنة ٦٥٥ إذ يحدثنا علي بن محمد بن رزين التجيبي أنه سمع ابن الأبار في هذه السنة في بجاية يقرأ معجمه[٢] ، وكذلك أمضى ابن الأبار مدة نفيه في هذه البلدة « عاطلاً من الرتب ، خالياً من حُلي الأدب ، مشتغلاً بالتصنيف في فنونه » كما وصفه ابن سعيد عندما لقيه في بجاية ، وجرت بينهما « مجالسات آنق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب ![٣] » ومهما يكن فإن إقامة ابن الأبار في بجاية مدة نفيه إليها أتاحت للغبريني أن يكتب ترجمة له في كتابه الذي جمع فيه تراجم من عُرف من العلماء في القرن السابع في بجاية[٤] .

لا يمكننا أن نحدّد التاريخ الذي استطاع فيه ابن الأبار أن يسترضي المستنصر وأن يفوز بعفوه ، ولكن ابن الأبار لم يستطع أن يحتفظ برضى السلطان طويلاً بعد عودته إلى تونس ، ذلك أنه كانت تبدو منه نزوات تغضب المستنصر[٥] ، فكان يُدل دائماً بعلمه، ويتدخل أحياناً في أمور لا تعنيه ! وأصبح السلطان إذا ورد عليه لغز

١ – مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب (في الجزائر) : معجم البلدان : ١ / ٣٣٩

٢ – المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لابن الأبار : طبعه كوديرا (قُديره) مدريد ١٨٨٦ في مجلد واحد – انظر مقدمة المعجم : ص ١٦

٣ – نفح الطيب : ٤ / ٢٨٢

٤ – عنوان الدراية للغبريني ص : ١٨٣ ؛ ولكن الغبريني يجعل وصول ابن الأبار إلى بجاية إثر هجرته من الأندلس وقبل اتصاله بالسلطان أبي زكرياء ، وهذا زعم لاتؤيده النصوص التي أوردناها ؛ ثم إن ابن سعيد يشير بصراحة إلى سبب نفي ابن الأبار إلى بجاية فيقول : « إن أخلاق ابن الأبار لم تُعنه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عنه تلك النعمة ، وأخيّر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية » نفح الطيب : ٤ / ٢٨٢

٥ – يقول ابن خلدون : « كان في ابن الأبار أنفة وبأو (كبر) وضيق خلق ، وكان يُزري على المستنصر في مباحثه ويستقصر مداركه ... مع ما كان يُسخط به السلطان من تفضيل الأندلس وولاتها عليه » ١ / ٤٣٠ – ٤٣١

أو معمّى أو مترجم بعث به إلى ابن الأبار فيحله ، حتى إذا دخل عليه لم يكلمه ولم يلتفت إليه ، وكان ابن الأبار يتشكى من ذلك ويتألم[١] ، وينعى على الزمان سوء حظه[٢] :

علت سني وقدري في انخفاض وحكم الربّ في المربوب ماضِ
إلى كم أسخط الأقـــدار حتى كأني لم أكن يوماً براضِ

ولقد حاول ابن الأبار محاولة أخيرة أن يستعيد مكانته لدى السلطان فباء بالخذلان وعجّل بنكبته ! ذلك أنه حضر يوماً مجلس السلطان فسمعه يسأل بعض من حضر عن مولد ولده الواثق ، فغدا عليه ابن الأبار في اليوم التالي برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعها[٣] ، فلما رآها المستنصر استشاط غضباً من فضوله وتطفّله ، وكانت وشايات الحساد لاتني توغر صدر السلطان ، وتتهم ابن الأبار عنده بتوقع المكروه للدولة ، وتشنّع عليه لنظره في النجوم ، فأمر السلطان بالقبض عليه ، ومصادرة جميع كتبه ومؤلفاته ، وعهد إلى الكاتب أحمد بن ابراهيم الغساني بتفتيش كتبه ودفاتره ، فعثر فيها ــ كما يزعم ــ على رقعة فيها هجاء للسلطان كقوله[٤] :

طغى بتونس خَلَفٌ سمــوه ظلماً خليفهْ

---

١ ــ نفح الطيب : ٣ / ٣٤٩

٢ ــ أزهار الرياض : ٣ / ٢٢٢

٣ ــ ابن خلدون : ١ / ٤٣١ ، وتاريخ الدولتين للزركشي : ص ٢٧

٤ ــ ابن خلدون : ١ / ٤٣١ ؛ وحكى المرادي أن البيت الذي وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله :

عقّ أباه وجفـــا أمّه ولم يُقِل من عثرةٍ عمّه

(الزركشي : ص ٢٧)

كما عثر في كتاب سماه « كتاب التاريخ » على مايسيء إلى السلطان [1]، فغضب المستنصر وأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته ، فقتل « قعصاً بالرماح » صبيحة الثلاثاء في الحادي والعشرين من المحرم ٦٥٨ وأحرق شلوه ، وأخذت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ، وكانت نحواً من خمسة وأربعين تأليفاً [2] !

هذه النهاية الفاجعة جعلت المؤرخين يعطفون على ابن الأبّار ويتهمون قاتله بالظلم والجور [3] ، حتى لقد أطلق عليه بعضهم اسم الشهيد ، كما راح آخرون يصفون ندم السلطان بعد ذلك على قتله [4] !

١ — نفح الطيب : ٣ / ٣٤٩

٢ — تاريخ الدولتين للزركشي : ص ٢٧

٣ — فوات الوفيات : ٢ / ٤٥٠ « قُتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها لأنه تخيّل منه الخروج وشق العصا »

٤ — تاريخ الدولتين للزركشي : ص ٢٧

- ٢ -

آثـــار المؤلف

المطبوعة والمخطوطة

لم يصل إلينا من مؤلفات ابن الأبار الخمسة والأربعين غير ستة تصانيف ، أما المؤلفات الأخرى فقد أكلتها النيران كما أكلت جثة مؤلفها ، أو ضاعت خلال القرون ، وأصبحنا اليوم لا نعرف عنها غير أسماء بعض منها ، يذكرها ابن الأبار حيناً في تضاعيف كتبه التي وصلت إلينا ، أو يشير إليها بعض من اقتبسوا منها من مؤرخي الأندلس حيناً آخر ؛ وهذه الأسماء هي :

١ ـــ إفادة الوفـادة : ذكره المقري في نفـح الطيب [١] ، وموضوعه ذكر الوافدين على الأندلس من المشرق .

٢ ـــ كتـاب إيماض الـبرق في أدباء الشرق : ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات [٢] .

٣ ـــ كتاب التاريخ: وكان سببَ مقتله وإحراق كتبه لما وُجد فيه من أمور تسيء إلى المستنصر [٣] .

---

١ - نفح الطيب : ٤ / ١٣١

٢ - فوات الوفيات : ٢ / ٤٥٠

٣ - نفح الطيب : ٣ / ٣٤٩

٤ ـــ كتاب التحفة [١] : ولعله كتاب « تحفة القادم » الذي سنتحدث عنه بعد قليل .

٥ ـــ قطع الرياض : وهو كتاب في متخيّر الأشعار [٢] .

٦ ـــ المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح [٣] : وهو كتاب في الأحاديث التي رواها هذا العالم الحمصي الذي هاجر إلى الأندلس واستقضاه عليها عبد الرحمن الداخل .

٧ ـــ معادن اللُّجين في مراثي الحسين [٤] : والغبريني كثير الاعجاب بهذا الكتاب [٥] : « ولو لم يكن له من التآليف إلا كتابه هذا لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه ، وسمو رتبته » .

٨ ـــ هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف : أشار إليه ابن الأبار في معجمه [٦] ، ومن المحتمل أن يكون كتاباً آخر ، غير الكتاب التالي الذي يحمل اسماً مشابهاً .

٩ ـــ هداية المعترف في المؤتلف والمختلف : ويذكره المقري في نفح الطيب [٧] .

---

١ ـــ أزهار الرياض : ٢ / ٣٧٩
٢ ـــ نفح الطيب : ٣ / ٣٤٩
٣ ـــ ابن الأبار : المعجم في أصحاب القاضي الصدفي : ١٨٠
٤ ـــ ابن الأبار : التكلة : ١ / ٣٤٣
٥ ـــ نفح الطيب : ٦ / ٥٤
٦ ـــ ابن الأبار : المعجم : ٧٣
٧ ـــ نفح الطيب : ٣ / ٣٤٩

أما الكتب الستة التي وصلت إلينا [1] وطُبع أكثرها فهي :

١ – التكملة لكتاب الصلة : كتاب في تراجم علماء الأندلس ، يكمّل كتاب (الصلة) لابن بشكوال ، وهو مصنف حسب الترتيب الأبجدي لأسماء الرجال ، صنّفه ابن الأبار في مدى خمسة عشر عاماً ، كما يذكر في مقدمته [2] ، فقد بدأه سنة ٦٣١ وانتهى منه سنة ٦٤٦ ؛ والكتاب مطبوع بكامله : نشر القسم الكبير منه كوديرا ، من حرف (ج) إلى نهاية الكتاب ، في مجلدين في مدريد ، خلال عامي ١٨٨٨ — ١٨٨٩ ، ونشر القسم الأول الباقي منه ابن شنب وبل (Ben Cheneb et Bel) في الجزائر عام ١٩٢٠

٢ — المعجم في أصحاب القاضي الصفدي : كتاب في تراجم الأندلسيين الذين عرفوا القاضي أبا علي الصفدي ، وقد صنّفت أسماؤهم حسب الترتيب الأبجدي ، والكتاب مطبوع ، نشره كوديرا في مجلد واحد سنة ١٨٨٦ في مدريد .

٣ — الحلة السِّيَراء في أشعار الأمراء : كتاب في الأدب ، أراد ابن الأبار أن يصف فيه النشاط الأدبي لمشاهير الأعلام في السياسة والحرب ، من رجال الأندلس وشمالي أفريقية ، فقسم الكتاب إلى قسمين غير متساويين : أولهما في تراجم الرجال الذين لم تصل آثارهم إلى ابن الأبّار ، وثانيهما ملحق يتعلق بهؤلاء الرجال ، وقد صنّف ابن الأبار التراجم تصنيفاً زمنياً فأفرد لكل قرن رجاله ، من القرن الأول

١ – انظر بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١ / ٣٤ – ٣٤١ والملحق : ١ / ٥٨٠ – ٥٨١

٢ – ابن الأبار : التكملة (نشرها بل وابن شنب) ص : ٣ – ٤

إلى القرن السابع ، وفي الملحق من القرن الأول إلى الثالث ، ورتّب المؤلف الأعلام في كل قرن ترتيباً يجمع رجال كل أسرة معاً ، أو الرجال الذين تضمهم ميول سياسية متجانسة . نشر دوزي من الكتـــاب قطعاً متفرقة في فصول متعددة ، نجد أهمها في كتابه (تعليقات على بعض المخطوطات العربية Notices sur quelques Manuscrits Arabes) المطبوع في ليدن سنة ١٨٤٧ ـــ ١٨٥١ في مجلد واحد ، وقد تابع موللر Müller عمل دوزي فنشر قطعاً أخرى من الكتاب سنة ١٨٦٦ ، ولكنه وقف عند نهاية القرن الثاني من الملحق .

٤ ـــ تحفة القادم في شعر الأندلس : كتاب في تراجم الشعراء ، يضم تراجم مائة من الشعراء وأربع من الشاعرات ، من أهل الأندلس ، من رجال القرنين الخامس والسادس ، مع قطع مختارة من أشعارهم ؛ وقد وصل إلينا مختصر لهـذا الكتاب ، من عمل أبي اسحق ابراهيم بن محمد البلفيقي (المقتضب من كتاب تحفة القادم) ، طبعه الفريد بستاني في مجلة المشرق ، وعن هذه الطبعة أخرجت فصلة من المجلة ، لا تحمل تاريخاً .

٥ ـــ درر السِّمط في خبر السِّبْط : وهو كتاب في أخبار الحسين بن علي ابن أبي طالب ، ويدل على تشيّع ابن الأبار ، ويقول عنه المقري في نهاية الصفحات التي ينقلها منه : « وهو كتاب غاية في بابه ، ولم أورد منه غير ما ذكرته ، لأنّ في الباقي ما تشم منه رائحة التشيع ، والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه[1] » ، وقد

---

١ – نفح الطيب : ٦ / ٢٥٣

وصلت إلينا من هذا الكتاب نسخة خطية وحيدة تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري ، وكان السيد عامر غُديرة قد حققها وترجمها للفرنسية وأعدها للطبع ، وقدّمها لنيل دبلوم الدراسات العليا في باريس .

أما الكتاب السادس والأخير [1] فهو (إعتاب الكتّاب) الذي نحققه وينشره اليوم مجمع اللغة العربية بدمشق لأول مرة [2] .

- يعتقد بعض المستشرقين أن لابن الأبار كتاباً آخر وصل إلينا وهو (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة) ويأخذ صاحب الأعلام (٧ / ١١٠) بقول هؤلاء ، إلا أن الأستاذ إبراهيم الإبياري الذي حقق هذا الكتاب ونشره في سلسلة ذخائر العرب بمصر أثبت نسبته إلى ابن سعيد علي بن موسى الأندلسي : (انظر مقدمته ص : ك - س) .

٢ - قال لنا المستشرق ماسينيون مرة إن هنالك محاولة قديمة لنشر كتاب (الإعتاب) في مصر ، بدأ بها السيد أحمد صقر ، ولكنه - لأسباب كثيرة - لم يُتابع العمل .

— ٣ —

إعتاب الكتاب

وصفه وتحليله

١ — نكاد نعرف المناسبة التي شهدت تأليف كتاب (الإعتـــاب) بجميع جزئياتها ودقائقها ، ذلك أن كتب التاريخ التي عُنيت بترجمة ابن الأبار أولت تلك الفترة العصيبة من حياته اهتمامها ، وابن الأبار نفسه يحدثنا في مواطن كثيرة من كتابه هذا عن طبيعة الأحوال التي رافقت تأليفه إياه ، فقد ارتكب ابن الأبار ذنباً أثار عليه غضب السلطان الحفصي أبي زكريا وغيّر قلبه عليه ، ولكي يستعيد مكانته لديه تشفّع بنجله الأمير أبي عبد الله فنال بشفاعته عفو السلطان ورضاه ؛ وإذا كان ابن الأبار يسكت عن تحديد الذنب الذي جناه فلا يكشف عنه ، فإن المؤرخين — كما قدّمنا — أشاروا إليه في قصة حياته [1] .

---

١ — انظر ما تقدم : ص ١٣ ١٤

ألّف ابن الأبار (إعتاب الكتّاب) وقدمه إلى السلطان الحفصي في حياة ولده أبي يحيى ولي العهد ، بآية ما نجد في نهاية مقدمة المؤلف من دعاء لولي العهد هذا وتمجيد له[1] وهذه الإشارة تعيننا على تحديد التاريخ التقريبي لزمن تأليف الكتاب ، فقد أصبح الأمير أبو يحيى وليا للعهد سنة ٦٣٨[2] وتوفي قبل أبيه سنة ٦٤٦[3] ، فبين هاتين السنتين إذاً ألف ابن الأبار كتاب الإعتاب .

* * *

٢ ـــ نستطيع أن نحدّد بسهولة الغاية التي توخاها ابن الأبار من تأليف كتابه هذا ، ذلك أنه أراد أن يضرب للسلطان أبي زكريا الأمثال على حلم الملوك وعفوهم عن أخطاء كتّابهم ، فراح يبحث عن هذه الأمثال في تراجم الكتاب ، في الشرق والغرب الاسلاميين، ويتقصّاها ويجمعها ، ويبرز في كل مثل إقالة الذنب ، ليحث بذلك السلطان على إقالة ذنبه ، ومن هنا كان الكتاب ، في هيكله العام ، تراجم مقتضبة لهؤلاء الكتّاب وأخطائهم وعفو أسيادهم عنها ، ولمّا كانت « إقالة العثرة» هي المحور الأساسي في تأليف الكتاب فقد أهمل المؤلف في ترجمة كل كاتب ماليس له صلة بذلك المحور في حياته ، ومن هنا أيضاً كانت تسمية الكتاب تومىء إلى الغرض الذي ألف من أجله وتكشف عن موضوعه : فالإعتاب مصدر من « أعتب »

---

١ - انظر ما يأتي : ص ٤٨

٢ - ابن خلدون : ١ / ٤٠٥ وتاريخ الدولتين للزركشي : ٢١

٣ - ابن خلدون : ١ / ٤٠٨

وتقول: «أعتبه» إذا أعطاه العُتبى[1] أي الرضى وأزال لومه وأرضاه، فإعتاب الكتّاب إذاً إعطاؤهم العُتبى[1] بالرضى عنهم والعفو عن زلاّتهم وإعادة الحظوة والحقوق إليهم؛ وبذلك يلخص عنوان الكتاب غرضه وموضوعه.

ثم إن الكتاب يمثل منهج ابن الأبار المؤرخ على طريقة التراجم، وهي الطريقة الغالبة عليه في أكثر مؤلفاته.

* * *

٣ — يمكننا أن نقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المقدمة وفيها يستعرض المؤلف موضوع كتابه ويشرح الغرض منه.

القسم الثاني: تراجم الكتاب وعددها خمس وسبعون ترجمة، تختلف طولاً وقصراً، فبعضها يتسع حتى يشغل أكثر من خمس صفحات (مثل ترجمة سهل بن هارون والعتّابي وابن الزيّات وسليمان بن وهب وابن زيدون وغيرهم) ويضيق بعضها ويقصر فلا يزيد على أسطر قليلة (كترجمة كاتب الهادي وعبد الله بن سوّار ابن ميمون وأبي جعفر البغدادي وغيرهم) أما تصنيف التراجم فقد قسمت إلى قسمين ظاهرين: أولها لتراجم الكتاب المشارقة، وثانيها لتراجم كتاب الغرب الاسلامي[1] (شمالي إفريقية والأندلس) وإن لم تكن مراعاة هذا التقسيم دقيقة

١ — القسم الغربي يبدأ بالترجمة ذات الرقم: ٥٣

جداً ، ذلك أننا نجد في قسم المشارقة أمثال داود القيرواني [١] وعبد الله بن محمد الزجالي الأندلسي [٢] ، كما نجد في القسم الثاني ترجمة لكاتب صلاح الدين [٣] .

وتتسلسل التراجم في كل من القسمين تسلسلاً زمنياً ، فتراجم المشارقة تبدأ بكتّاب عثمان الخليفة الراشد الثالث فكتّاب الأمويين فالعباسيين ، خليفة بعد خليفة ، وفي القسم الغربي تأتي ترجمة كاتب عبد الرحمن الناصر قبل كتّاب الحاجب المنصور ، وبعد هؤلاء تأتي تراجم كتّاب ملوك الطوائف .

ويكاد ابن الأبار يتبع منهجاً واحداً في كل ترجمة ، في كتابه : فهو يبدأ الترجمة بتحديد أسماء السادة الذين كتب لهم صاحب الترجمة ، ويمر بذلك مراً سريعاً حتى يصل إلى السيد الذي أغضبته زلّة صاحب الترجمة ، وعند ذلك يتمهّل ابن الأبار ليقص علينا كيف تمكن الكاتب من استرضاء سيده ، ويرينا الوسيلة التي تمكن من أن يستعيد بها مكانته لديه ، من رسالة يكتبها إليه ، أو قصيدة يمدحه بها ، أو يعتذر فيها من ذنبه ويعلن توبته وندمه ، وقد يستطرد ابن الأبار عند ذكر بعض الرسائل أو القصائد إلى إيراد رسائل أو قصائد مشابهة لآخرين : فرسالة هذا الكاتب تستدعي ذكر قول فلان .. وهذا المعنى يستدعي ذكر ما قاله فلان [٤] .. وقد أهمل ابن الأبار في تراجمه تحديد سني الولادة والوفاة ، والحق أن الكتاب يمثّل أسلوباً جديداً في فن التراجم ، أسلوباً موجهاً وجهة خاصة .

---

١ – انظر الترجمة : ٢٣

٢ – انظر الترجمة : ٤٨

٣ – انظر الترجمة : ٧٢

٤ – انظر التراجم : ٦ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ إلخ ..

ويشير ابن الأبار في أغلب الأحيان إلى مصـادره التي ينقل منها ، وقد كان أميناً في نقله حتى ليبدو لنا في كتابه جمّاعة يجمع وينقل ، ويحـاول أن يربط ويضم أطراف مايجمعه وينقله ، ويضيف إلى ذلك ،هنا وهناك ، إشارات إلى السلطان أبي زكريا وولي عهده أبي يحيى[1] ، أما ابن الأبّار المؤلف حقاً فلا يظهر إلا في التراجم التي خص بهـا بعض الكتاب الأندلسيين الذين عرفهم في حياته معرفة شخصية[2] .

ويورد ابن الأبار أحياناً روايات مختلفة لحادثة واحدة[3] من مصادر شتى دون أن يقطع بتفضيل رواية على أخرى ، ويذكر لنا ابن الأبار أسماء مصادره[4] فإذا هي قرابة ثلاثين مصدراً مشرقياً ومغربياً وأندلسياً ، وبعضها اليوم ضائع ، لم يصل إلينا ، مثل كتاب (الأخبار المنثورة) لأبي بكر الصولي ، و (أخبار الدولة العامرية) لابن حيان ، و (طبقات خلفاء الأندلس) لسكن بن ابراهيم الـكاتب ؛ وبضياع هذه المصادر وأمثالها تزداد قيمة الكتاب الذي ننشره .

القسم الثالث : خاتمة المؤلف وفيها يعلن ابن الأبار غايته من تقديم كتابه إلى السلطان أبي زكريا ، فجميع تلك الأمثلة التي ضربهـا لعفو الملوك عن زلل كتابهم هي دون عفو السلطان أبي زكريا عن زلّته ؛ يقول : «كل ذلك بالنسبة إلى الحلم

١ – انظر مثلا الترجمة : ١٩

٢ – انظر الترجمتين : ٧٤ ، ٧٥

٣ – انظر الترجمتين : ٣ ، ٤

٤ – انظر فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن

الإمامي والإسجاح ، كالذبالة باهرت أنوارَ الصبح الوضّاح [1] » ثم يُنهي الخاتمة بإيراد عدة قصائد في مديح السلطان وولي عهده والاعتذار والحمد .

* * *

٤ ـــ عندما نبحث في أسلوب ابن الأبار وطريقته الكتابية يجب أن نعود إلى تلك الصفحات التي تحوي مقدمة (الإعتاب) وخاتمته ، أو تلك التي تحوي تراجم من عرفهم من الكتّاب معرفة شخصية في حياته ، دون سائر الكتاب ، فهناك نجد نماذج من نثر بن الأبار وشعره .

أما نثره فكله مسجوع ، وهو لا يكتفي بأن يعقد السجع بين كل جملتين ، فقد يتعدى ذلك إلى الجمل الثلاث والأربع ، ومن أجل السجع يضطر الكاتب في كثير من الأحيان إلى تقديم ألفاظ حقها التأخير في الجملة ، وتأخير ألفاظ حقها التقديم ، ثم هو يعتمد كثيراً على الصور والتشبيهات ، ولغرامه بهذه المحسنات البيانية يكرّر أحياناً الفكرة الواحدة في صور من التعبير متنوعة ، وهو يضمّن نثره كثيراً من الشعر المأثور ، ينثره حيناً نثراً في ثنايا جمله ، أو يورده حيناً آخر دون أن ينثره ، وتتوالى في نثره الأمثال الكثيرة والآيات القرآنية وفواصلها ، فأسلوبه في الجملة يستجيب لذوق عصره الذي يتطلب إسرافاً في التزويق والصنعة .

وأما شعره فهو من المدرسة اللفظية أيضاً ، يقوم على تزيين المبنى فيكثر من الجناس كثرة ملحوظة ، ومن أوجه المحسنات البديعية الأخرى ، أما الأبحر فهي

ـــــــــــــ

١ ـ انظر خاتمة ابن الأبار لكتاب الإعتاب .

متوسطة أو قصيرة ، ولا بد من الاعتراف بأن قصائده ومقطّعاته التي مدح بها السلطان أبا زكريا وولي عهده لا ترتفع إلى مستوى شاعريته في قصيدته السينية[١] التي أنشدها بين يدي السلطان الحفصي نفسه واستصرخه فيها لنجدة بلنسية ، فتلك قصيدة جميلة شهيرة عارضها جمع من الشعراء ، وأُغرم الناس — كما يقول ابن سعيد[٢] — بحفظها وإنشادها .

* * *

٥ — لكتاب (الإعتاب) الذي ننشره اليوم لأول مرة قيمة محققة : فهو مصدر تاريخي يكشف لنا عن حياة عدد كبير من الكتاب والوزراء في الدول العربية الاسلامية في الشرق والغرب ، وقد يقدم لنا أحياناً معلومات لا نجدها في مصدر آخر ، تزيدنا علماً بحياة تلك الشخصيات السياسية التي لعبت أدواراً هامة في تاريخ الحضارة الاسلامية ، وتنير لنا جانباً من النظم والتقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين وأعمالها في دول العالم الاسلامي ؛ وكتاب (الإعتاب) بذلك كله يأخذ مكانه إلى جانب (كتاب الوزراء والكتاب) للجهشياري و(كتاب الفخري في الآداب السلطانية) لابن الطقطقى و (كتاب الوزراء) للصابي ، غير أن ابن الأبار يشقّ مع ذلك في كتابه طريقاً جديداً ، فهو لا يهتم بتقديم تراجم كاملة لمن يكتب عنهم ، ذلك أن هنالك فكرة موجِّهة لعمله كله تتلخص في (إقالة العثرة وإعتاب

١ — نصها الكامل في نفح الطيب : ٦ / ٢٠٠ — ٢٠٤ وأزهار الرياض : ٣ / ٢٠٧ — ٢١٠ وابن خلدون : ١ / ٣٩٢ — ٣٩٤ وهي تمد ٦٧ بيتاً .

٢ — نفح الطيب : ٤ / ٢٨٢

المسيء)، واهتمام ابن الأبار منصرف إلى تقصي كل ماله صلة بهذه الفكرة في تراجم الكتّاب وقصص حياتهم قبل كل شيء آخر !

ثم إن لكتاب (الإعتاب) قيمة أدبية أيضاً بما يتضمن من قصائد شعرية ومقطّعات ، وبما فيه من رسائل بذل الكتّاب في تحبيرها جهوداً لاحدّ لها ، لكي يستطيعوا أن يرققوا بها قلوب أسيادهم الغاضبين وينالوا عفوهم ورضاهم ؛ أما أشعار الكتّاب فقد أشاد النقاد بحلاوتها وجمالها : يقول ابن رشيق :«الكتّاب أرق الناس في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيفاً، وأحلاهم ألفاظاً ، وألطفهم معاني ،وأقدرهم على تصرّف ، وأبعدهم من تكلف ، وقد قيل : الكتّاب دهاقين الكلام [1] » .

ولكتاب (الإعتاب) أخيراً قيمة إنسانية ، ذلك أن موضوعه قريب من موضوع كتاب التنوخي في (الفرج بعد الشدة) وكتاب الشابشتي في (اليسر بعد العسر [2]) ، وهذه المؤلفات كلها تعالج موضوع زوال المحنة وانكشاف الشدة ، وهي بذلك تعين الإنسان على أن ينظر إلى الحياة ومصائبها الكثيرة نظرة تفيض بالأمل والتفاؤل والإشراق ، وتحثه على الصبر والنضال ، وفي ذلك تخفيفٌ من آلام الانسانية وحضّ لها على موالاة السير في طرق العيش والعمل والجد والتقدم.

هذه الفوائد التاريخية والإنسانية هي التي لفتت نظرنا إلى الكتاب وقيمته ، وشجعتنا على تحقيقه والعناية به، ودفعت مجمع اللغة العربية بدمشق إلى نشره وتقديمه في جملة مطبوعاته .

---

١ – العمدة : ٢ / ١٠١

٢ – انظر كتاب (الديارات) – المقدمة : ص ١٨

— ٤ —

النسخ المخطوطة

وعملنا في التحقيق

١ ــ غاية ماعرفناه بعد البحث عن مخطوطات الكتاب أنّ هنالك أربع نسخ مخطوطة له ، حصلنا على صور ثلاث منها وهي : نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهي التي نرمز لها بالحرف (ق) ، ونسخة مكتبة الاسكوريال، ونرمز لها بالحرف (س) ونسخة مكتبة الرباط ، ونرمز لها بالحرف (ر) ؛ أما النسخة الخطية الرابعة فقد رآها أحد أصدقائنا في مكتبة خاصة في المغرب ، وحاولنا جهدنا أن نحصل على صورة فوتوغرافية لها دون جدوى ، وعند ذلك رحنا نراجع الصفحات التي نقلها ذلك الصديق منها ، ونقارنها بما لدينا من نسخ ، فاتضح لدينا أنّ المخطوطة الرابعة لا تزيد شيئاً عن الأصول التي وصلنا إليها ، ولهذا بدأنا العمل معتمدين على هذه الأصول الثلاثة ، ونقدّم فيما يلي وصفاً لها .

* * *

٢ ــ النسخة الخطية (ق) : نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة (الخزانة

التيمورية ـــ تاريخ رقم ٧٧٨) ، وهي نسخة تامة ، كتبت بخط مغربي واضح مقروء ، وليس في استطاعتنا أن نعرف تاريخ كتابتها ، وعلى الصفحة الأولى نجد ختماً بيضيَّ الشكل يحوي هذه الجملة (وقف أحمد بن اسماعيل ... بن تيمور بمصر) وعلى الصفحة الأخيرة مثل هذه العلامة ، وفي الصفحة الأولى ، وتحت عنوان الكتاب ، نجد أسطراً بخط مغاير لخط النسخة ، تحوي ترجمة خاطفة المؤلف .

عدد أوراق هذه النسخة ٥١ ورقة ، ولكنها مرقمة بالصفحات (١٠٢ صفحة) وفي كل صفحة ٢٥ سطراً .

هذه النسخة سليمة ، والناسخ يبدو دقيقاً ، فأكثر الألفاظ مشكولة وعناوين التراجم مكتوبة بخط متميّز أكبر ، وعلى هامش الصفحات نجد تعليقات متأخرة ، بخط مختلف ، لبعض من قرأ الكتاب ، وفي هـــذه التعليقات تصحيحٌ لبعض الألفاظ ، أو نصيحة بالوقوف ملياً عند هذا الخبر أو ذاك : (قف على هذا الخبر..)

تبدأ هذه النسخة بالعنوان : «رسالة إعتاب الكتّاب للإمام الكاتب الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي ، عرف بابن الأبار ، رحمه الله تعالى » وفي الصفحة الأولى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد : قال الشيخ الفقيه الحافظ الحافل ... » وتنتهي النسخة بما يلي : « نجزت الرسالة الموسومة بإعتاب الكتاب ، صنعة الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه » .

لصحة هذه النسخة ووضوح الكتابة فيها وسلامتها ، ولترجيحنا أنها أقدمُ النسخ الثلاث ، جعلناها المخطوطة الأم للطبعة التي حققناها .

* * *

٣ ـــ النسخة الخطية (س) : نسخة مكتبة الاسكوريال بضاحية مدريد ، وقد حصلنا على صورة فوتوغرافية لهذه النسخة ، نقلاً عن (ميكرو فيلم) يملكه «معهد الأبحاث[١] » في باريس ، والمخطوط الاسباني يحمل هذا الرقم (القسم العربي : ١٧٣١) ، وعدد أوراقه ٧٨ ورقة ، وفي كل صفحة ٢١ سطراً ، والخط فيها مغربي جميل واضح أعاننا على تصحيح كثير مما غمض علينا فهمه في النسخة السابقة.

الصورة التي حصلنا عليها من معهد الأبحاث لاتحوي الصفحة الأخيرة من النسخة الأصلية ،ولقد ظننا حيناً أن نسخة الاسكوريال ناقصة ، لولا أننا رأيناها تامة في زيارتنا للاسكوريال ، وتأكدنا من أن (الميكرو فيلم) الذي أخـــذنا صورته هو الناقص وحده ، وأن النسخة الأصلية كاملة سليمة .

تبدأ هذه النسخة بالعنوان : «إعتاب الكتّاب للقاضي أبي عبد الله بن الأبّار رحمه الله » وفي الصفحة الأولى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم : قال الشيخ الأجل الفقية العلاّمة . . . » وتنتهي النسخة بقوله : « كمل الكتاب ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً »

* * *

١ - « L'Institut de recherche et d'histoire des textes »

٤ ــ النسخة الخطية (ر) : نسخة المكتبة العامة في الرباط، تحمل الرقم (٤٠٩)، وهي نسخة تامة ولكن خطها المغربي ليس في جمال خط النسخة السابقة، فالكلمات هنا متراكبة، وقد تسرّبت الرطوبة إلى كثير من الصفحات فأفسدت كتابتها، وأصبح من الصعب قراءتها.

عدد أوراق هذه النسخة ٦٠، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً، وقد أحيطت الكتابة في كل صفحة بخطوط تؤلف إطاراً مستطيلاً، وقد توصل المستشرق ليفي بروفنسال[1] إلى قراءة تاريخ كتابة النسخة : (٢٣ من ذي الحجة ١٢٦٤ هـ) فهي إذاً متأخرة في أغلب الظن عن نسختي القاهرة والاسكوريال، وهي إلى ذلك كثيرة الأخطاء النحوية والإملائية، مما يدل على جهل الناسخ لها، وذلك أنه يكتب «منصوبة ومبتغا» مثلاً بدل «منسوبة ومبتغى» ؛ ثم إننا نلاحظ نقص كثير من الكلمات في هذه النسخة، بينما حرص الناسخ على أن يثبت في رؤوس أكثر الصفحات، إلى الزاوية اليمنى خارج الإطار المستطيل، عبارة «اللهم صلِ على محمد وآله» وجاء بعده آخرون فأضافوا بعض التعليقات على الهامش أيضاً.

تبدأ النسخة بقوله : «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، أما بعد حمد الله الذي يعفو عن السيئات ...» وتنتهي بقوله «نجزت

١ ــ انظر فهرس مخطوطات الرباط : ص : ١٤٩ - ١٥٣

(Les manuscrits arabes de Rabat de Mr. Lévi – Provençal)

الرسالة الموسومة بإعتاب الكتاب ، صنعة الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، رحمه الله تعالى ورضي عنه . آمين » .

* * *

٥ — ونوجز ، فيما يلي ، الطريقة التي اتبعناها في تحقيق الكتاب : فقد اتخذنا نسخة القاهرة الخطية (ق) أساساً لعملنا ، فنقلنا عنها متن الكتاب ، مستفيدين في الوقت نفسه من الروايات المختلفة التي قد تجيء في النسختين الأخريين ، بحيث كنا ننقل منهما إلى المتن ما نرجّح صحته وتصويبه ، على أن نذكر في الحواشي بقية الروايات .

وقد رتبنا التراجم الواردة في الكتاب ، فأعطينا كل ترجمة رقماً متسلسلاً ؛ وفصلنا بين أقسام الكتاب : المقدمة والتراجم والخاتمة ، فصلاً ظاهراً ، يريح القارىء ، ويسهّل عليه الرجوع إلى ما يبتغيه من الكتاب .

وقد شرحنا الغريب وما بدا لنا صعباً من الألفاظ والتراكيب ، وضبطنا الشعر بالشكل التام وأشرنا إلى بحور أبياته ، ولمّا كان ابن الأبّار في أغلب الأحيان حريصاً على ذكر مصادره التي استقى منها ، فقد رحنا نسعى وراء ما وصل إلينا من تلك المصادر ، لنقارن بها النصوص التي نحققها ، حتى إذا لم يذكر ابن الأبار مصدراً ما اضطررنا إلى العودة إلى كتب الأدب والتاريخ في الشرق والغرب العربيين ، لنتقصّى فيها المواطن التي نقل منها ابن الأبار ، أو اختصر ما نقله ، على

أن نثبت في الحواشي من اختلاف الروايات ما يبدو لنا نافعاً ومعيناً على زيادة نصوص ابن الأبار وضوحاً وإبانة .

وابن الأبار لم يهتم في تراجم الكتّاب بإيراد سني الوفيات ، وقد حاولنا أن نسدّ هذه الثغرة ، لتتضح حدود العصور التي عاش فيها الكتّاب الذين تُرجم لهم ، ولهذا أضفنا حاشية خاصة عند بدء كل ترجمة ، لتحديد سنة الوفاة وذكر المصادر الأخرى التي تترجم للكاتب ، وإحالة القارىء على صفحاتها ، غير أننا اقتصرنا في كثير من الأحيان على الإحالة على كتاب (الأعلام) للزركلي وحده ، ذلك أن الطبعة الجديدة الحافلة من هذا الكتاب قد تكفّلت بذكر المصادر التي تترجم لكل علم من الأعلام ، ولهذا كانت الإحالة على كتاب (الاعلام) تتضمن الإحالة على المصادر الأخرى المذكورة فيه .

ولقد عمدنا أخيراً إلى عمل فهارس كثيرة ومنوّعة للكتاب ، تيسّر على القارىء الرجوع إلى التراجم والوصول إلى ما يريد منها .

وكتبنا مقدمة عن حياة ابن الأبار وعصره وآثاره[1] ، وعن وصف كتاب

---

١ – لترجمة ابن الأبار تُراجع المصادر التالية :

١ – أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري : ٣ / ٢٠٤ – ٢٢٥

٢ – نفح الطيب المقري : ٢ / ٣٤٦ – ٣٥٠ ، ٤ / ٢٨٢ ، ٦ / ٥٤

٣ – تاريخ ابن خلدون (القسم الأخير : تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب) ١ / ٣٩١ – ٣٩٤ ، ٤٢٩ – ٤٣١ :

٤ – تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي : ٢٠ – ٢٧

٥ – عنوان الدراية للغبريني : ١٨٣

٦ – فوات الوفيات لابن شاكر : ٢/٤٠٠ =

(الإعتاب) وتحليله، والنسخ الخطية التي وصلت إلينا منه، وعملنا في تحقيقه والتعليق عليه.

* * *

٦ ـــ وبعد فهذا الكتاب الذي نحققه اليوم، ويتولى مجمع اللغة العربية بدمشق ـــ مشكوراً ـــ نشره وتقديمه إلى الناس، يُطبع أوّل مرة، ورجاؤنا أن يحتل مكانه بين كتب التراجم والمصادر التاريخية والأدبية ...

والكتاب حين يجمع بين كتاب الشرق العربي والغرب العربي، إنما يحمل في طياته من القرن الهجري السابع، معنى نبيلاً من معاني الرباط القومي الذي يجمع الوطن العربي الكبير، مهما تناءت أصقاعه، في وحدة جامعه لا انفصام لها.. فإلى دعاة هذه الوحدة العربيه الجامعة، من أرباب الفكر في كل قطر عربي، أهدي هذا الجهد المتواضع.

دمشق – كلية الآداب

صالح الأشتر

= ٧ – الوافي بالوفيات للصفدي: ٣ / ٣٥٥
٨ – هدية العارفين لاسماعيل البغدادي: ٢ / ١٢٧.
٩ – تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: ٣ / ٧٧ - ٧٨
١٠ – الأعلام للزركلي: ٧ / ١١٠ و ١٠ / ٢٠٩
١١ – ابن الأبار – حياته وكتبه: لعبد العزيز عبد المجيد
١٢ – المجلة الاسلامية (مقالة محمد بن شنب): ٢ / ٣٧٤ – ٣٧٥
١٣ – تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١/٣٤٠ – ٣٤١ والملحق: ١ /٥٨٠ – ٥٨١

إعْتابُ الكُتّابِ

لأبي عبدِ اللّٰهِ محمّدِ بن عبدِ الله بن أبي بكرٍ القُضاعيّ
المعروفِ بابنِ الأبّارِ
المتوفى سنة ٦٥٨ هـ

نماذج مصورة

للأصول الخطية للكتاب

١ — مخطوطة القاهرة

٢ — مخطوطة الاسكوريال

٣ — مخطوطة الرباط

نموذج رقم : ١



الورقة : ٤٧ من نسخة القاهرة المرموز إليها بالحرف (ق)

(انظر الصفحات : ١٤٤ - ١٤٦ من الكتاب)

﴿ إعتاب الكتاب لابن الأبار ﴾

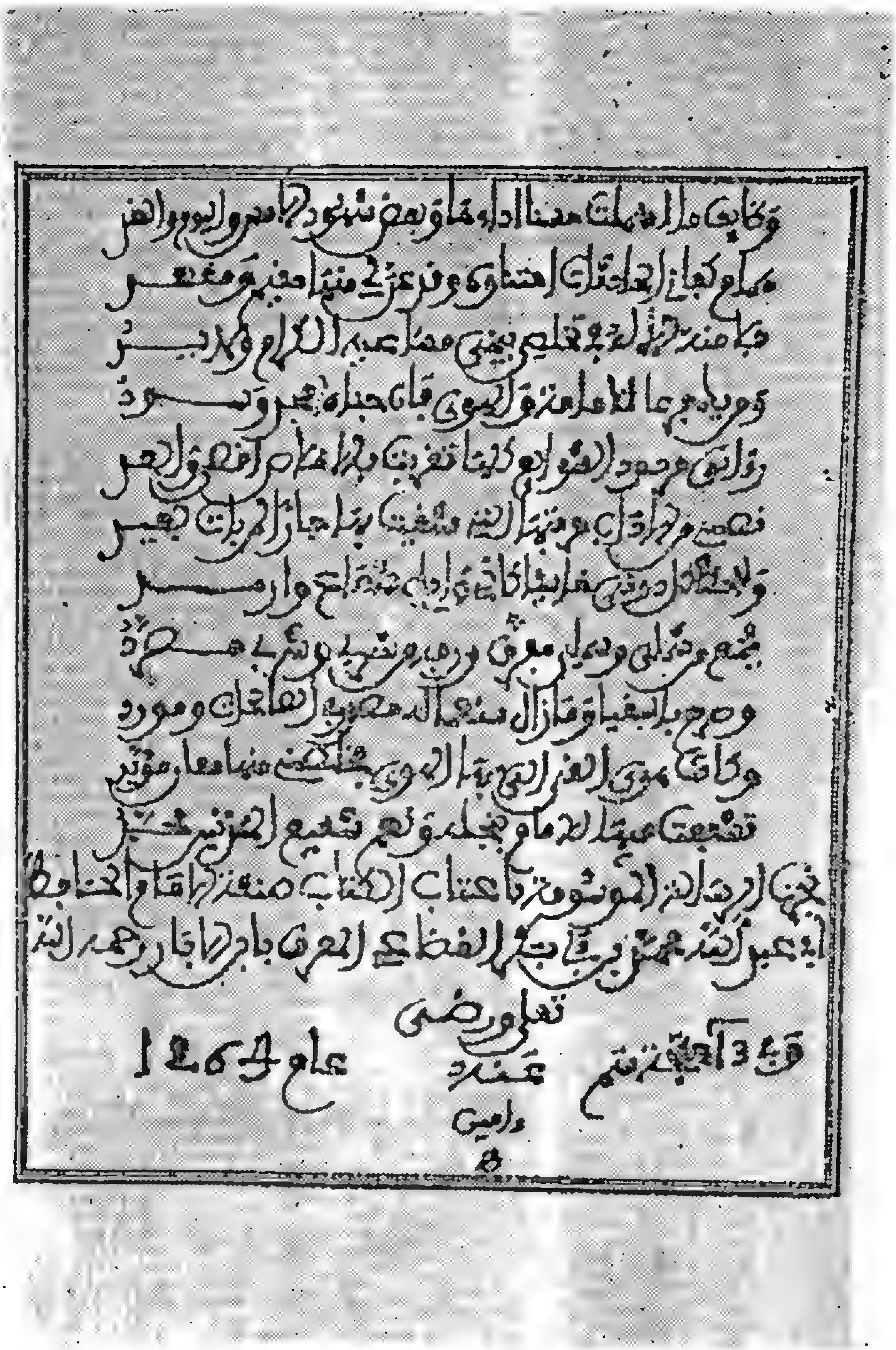
نموذج رقم : ٢



الورقة : ١ ظ من نسخة الاسكوريال المرموز إليها بالحرف (س)

(انظر الصفحات : ٤٣ – ٤٤ من الكتاب)

نموذج رقم : ٣



الورقة : ٦٠ و من نسخة الرباط المرموز إليها بالحرف (ر)

(انظر الصفحات : ٢٦١ — ٢٦٢ من الكتاب)

﴿ إعتاب الكتاب لابن الأبار ﴾

بيان الرموز المستعملة

(ق) : إعتاب الكتاب ، مخطوطة القاهرة

(س) : إعتاب الكتاب ، مخطوطة الاسكوريال

(ر) : إعتاب الكتاب ، مخطوطة الرباط

ص : صفحة

/ : خط مائل نثبت على يمينه رقم الأجزاء وعلى يساره رقم الصفحات

الأصول : مجموعة النسخ الخطية : (ق) و (س) و (ر)

‖ : نهاية الصفحة من المخطوطة (ق) وابتداء الأخرى ، وعلى هامش الصفحة من الكتاب رقمها داخل قوسين معقوفين [ ]

[ ] : في المتن لإضافة ماليس في (ق) مع الإشارة في الحواشي إلى مصادر الإضافات

أما مختصرات الفهارس من عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها فقد أرجأنا بيانها إلى فهرسي الأعلام والمراجع .

[مقدمة المؤلف]

[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد[١]

قال الشيخ الفقيه الحافظ الحافل المصنّف المحدّث الأديب البارع[٢] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار ، رحمه الله :

أمّا بعد حمد الله الذي يعفو عن السيئات ، والصلاة على محمدٍ رسوله الخاص بسيادة كل ماضٍ وآت ، الحاضّ على اغتفار الهَنَات[٣] ، وإقالة عثرات[٤] ذوي الهيئات ، فهذه نَبْذَةٌ من إعتاب الكتّاب ، وتشفيع الآداب ، تُشْهِرُ كما لهم في الاضطلاع والاكتفاء ، وتشهد بما لهم عند الأمراء والخلفاء ، من كريم الاختصاص ولطيفِ الإحتفاء ؛ وكيف لا يكونون كذلك ، وهم مَقاوِلُ

---

١ — في (ر) صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله .

٢ — في (س) قال الشيخ الأجل الفقيه العلاّمة المحدّث التاريخي المصنف الحافظ ، وفي (ر) كل ذلك مطموس.

٣ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) على النيات ، وفي الهامش : لعله على الأناة .

— رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) . العثرات .

الدول وألسنةُ الممالك ، مُفردهم في الإفصاح ، يعدِلُ جمعَ الكفاح ، وقصبهم الضعيفِ يُقاوي صُمَّ الرماح، ويُقاوم ذُلْقَ الصفاح . ربَّ كتيبةٍ فضّها كتاب، وخَطْبٍ صرعه خطابٌ فانجاب، وأملٍ دعابه إملاءٌ فأجاب ، ولله درُّ قائلهم[1] ، يذكر بعض فضائلهم :

إذا ما جَرَدْنا وانتضَيْنا صوارماً ... يكادُ يُصِمُّ السامعين صريرُها

تظل المنايا والعطايا شوارعاً ... تدور بما شئنا وتمضي أمورُها

تُساقط في القرطاس منها بدائعاً ... كمثل اللآلي نظمُها ونثيرُها

تقودُ أبياتِ البيانِ بفطنةٍ ... تَكَشَّفُ عن وجه البلاغة نورُها

إذا ما خطوب الدهر أرخت سُتُورَها ... تجلّت بها عمّا يُحَبُّ سطورُها[2]

وقال الشعبي[3] : أربعةٌ كانوا كُتّاباً صاروا خلفاء : عثمانُ وعليٌّ ومعاويةُ وعبدُ الملك بنُ مروان .

وحكى سكن بن إبراهيم الكاتب[4] ، في كتابه المؤلف في (طبقات الخلفاء

---

١ - القائل هو سليمان بن وهب الكاتب، والأبيات من الطويل ، وقد وردت معزوةً إليه في (أدب الكتّاب للصولي : ٨٩ - ١٠) على اختلاف في رواية بعض الألفاظ ، وتجد في (الإعتاب) ترجمة لسليمان بن وهب : الترجمة : ٣٦

٢ - في الأصول كلها وفي (أدب الكتّاب) : ستورها ، ولكن إرادة الجناس المقصود هنا يرجّح لدينا هذا التصحيح .

٣ - هو الفقيه المحدّث الكوفي عامر بن شراحيل (١٩ - ١٠٣ هـ) ، راوية من التابعين ومن رجال الحديث الثقات ، اتصل بعبد الملك ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . الأعلام : ٤ / ١٨ - ١٩ والمعلمة الاسلامية : ٤ / ٢٥٢ - ٢٥٣

٤ - كان كاتباً لبدر حاجب الناصر : البيان المغرب : ٣ / ١٦٥

بالأنداس [1]) أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لابنه الوليد : لوعَداكَ ما أنت فيه ما كنتَ مُعوِّلاً عليه من دهرك؟ قال: فارس حرب! ثم قال لسليمان : فأنت؟ قال : كاتب سلطان! ثم قال ليزيد : فأنت؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ماتركا حظاً لمختار!

وعالَمٌ لاتحصىٰ أسماؤهم سَمَوْا بالبيان ، وبنوا بيوتَ مجدهم بالأقلام أوثقَ البُنْيان ، ثم إلى هذه الحسنى زيادة ، لها بشرف الصناعة إشادة ، وهي ما غَنِيَ عن الاستقصاء بالاستقراء ، من تَقَصِّي العصر بعد العصر ، عن أفرادٍ من الكتّاب ، وأعدادٍ من الشعراء ، « أمُّ الصَّقْر مِقْلاةٌ نَزُور [2] » ، وقَلّما تلاقىٰ الفنّانِ : منظومٌ ومنثور ، فإذا جُمِعا في واحد ، لم تَجد لفضله من جاحد ؛ وصَنْفٌ منهم حُسَّابٌ ، لاتقع بغير كفايتهم ‖ أحسابٌ ؛ بينهم مِن حَمْلِ اليَراع [٣] وفضلِ الطباعِ أسبابٌ واصلة وأنسابٌ . قليلاً مايخلو من صدورهم صَدْرُ ديوان ، ولاتخلو محاسنه إلا تلا إحسانهم وجه أوان ، وكثيراً ما احتملت بوادرهم ، واستُحليت نوادرهم ، وقُبلت جيئاتهم وأوباتُهم ، واستُدركت أخذَاتهم ونكباتهم ، إلى ماسُدل عليهم من أثواب الرعايات ، وسُدَّ عنهم من أبواب السعايات . وقد عفا رسول الله

---

١ — لم يصل هذا الكتاب إلينا ، وابن حيّان ينقل عن مؤلفه في كتاب المقتبس : ٣ / ٣ ، ١٠٤

٢ — للعباس بن مرداس :

بُغاثُ الطير أكثرُها فراخاً وأمُّ الصقر مقلاةٌ نَزُورُ

من الوافر المقلاة : التي لا يكثر فرخها ، ونزور من النزر وهو القليل ، ومعنى البيت : أن شرار الطير ومالا يصيد منها كثيرة الفراخ ، أما أم الصقر فهي مع قوتها قليلة الأولاد . انظر حماسة أبي تمام : ٢ / ٢١ .

ﷺ عن كاتبه ابن أبي سَرْح [١] ، وقصّة ارتداده لا يَفْتَقِرُ إيضاحُها إلى شرح [٢] .

ولمّا كانت المَحْظُوظة من الأدب والعلم ، المخصوصة بما يجب لله ورسوله من الأَنَاةِ والحِلم ، التي نَظَمت الندى إلى البأس ، وكظمت الغيظ وعفت عن الناس ، حضرةُ مولانا الخليفة الإمام الهادي ، المبارك المرتضى ، أبو زكرياء [٣] أدام الله بها استظهار الإيمان والإسلام ، وافتخار الأسياف والأقلام ، ولا أعدَمَها استمرارَ نصرِ الألوية والأعلام ، وكنتُ ممّن فاض على إساءته إحسانُها عدّاً ، وأدّه تأمينُها وامتنانُها وقد جاء شيئاً إدّاً ، وسمتُ هذه الرسالة [باسمها العالي [٤]] ورسمتُ من إغْضَائها في إغضابها مالم يقع في العَصْر الخالي ، زاجراً ميامين طيرها ، وناظراً أفانينَ خيرها ، لأكون كيزيدَ بن مَزْيَد [٥] ، عندما رضي هرون الرشيد عنه [٦] ، وأذن له في الدخول عليه ، فلما مَثَل بين يديه قال : الحمد لله الذي سهّل لي سبيلَ الكرامة بلقائك ، وردّ عليّ النعمةَ بوجه الرضا منك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سُخطك جزاءَ المُتَثَبِّتينَ المُراقبين ، [و [٧]] في حال رضاك

١ – عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي المكي ، أخو عثمان بن عفان من الرضاع ، أسلم قبل فتح مكة ، وهو أحد كتّاب الوحي للنبي ، وولي مصر وفتح إفريقية ، ومات سنة ٣٧ هـ . الأعلام ٤/٢٢٠–٢٢١

٢ – انظر قصة عفو النبي عن كاتبه عبد الله بن أبي سرح في العقد : ٤ / ٢٤٧ – ٢٤٨

٣ – السلطان الحفصي : انظر مقدمة المحقق ص : ١٠ – ١٥

٤ – زيادة من (س) و (ر)

٥ – يزيد بن مزيد الشيباني أمير من القادة الشجعان الكرماء ، وجهه الرشيد إلى قتال الخوارج فأوقع بهم ، وتوفي في أذربيجان عام ١٨٥ هـ . الأعلام : ٩ / ٢٤٤

٦ – انظر الخبر في العقد : ٢ / ٢٢ – ٢٣

٧ – زيادة من (ر)

جزاءَ المُنعِمين المُتَطوِّلين، فقد جعلك الله — وله الحمدُ — تَتَثَبَّتُ تَحرُّجاً عند الغضب، وتَمتَنُّ تطوُّلاً بالنِّعَم، وتَستَبقي المعروفَ عند الصنائع، تفضّلاً بالعفو، فإني الآن كالذي وَجَد عليه عبد الملك بن مروان [1] فجفاه واطَّرَحه، ثم دعا به ليسأله عن شيء، فرآه شاحباً ناحلاً، فقال له: منذ متى اعتللت؟ قال [2]: مامسّني سقمٌ، ولكني جفوت نفسي، إذ جفاني أمير المؤمنين، وآليت ألاّ أرضى عنها حتى يرضى أميرُ المؤمنين عني! فأعاده إلى حسن رأيه فيه.

ولن أكفَّ شافعاً في نفسي، ودافعاً بِراحة رجائي في صدر يأسي، أو ألحق بمشيئة الله شأوَ رجلٍ من أهل الكوفة دخل على أبي جعفرٍ المنصورِ، يشفع في مسخوطٍ عليه، فشفّعه فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في تقبيل يدك، فإنها أحقُّ يدٍ بالتقبيل، لِعلُوِّها في المكارم، وطُهُورِها من المآثم، وإنك ياأمير المؤمنين، لَقليل التثريب، كثيرُ الصفح عن الذنوب، فمن أرادك بسوء فجعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك، فأعجب به المنصور وقَرّبه.

ومولانا — أيّد اللهُ أمرَه — أسجحُ طباعاً، وأفسحُ في الفضائل باعاً، ما زال يَشرُفُ احتراماً واصطناعاً، ويُعرف إحساناً وإقناعاً، وحُقَّ لمن عوّل على عدله المأمون، وتوسّل بفضله المضمون || [٤]، ثم بنجله المبارك الميمون، أن يجتليَ وجه القَبُول المأمول سافراً، ويطمئنَّ مُقيماً بما انزعج مسافراً، فإنما دعا

١ — انظر الخبر في العقد: ٢ / ٣٠

٢ — العقد يجعل بعض قوله شعراً من السريع:

مامسّني سُقمٌ ولكنني ... جفوتُ نفسي إذ جفاني الأميرْ

للتَّوْبِ قابلاً ، وللذنب غافراً ، وسعى للعَوْدِ بالخلاص الدّائب [١] ، من ظُفْرِ الحادث وناب النائب ظافراً ، لازالت أهاضيبُ نواله دائمةَ السُّفوح والهُتون [٢] ، وأحاديثُ كماله صحيحةَ الأسانيد والمتون ، ودام وليُّ عهده ، وخلاصةُ مجده ، المهنّأُ بمعالي الأمور ، والمهيّأُ لافتتاح المعمور ، وَهَدْيِهِ ونجدِهِ ، نظامُ الدين والدنيا ، الأميرُ الأسعدُ الأعلى ، الأظهرُ الأَرْضىٰ ، أبو يحيى [٣] ، يقتفي مذاهبَه ، ويَصْطفي مناقبَه ، حتى يَفْرَعَ [٤] النجمَ [٥] جلالاً جلياً ، ويرفعَ العلمَ مكاناً علياً ، وهذا ابتداءُ المقصود ، وإنجازُ الموعود .

---

١ - رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) الذائب .

٢ - سفح وهتَن سُفوحاً وهُتوناً : سال وانصب انصباباً

٣ - الأمير زكريا أبو يحيى ولي عهد أبيه السلطان وشفيع ابن الأبار لديه ، انظر مقدمة المحقق : ص ١٤

٤ - يعلو النجم شرفاً ومجداً وجلالاً

٥ - رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) للنجم

[تراجم الكتّاب]

١ – مروان بن الحكم[1]

كتب لعثمان رضي الله عنه، واستولى عليه؛ وكان عثمان يولّي بني أمية، فيجيء منهم ما يُنكَر، ويُستَعْتَبُ فيهم فلا يعزلهم؛ فلما شكا أهلُ مصر عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ[2] وتظلّموا منه، عزله واستعمل مكانه محمدَ بن أبي بكرٍ الصدّيق[3]، فعثر في طريقه، هو وأصحابُه، بعد مسيرة ثلاثٍ، على غلام يَخْبِطُ بعيرَه، كأنه هاربٌ أو طالب، ووجهُه إلى مصر، أخبرَهم مرةً أنه لعثمان، وأخرى لمروان، ولم يجدوا معه إلا إداوةً[4] قد يَبِسَت، فيها شيء

---

١ – الخليفة الأموي الرابع (٢ – ٦٥ هـ) ولد في مكة، وأدرك النبي وهو صبي، وولي إمارة المدينة مرات، ثم كتب لعثمان كما ترى، وبويع له بعد اعتزال معاوية الثاني الخلافة، وتوفي في دمشق بالطاعون، وقيل: بل مات خنقاً. الأعلام: ٨ / ٩٤ والمعلمة الاسلامية: ٣ / ٣٥٤ – ٣٥٥

٢ – انظر ما تقدم: ص ٤٦، حاشية: ١ و ٢

٣ – محمد بن عبد الله (١٠ – ٣٨ هـ) ابن الخليفة الراشد الأول، شهد مع علي وقعتي الجمل وصفين، وولي إمارة مصر، وقبض عليه جيش معاوية هناك وقتله لمشاركته في دم عثمان. الأعلام: ٧ / ٨٩

٤ – الإداوة: إناء صغير من جلد.

يتقلقل ، فشقّوها فإذا كتابٌ إلى ابن أبي سرحٍ بالقَرارِ على عمله وبإبطال كتاب محمد بن أبي بكر ، والإحتيال لقتله ومن معه [١] ؛ فرجعوا إلى المدينة ، وعرّفوا عثمانَ ، فحلف ما كتب الكتابَ ولا أمر به ، ولا علِمَ ؛ وعرفوا أنه خطُّ مروانَ ، فسألوه أن يدفعه إليهم ليمتحنوه و ينظروا في أمره ، فأبى عثمانُ أن يُخرِجَ مروان ، وخشيَ عليه القتل ، فكان ذلك سببَ حصاره .

وحكى الجاحظ قال [٢] :قال يزيدُ بن عياض : لمّا نقَم الناسُ على عثمان ، خرج يتوكأ على مروان وهو يقول : « لكلّ أُمّةٍ آفةٌ ، ولكلّ نعمةٍ عاهةٌ ، وإنّ آفةَ هذه الأمّة عيّابون طعّانون ، يُظهرون لكم ما تُحبون ، ويُسِرّون ما تكرهون ، طَغَامٌ مثل النّعام ، يتبَعُون أولَ ناعق . لقد نقَموا عليَّ ما نقموا على عمر ، ولكنْ قمَعَهم ووقَمَهُم [٣] ؛ والله إني لأقربُ ناصراً ، وأعزُّ نفراً ؛ فَضِلَ فَضْلٌ من مالي ، فمالي لا أفعل في الفضل ما أشاء [٤] » . .

وشهد مروانُ يومَ الدار ، ثم يومَ الجمل ، وولِيَ المدينةَ لمُعاويةَ مرّتين ، ثمّ بويع له بالشام ، بعد معاويةَ [٥] بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ .

١ – انظر الخبر ونص الكتاب في الجهشياري : ٢١ – ٢٢ والعقد : ٥ / ٤٥

٢ – انظر البيان والتبيين ١ / ٣٥٣

٣ – أي قهرهم وأذلهم ، وفي الأصول (ووقفهم) وآثرنا رواية البيان والتبيين .

٤ – يشير إلى المال الذي آثر به مروان بن الحكم ، وكان ذلك من مآخذ الثائرين عليه .

٥ – معاوية الثاني (٤١ – ٦٤ هـ) ثالث خلفاء الأمويين ، شعر بعد أربعين يوماً من مبايعته بالخلافة بالضعف وقرب الأجل فاعتزل وتخلى عن الخلافة ، ومات بعد قليل . الأعلام : ٨ / ١٧٥ – ١٧٦

٢ ـ زياد بن أبي سفيان[١]

[٥] || كتب للمُغيرة بن شُعْبَة[٢] ، ثم لأبي موسى الأشعري[٣] ، في استعمالها على الكوفة . وذكر حُوَيْرِثة بن أسماء أنّ أبا موسى [الأشعري[٤]] كتب إلى عمر رضى الله عنه أنّ المال كَثُر من يأخذه، فلسنا نُحصيه إلا بالأعاجم ، فاكتب إلينا بما ترى ؛ فكتب [إليه عمر[٥]] : « لا تُعيدوهم في شيء سَلَبَهُم اللهُ إيّاهُ ، واخشوهم على دينكم ، وأنزلوهم حيث أنزلهم الله ، وتعلَّموا فإنما هي الرجالُ » ؛ فاستكتب زياداً .

ويُروى[٦] أنّ عمر استقدم أبا موسى ، فاستخلف زياداً على عَمَله ، فقال له : استخلفتَ غُلاماً حَدَثاً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ضابِطٌ[٧] لِما وُلِّي ، خليقٌ بكل خير ؛ فكتب عمر إلى زيادٍ يأمُرُه بالقُدوم عليه ، وباستخلافه على

---

١ ــ زياد بن أبيه (١ - ٥٣ هـ) أدرك النبي ولم يره ، اختلف في اسم أبيه ، ثم ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى ، وولاه العراقين إلى أن توفي ، وكان مشهوراً بدهائه وذكائه . الأعلام : ٣ / ٨٩ - ٩٠ المجلة الاسلامية : ٤ / ١٣٠٢ - ١٣٠٣

٢ ــ المغيرة بن شعبة الثقفي (٢٠ قبل الهجرة - ٥٠ هـ) أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، شهد الغزوات والفتوحات ، وولاه الخلفاء البصرة والكوفة مرات . الأعلام : ٨ / ١٩٩

٣ ــ عبد الله بن قيس من بني الأشعر (٢١ قبل الهجرة - ٤٤ هـ) صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين ، وأحد الحكمين بعد حرب صفين ، ولي البصرة والكوفة لعمر وعثمان وعلي ، وتوفي في الكوفة . الأعلام : ٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥

٤ ــ زيادة من (س)

٥ ــ زيادة من (س) و (ر)

٦ ــ هذا الخبر منقول عن الجهشياري : ١٧ - ١٨

٧ ــ رواية الجهشياري ، وفي الأصول : حافظ

العمل من يَقُوم به ؛ فاستخلفَ زيادٌ عِمرانَ بنَ حُصَيْن ، وقَدِم عليه ، فقال عمرُ : لَئِن كان أبو موسى استخلف حدثاً ، لقد استخلف الحَدَثُ كهلاً ! ثم دعا بزيادٍ فقال له : ينبغي أن تكتب إلى خليفتك بما يجبُ أنْ يَعمل به ؛ فكتب إليه كتاباً ، ودَفَعَهُ إلى عمر ، فنظر فيه ، ثم قال : أَعِدْ ! فكتب غيره، فقال: أعده! فكتب الثالثَ ، فقال عمر : لقد بلغ ما أردتُ في الكتاب الأوّل ، ولكني ظننتُ أنه قد رَوّى[1] فيه ، ثم بلغ في الثاني ماأردتُ ، فكرهتُ أن أُعلمه ذلك، وأردت[2] أن أَضعَ منه لِئلاّ يَدْخُلَه العُجْبُ فَيَهلِكَ !

ولمّا عزله عمر عن كتابة أبي موسى قال له : أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟ قال : لاعن واحد منهما، ولكنْ كَرِهتُ أن أحمِلَ على الناس فَضْلَ عقلك[3] .

ثمّ كتب لعبد الله بن عامر ، وهو الذي قال له ، وقد حَصِر على منبر البصرة، فشَقّ ذلك عليه : أيّها الأمير ، إنّك إن أقمتَ عامّةَ مَنْ ترى ، أصابه أكثر ممّا أصابك !

وكتب أيضاً لعبد الله بن عبّاس ، ذكر ذلك أبو عمر بن عبد ربه في كتاب (العقد الفريد[4]) من تأليفه ؛ ثم ولِي لعليّ رضي الله عنه فارسَ ، وكان من كبار

١ – أي فكر كثيراً وتريّث
٢ رواية (س) ، وفي (ق) فأردت ، و (ر) فرأيت
٣ – انظر الخبر بألفاظ أخرى عند الجهشياري : ١٩ – ٢٠
٤ – العقد : ٤ / ٣٥٣

أصحابه، إلى أن استلحقه[1] معاوية، وولاّه الكوفة والبصرة، وهو أوّل والٍ جُمع له العراق.

٣ – يحي بن يَعْمَر[2]

روى ابن أبي خَيْثَمة في تاريخه[3]، عن أبي سفيان[4] الحِمْيَري، قال: كان يحي بن يَعْمَر من عَدْوان، وكان كاتب المهلّب[5] بخراسان، قال: فجعل الحجّاج يقرأ كتبه فيعجب، فقال: ماهذا؟ فأُخبر، فكتب فيه، فقدم، فرآه فصيحاً جداً، فقال: أين وُلدتَ؟ فقال: بالأهواز، فقال: فما هذه الفصاحة؟ قال: كان أبي نشأ بِتَوَّجَ[6]، فأخذتُ ذلك عنه[7]، قال: أخبرني عن عَنْبَسَةَ بن سعيد يَلْحَنُ؟

١ – في (ر) استخلفه

٢ – يحيى بن يعمر العدواني (– ١٢٩ هـ) أول من نقط المصاحف، كان من علماء التابعين، عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، وهو من كتاب الرسائل الديوانية، وفي لغته إغراب وتقعر. الأعلام: ٩ / ٢٢٥

٣ – لم يصل إلينا هذا التاريخ، وابن أبي خيثمة هو أحمد بن زهير (– ٢٧٩ هـ) ومولده ووفاته ببغداد، وكتابه (التاريخ الكبير) يقول عنه الدارقطني: لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه. الأعلام: ١ / ١٢٣

٤ – روايه (س) و (ر)، وفي (ق) متين

٥ – في الأصول الثلاثة (المهلّب) والصواب: يزيد بن المهلب، وقد صحبه يحيى إلى خراسان سنة ٨٣ وكتب له: الأعلام: ٩ / ٢٢٥، وانظر ترجمة يزيد بن المهلب (٥٣ – ١٠٢ هـ) في الأعلام: ٩ / ٢٤٦ والمجلة الاسلامية: ٤ / ١٢٢٧

٦ – مدينة بفارس: معجم البلدان: ٢ / ٥٦.

٧ – وفي رواية الجهشياري (ص ٤١): قال: حفظت كلام أبي وكان فصيحاً فأخذت ذلك عنه، وانظر الخبر في البيان والتبيين: ١ / ٣٠٤

قال : كثيراً ! قال : فأنا ألحن ؟ قال : لحناً خفيفاً [١] ، قال : أين ؟ قال : تجعل إنّ أنّ وأنّ إنّ ونحو ذلك .. قال: لاتُساكِنّي ببلدةٍ ، أُخرُجْ ! . .

قال : وعَدْوَانُ مِنْ قَيْس [٢] .

[٦] ورُوِيَ أن الحجاج بعث به إلى خراسان ، وبها || يَزيدُ بن المُهَلَّب ، فكتب إلى الحجّاج: «إنّا لَقينا العَدُوّ ، ففعلنا وفعلنا ، فاضطررناهم إلى عُرْعُرَةِ الجبل [٣] » فقال الحجاج: مالابن المهلّب وهذا الكلام! ويُقال إنه قال : ليس يَزِيدُ بأبي عُذْرِ [٤] هذا الكلام ! فقيل له . إنّ ابنَ يَعْمَرَ قال ذلك ، قال : ذلك إذاً !.

وذكر يُونس بن حبيب النحوي [٥] قال : قال الحجاج لابن يَعْمر : أتسمَعُني ألحنُ على المنبر ؟ قال : الأمير أفصحُ من ذلكَ ، فألحّ عليه ، فقال : حرفاً ، قال : أيّاً ؟ قال : في القرآن ، قال : ذلك أشنع له فما هو ؟ قال : تقول : ﴿ قل إنْ كانَ آباؤُكم وأبناؤُكم — إلى قوله عزّ وجلّ — أحبّ [٦] ﴾ فتقرؤها : « أحبُّ »

---

١ — رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) خفياً

٢ — عدوان : اسمه الحرث بن عمرو بن قيس عيلان : ابن خلكان : ٥ / ٢٢٤

٣ — نصّ الكتاب في البيان والتبيين (١ / ٣٥٤) : « إنا لقينا العدو ، فقتلنا طائفة ، وأسرنا طائفة ، ولحقت طائفة بمراثر الأودية (أسافلها) وأهضام الغيطان (مداخل البساتين) وبتنا بعرعرة الجبل (أعلاه) وبات العدو بحضيضه (أسفله) »

٤ — في البيان والتبيين (١ / ٣٥٤) : مايزيد بأبي عذرة هذا الكلام ، ويقال : هو أبو عُذرها : لأول من افتضّها ، ثم قيل : هو أبو عُذْر هذا الكلام : والمعنى أنه صاحبه واول من قاله .

٥ — انظر الخبر في طبقات فحول الشعراء : ١٣ وابن خلكان : ٥ / ٢٢٣

٦ — آية : ٢٥ من سورة التوبة

بالرفع ، والوجهُ أن تقرأ بالنصب ، على خبرِ كان ، قال : لاجَرَمَ[1] لاتسمعُ لي لَحَناً أبداً ، فألحقه بخراسان ، وعليها يزيدُ بن المهلَّب ، قال : فكتبَ يزيدُ إلى الحجاج : إنّا لقينا العدوَّ ، فمنحنا الله أكتافَهم ، فأسرنا طائفةً ، وقتلنا طائفةً ، واضطررناهم إلى عُرْعُرَةِ الجبل ، وأثناء الأنهار » . فلمّا قرأ الحجاج الكتاب قال : ما لابن المهلّب ولهذا الكلام ! حسداً له ، فقيل له : إن ابن يَعْمَر هناك ، فقال : فذاك إذاً ! .

وعكس أبو العباس المبرّد في (الكامل) مساق هذا الخبر[2] ، فجعل كتاب يزيدَ بنِ المهلّب سبباً في إشخاص ابنِ يَعْمَرَ إلى الحجّاج ، فقال في تفسير قول الشاعر[3] :

قتلَ الملوكَ وسار تحتَ لوائهِ شجرُ العُرى وعَراعِرُ الأقوامِ

الواحدةُ عُرْعُرَة ، وعُرْعُرَةُ كلّ شيءٍ أعلاه ، [و[4]] من ذلك كتاب يزيد بن المهلّب إلى الحجّاج بن يوسف: « إن العدوّ نزل بعُرْعُرَةِ الجبل ، ونزلنا بالحضيض ! » فقال الحجاج : ليس هذا من كلام يزيد، فمن هنالك ؟ قيل : يحيي بن

١ ــ لاجرم : معناها في الأصل : لابد ، ثم جرت على الألسنة بمعنى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً

٢ ــ الكامل للمبرّد : ١ / ٢٤٠ ــ ٢٤١

٣ ــ البيت من الكامل ، وهو للمهلهل يقوله في أخيه كليب ، وبعضهم يرويه (خاع الملوك . . .) : انظر المرصفي : رغبة الآمل في شرح الكامل : ٣/١٣٠

٤ ــ زيادة من الكامل

يَعْمَر ، فكتب إلى يزيد بأن يُشخِصَه إليه . قال : وزعم التَّوَّزيّ قال : قال الحجاج ليحيى بن يعمر [يوماً [1]] : أتسمعني ألحن ؟ قال : الأمير أفصح من ذلك، قال : فأعاد عليه القول ، وأقسم [عليه [1]] ، فقال : نعم ، تجعل (أنّ) مكان (إنّ) فقال له : ارحل عني ولا تجاورني .

وحكى ابن عبد ربّه [2] : أن الحجّاج بعث فيه فقال : أنت الذي تقول : إن الحسين [3] بن عليّ ابنُ رسول الله صلى الله [عليه وسلم [4]] ؟ والله لتأتينّ بالمخرج أو لأضربنّ عنقك ! فقال له : فإن أتيتُ فأنا آمن ؟ قال : نعم ، قال له : اقرأ ﴿ وتِلك حُجَّتُنا آتَيْنَاها إبراهيمَ على قَوْمه ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشاء ـــ إلى قوله تعالى ـــ وَمِنْ ذُرِّيَّته داودَ وسليمانَ وأيّوبَ ويُوسُفَ ومُوسى وهَرُونَ وكذلك نجزي المحسنين ✻ وزَكريّا ويَحيى وعِيسى وإلْيَاسَ كلٌّ مِنَ الصّالحين [5] ﴾ فمن أقربُ : عيسى إلى ابراهيم ، وإنما هو ابن بنت بنيه [6] ، أو الحسينُ [7] إلى محمد ؟ فقال الحجاج : فوالله لكأني ماقرأتُ هذه الآيةَ قطْ !
وولاّه قضاء بلده ، فلم يزل بالبصرة قاضياً حتى مات .

١ – زيادة من الكامل
٢ – انظر العقد : ٥ / ٣٠٤ ، والخبر بشكل آخر عند ابن خلكان : ٥ / ٢٢٢
٣ – في العقد : الحسن ، وابن خلكان : الحسن والحسين
٤ – زيادة من (س) و (ر) والعقد
٥ – الآيات : ٨٣ – ٨٥ من سورة الأنعام
٦ – في العقد : ابن ابنته.
٧ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : والحسين ، وفي العقد : أو الحسن

٤ ـ يزيد بن أبي مسلم[١]

[٧] ‖ تقلّد للحجّاج ديوان الرسائل ، وكان غالباً عليه ، أثيراً لديه ، يعوده في مرضه ، ويُقال إنه كان أخاه من الرّضاعة ، فلما توفي الحجاج في آخر أيام الوليد ابن عبد الملك[٢] ، ولّى مكانَه يزيد هذا ، فاكتفى وجاوز ، حتى قال الوليد : مات الحجاج بن يوسف ، فولّيتُ مكانه يزيدَ بنَ أبي مسلم ، فكنتُ كمن سقط منه درهمٌ فأصاب ديناراً ! وقال ليزيد : قال لك الحجّاج : أنت جِلدةُ ما بين عَيْنَيَّ ، وأنا أقول لك : أنت جلدةُ وجهي كلّه !

ولمّا أُدخل في نكبته على سليمانَ بن عبد الملك ، وهو موثقٌ في الحديد ، ازدراه ، ونَبَتْ عينُه عنه ، وكان دميماً ، وقال : ما رأيتُ كاليوم قط ! لعن الله أمْرَأً أجرّك رَسَنَه ، وحكّمك في أمره ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ازدريتني لمّا رأيتَني والأمرُ عنّي مدبر ، ولو رأيتني والأمرُ عليَّ مقبلٌ ، لاستعظمتَ منّي ما استصغرتَ ، ولا ستجللتَ ما استحقرتَ ! فقال سليمان : صدقتَ ثكلتك أمُّك ، إجلس ! فجلس ، فقال له : عزمتُ عليك يابنَ أبي مُسلم لَتُخبِرنّي عن الحجاج ، أتُراه يهوي في نار جهنّم ، أم قد قرّبها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هـــذا في

---

١ ـ هو يزيد بن دينار الثقفي (ـ ١٠٢ هـ) والٍ من دهاة العصر الأموي ، كتب للحجاج كما ترى ، وولي الخراج بالعراق ، ثم ولي إمارة إفريقية سنة ١٠١ ، فائتمر به جماعة من أهلها وقتلوه . الأعلام : ٩ / ٢٣٤ وانظر أخباراً متفرقة عنه في الجهشياري : ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٧

٢ ـ توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولحق به الوليد بن عبد الملك بعد سنة واحدة .

الحجّاج ، وقد بذل لكم النصيحةَ ، وأخفر دونكم الذمّة ، وأمّنَ وليّكم ، وأخافَ عدوّكم ، وكأنّي به يوم القيامة على يمين أبيك ويسار أخيك ، فاجعله حيث شئت ! .

وفي رواية : قال سليمان : أترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعدُ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضَعْه من النار حيث شئت [1] ! فقال له سليمان : اغرُب إلى لعنة الله ! فخرج ؛ فالتفت سليمان إلى جلسائه فقال : قاتله الله ما أحسن بديهتَه وتنزيهه لنفسه ولصاحبه ! ولقد أحسن المكافأة لحسن الصنيعة ، خلّوا عنه ؛ فذكر يزيدُ ابن المهلّب لسليمانَ عفّتَه عن الدينار والدرهم ، فهمّ بأن يستكفيَه مُهمّاً من أُموره ، فصرفه عن ذلك عمرُ بن عبد العزيز ؛ فلما ولي بعده يزيدُ بن عبد الملك ، استعمله على إفريقية [2] .

ومَنْحَى يزيدَ بن أبي مُسلم مع سليمانَ بنِ عبد الملك ، نحا بعضُ الكتّاب [3] ، وقد دخل على أميرٍ بعد نكبةٍ نالته ، فرأى من الأمير بعضَ الازدراء ، فقال [له [4]] : لا يَضَعْني عندك خمولُ النبوة وزوال الثروة ، فإن السيف العتيق إذا مسّه كثيرُ الصدأ ، استغنى بقليل الجَلاء ، حتى يعود حدّه ، ويظهر فِرِنْدُه ،

---

١ – انظر رواية أخرى للخبر عند الجهشياري : ٥١

٢ – ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة سنة ١٠١ هـ فاستعمل يزيد بن أبي مسلم على إفريقية ، ولكن الوالي أجمع أن يصنع بأهل إفريقية ما صنع الحجاج بأهل العراق فقتلوه سنة ١٠٢ هـ . انظر الجهشياري : ٥٧

٣ – الخبر في زهر الآداب للحصري : ٣ / ٨٥

٤ – زيادة من زهر الآداب

وما أصف نفسي عُجْباً ، بل شكراً ، وقد قال ﷺ : « أنا سيّدُ[1] ولد آدم ولا فخر ! » فجهر بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر .

٥ ـ كاتب آخر للحجاج

[٨] روى العتْبي في (كتاب الجواهر)[2] له ، عن اسماعيل بن ابي أُويس ، ما تلخيصه وإيجازه : أن كاتباً للحجّاج ــ ولم يُسمِّه ــ علِق جارية كانت تقف عليه ، وتمرّ بين يديه ، وعَلِقَتْه ، فكانت تسلّم عليه بحاجبها إذا غفل الحجاج ، فكتب يوماً بين يديه كتاباً إلى عاملٍ له ، ومرّت الجاريةُ ولم تسلّم ، خوفاً أن يفطن الحجاج ، فأحدثت في نفس الكاتب ما أذهله ، حتى كتب عند فراغه من الكتاب : « مرّت ولم تسلّم ! » وختمه بخاتم الحجاج على العادة ، فلمّا ورد الكتاب على العامل أجاب عن فصوله [كلها[3]] ولم يدر ما معنى قوله « مرّت ولم تسلّم » وكره أن يدع الجواب عنه ، ثم رأى أن يكتب : « دعها ولا تُبالِ ! » وأنفذه إلى الحجاج ، فأنكر ذلك لمّا وقف عليه ، ودعا الكاتب فقال : لا أدري ! ، وكان إذا صُدق لم يعاقب بشدته ، فقال : أينفعني عندك الصدق أيها الأمير ؟ قال : نعم ، فأخبره الخبر ، ودعا الحجاج بالجارية فسألها ، فصدقته أيضاً ووافقته ، فعفا عنهما ، ووهبها له .

---

١ ــ كذا في الأصول ، وفي زهر الآداب : أشرف ، وهو جزء من حديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجة : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ... » الجامع الصغير للسيوطي : ٣٦٣/١

٢ ــ لم يصل إلينا

٣ ــ زيادة من (س) و (د)

٦ ــ الأبرش الكلبي [1]

ذكر ابن عبدوس[2] أن هشام بن عبد الملك لمّا أفضت إليه الخلافة بعد أخيه يزيد ، وهو في ضيعته بالرُّصافة[3] ، ومعه جماعة من أصحابه ، فيهم سعيدُ بنُ الوليد الكلبيُّ الأبرشُ ، وكان كاتباً له وغالباً عليه ، فلمّا قرأ هشام الكتاب ، سجد وسجد من كان معه من أصحابه ، خلا الأبرشَ ، فقال له هشام : لِمَ لا تسجدُ كما سجد أصحابك ؟ فقال : وعلامَ أسجد ؟ على أنك كنت معي فطرتَ [فصرتَ[4]] في السماء ! قال [له[4]] : فإن طِرنا بك[5] معنا ؟ قال : الآن طاب السجود[6] .

قال : وأنكر هشامٌ عليه شيئاً بعد ذلك ، واشتدّ غضبه فشتمه ، فقال الأبرش : استَحْيَيْتُ لك ، ليس بينك وبين الله واسطة ، وأنت خليفته في عباده وأرضه ، تقول يا بن الفاعلة ! والله لو قال هذا عبد من عبيدك لآخر مثله لكان قبيحاً ! . فاستحيا هشامٌ منه وقال : فاقتصّ مني وقل لي كما قلتُ لك ، فقال : إذن أكون سفيهاً مثلك ! قال له : هبها لي ، فقال : قد فعلتُ ، فقال هشام : والله لا أعود إلى مثلها أبداً .

---

١ ــ اسمه سعيد بن الوليد بن عمرو بن جَبَلة الأبرش الكلبي ، ويُكنى أبا مُجاشع ، وقد أورد الجهشياري طرفاً من أخباره مع هشام بن عبد الملك في خلافته : الجهشياري : ٥٩ – ٦٠

٢ ــ هو محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب ، والخبر فيه ص : ٥٩ ، وهو بشكل آخر في البيان والتبيين : ١ / ٣٣٠ والعقد : ٣ / ٤٠

٣ ــ رُصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرّقة ، كان يسكنها في الصيف . معجم البلدان : ٣ / ٤٧ – ٤٨

٤ ــ زيادة من الجهشياري

٥ ــ الجهشياري : طيّرناك

٦ ــ نسبت هذه القصة إلى عبدالحميد الكاتب مع مروان الجعدي : انظر سرح العيون لابن نباتة : ص ١٢٧

ومن هذا النَّحْوِ قولُ الحجاج وقد ظفر بعمرانَ بنِ حِطَّانَ الشاري[١] : اضربوا عُنُقَ ابنِ الفاجرة ! فقال : بئس مـا أدّبك به أهلُك ياحجّاج ! كيف أَمِنْتَ أن أجيبك بمثل ما لقيتَني به ، أبعدَ الموتِ منزلةٌ أُصانعُك عليها ! فأطرق الحجّاج استحياءً وقال : خلّوا عنه[٢] ! فخرج إلى أصحابه فقالوا : والله ما أطلقك إلاّ اللهُ ، فارجِعْ إلى حربه معنا ، فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطْلِقُها ، واسترقّ رَقَبَةً مُعْتِقُها ، ثم قال[٣] :

أأقاتلُ الحجّاجَ عن سُلطانِهِ ... بيدٍ تُقِرُّ بأنَّهـا مولاتُـهُ

إني إذاً لأخو الدنـاءةِ والذي ... عَفَّتْ عَلَى عِرفـانه جَهَـلاتُـه

ماذا أقولُ إذا وقفتُ مُوازياً ... في الصفّ واحتجَّتْ له فَعَلاتُـه [٩]

وتحدَّثَ الأَكْفاءُ أنَّ صنائعاً ... غُرِستْ لديَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُه[٤]

أأقولُ جارَ عليَّ ، إني فيكمُ[٥] ... لأَحقُّ من جارَتْ عليه وُلاتُـه

تـالله لا كِـدتُ الأَمير بآلـةٍ ... وجوارحي وسلاحُهـا آلاتُـه

---

١ ـ عمران بن حطان الخارجي (ـ ٨٤ هـ) : رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم ، هرب من وجه الحجاج وعبد الملك إلى أن مات في عمان : الأعلام : ٥ / ٢٣٣ والمعلمة الاسلامية : ٢ / ٥٠٦

٢ ـ انظر الخبر في (المستجاد من فعلات الأجواد) للتنوخي : ص ٢٤٥

٣ ـ الأبيات من الكامل وقد وردت في (أخبار أبي تمام) للصولي ص ٢٠٦ والموازنة للآمدي : ص ٦٢ وزهر الآداب للحصري : ٣ / ١٦٩ ـ ١٧٠

٤ ـ حنظلت الشجرة : صار ثمرها مُرّاً كالحنظل

٥ ـ كذا في الأصول كلها وزهر الآداب وفي المصادر الأخرى :

أأقولُ جار عليّ ؟ لا ! إني إذاً ... لأحقُّ من ....

ذكرُ عِمرانَ بن حِطّان في هذه الحكاية وَهْمٌ ؛ وكذا وقعت في (زهر الآداب) للحصري ، وفي غيره ، لأن عمران كان من القعدة ، ولم يكن يحضر القتال ، وإنّما هو عامرٌ أخو عِمران[1] .

٧ ــ سالم مولى هشام بن عبد الملك[2]

كان يتقلّد له ديوان الرسائل ، وهو ممّن نبه بالكتابة ؛ حكى أبو بكر الصولي[3] أن أبا سَلَمةَ الخلاّل[4] ، وزير أبي العباس السفّاح ، أنكر شيئاً بلغه عن أبي العباس في وقت ، فأنكر أبو العباس [السفّاح[5]] ذلك ، وسكّن من أبي سلمة وقال له: إن هشام بن عبد الملك حمل على مولاه وكاتبه سالم ، وسُعِيَ به إليه ، فقال له[6] :

يُديرونني عن سالمٍ وأُديرُهُمْ ... وجِلْدَةُ بين العينِ والأنفِ سالمُ

وأنتَ جِلْدَةُ وجهي كله .

---

١ – ممّا يقوي حجة ابن الأبّار هنا أن الصولي يورد الخبر دون أن يذكر اسم عمران بن حطان : « اتي بجماعة من الخوارج من أصحاب قطري ، وفيهم رجلٌ كان له صديقاً ، فأمر بقتلهم ، وعفا عن ذلك الرجل ، ووصله وخلّى سبيله ، فمضى إلى قطري فقال قطري : عاوِدْ قتال عدوّ الله الحجاج ؛ فقال : هيهات .. الخ .. » أخبار أبي تمام : ص ٢٠٥

٢ – ويُكنى أبا العلاء ، وكان ختن عبد الحميد ، وهو أحد الفصحاء البلغاء (الفهرست : ١٧١)

٣ – لعلّ ابن الأبار ينقل الخبر من كتاب (الوزراء) للصولي ، ولم يصل إلينا هذا الكتاب : انظر الفهرست : ٢١٥

٤ – هو حفص بن سليمان (– ١٣٢ هـ) أول من لُقب بالوزارة في الاسلام ، ويُعرف بالخلاّل لسكنه بدرب الخلاّلين بالكوفة : الأعلام : ٢ / ٢٩١

٥ – زيادة من (س)

٦ – البيت من الطويل ، ويحدثنا ابن الأبار بعد قليل عن صاحبه

وأورد أبو العباس المبرّد في (الكامل) من تأليفه، رسالةَ هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القَسْري، وفي آخرها: «وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة[1]»، فلعلّه ابنٌ له، وكتبا جميعاً لهشام، والمعروف منهما سالمٌ، وأراه الذي كتب لعبد الملك بن مروان؛ ذكره ابن عبد ربه[2] وغيره. والبيت لأبي الأسود الدؤلي[3] في سالم مملوكه، وبعده بيتان، ولذلك قصةٌ محكيّة. وقيل إنه لعبد الله بن معاوية الفزاري في ابنه سالم بن عبد الله، ولعلّه تمثّل به كما تمثّل هشام. وفي (الأمالي[4]) لأبي علي البغدادي أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج: «أنت عندي كسالم» يريد هذا البيت[5].

٨ — إبرهيم بن أبي عبلة[6]

حكى ابن عبدوس[7] أن هشام بن عبد الملك أحضره — قال: وتقلّد

---

١ – انظر (الكامل) للمبرد: ٣ / ١٢٨٣

٢ – انظر (العقد): ٤ / ٢٤٩

٣ – هو ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني (– ٦٩ هـ) له ديوان شعر مطبوع، وهو واضع علم النحو: الأعلام: ٣ / ٣٤٠

٤ – انظر أمالي القالي: ١ / ١٥

٥ – وكتب عمرو بن مسعدة إلى بعض أصحابه في حق شخص يعزّ عليه: «أمّا بعد فوصل كتابي إليك سالم، والسلام» وأراد قول الشاعر: يديرونني عن سالم ... (انظر ابن خلكان: ٣ / ١٤٧)

٦ – مات سنة ١٥٢ هـ، انظر إسعاف المبطأ للسيوطي: ١٨٢ وحلية الاولياء: ٥ / ٢٤٣ – ٢٥٠ والجهشياري: ١٣٧

٧ – ليس هذا الخبر فيما طُبِع من (كتاب الوزراء والكتاب) لابن عبدوس الجهشياري، وهو في (الفرج بعد الشدة) للتنوخي: ٨٥ – ٨٦

الخاتم لمروانَ بن محمد بعدُ — فقال له : إنّا عرفناك صغيراً، وخبرناك[١] كبيراً ، وأريد أن أخلطك بحاشيتي ، وقد وليتك خراج مصر ؛ فأبى عليه ، وقال : ليس الخراج من عملي ولا أُبصره[٢] ! فغضبَ هشام ، فأمسك عنه حتى حبس غضبه ، ثم قال أتـكلمُ يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : قل ، فقال : يقول الله عز وجل ﴿ إنّا عرضْنا الأمانةَ على السموات والأرض والجبال ... ﴾ الآية[٣] ، فوالله ما أكرهَها ، ولا سخط عليها ؛ فقال : أبَيْتَ إلاّ دفعاً ! وأعفاه ورضي عنه . [١٠]

وروى أبو نُعَيْم الأصبهاني[٤] الحافظ هذا الخبر بإسناده إلى إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ فقال : بعث إليّ هشامُ بن عبد الملك فقال [لي[٥]] : يا إبراهيم إنّا عرفناك صغيراً واختبرناك كبيراً فرضينا سيرتك وحالك ، وقد رأيتُ أن أخلطك بنفسي [وخاصتي[٥]] وأُشركك في عملي ، وقد وليتك خراجَ مصر ؛ قال : فقلتُ : أمّا الذي عليه رأيُك ياأمير المؤمنين ، فالله يجزيك ويُثيبك ، وكفى بك جازيا ومُثيباً ، وأمّا الذي أنا عليه ، فمالي بالخراج بصَرٌ ، ومالي عليه قوة ! قال : فغضب حتى اختلج وجهه ، وكان في عينيه قَبَلٌ[٦] ، فنظر إلي نظراً منكراً ،

١ – رواية (ق) و (س) ، وفي (د) جرّبناك

٢ – كذا في الأصول ، وفي (الفرج) : ولالي بصرٌ به

٣ – آية : ٧٢ من سورة الأحزاب

٤ – انظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني : ٥ / ٢٤٤

٥ – زيادة من حلية الأولياء

٦ – القَبَل في العينين هو إقبال سواد كل منهما نحو الأخرى

ثم قال: لَتَلِينَنَّ طائعاً أو لَتَلِينَنَّ كارهاً ؛ فأمسكتُ عن الكلام، حتى رأيتُ غضبَه قد انكسر، وسَوْرتَه قد طَفِئَتْ، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أتكلمُ؟ قال: نعم؛ قلت: إن الله — بسبحانه وبحمده [1] — قال في كتابه ﴿ إنّا عَرَضْنَا الأَمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبال — إلى — منها ﴾ فوالله يا أمير المؤمنين ماغضب عليهن إذ أبين، ولا أكْرَهَهن إذ كَرِهْن، وما أنا بحقيقٍ أنْ تَغضبَ عليَّ إذْ أبيت، ولا تُكرهَني إذْ كرهتُ! قال: فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: يا إبراهيم قد أَبَيْتَ إلا فقهاً! قد رضينا عنك وأعتبناك.

وابراهيم هذا شاميٌّ تابعيٌّ، لمالك عنه حديثٌ واحد في (الموطأ [2]) وإرساله كما وَرَدَ أصحُّ من إسناده.

٩ — خالد بن برمك [3]

كان في أول أمره يختلف إلى محمد بن علي [4]، ثم إلى إبراهيم بن محمدٍ الإمام [5] بعده، فلما استُخلف أبو العباس السفاحُ، أدناه محمد بن صُول محمولاً، لعلةٍ كانت

١ — كذا في الأصول، وفي (حلية الأولياء): سبحانه

٢ — انظر إسعاف المبطأ للسيوطي: ٢٨٢

٣ — والد البرامكة (٩٠ — ١٦٣هـ) وانظر الأعلام: ٢/٣٣٤-٣٣٥ وابن خلكان: ١/٢٩٥-٢٩٦ في ترجمة جعفر بن يحيى.

٤ — محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أول من قام بالدعوة العباسية (٦٢ — ١٢٥ هـ) وهو والد السفاح والمنصور، ولي إمامة الهاشميين سراً في أواخر أيام الدولة الأموية، انظر الأعلام: ٧/١٥٣

٥ — إبراهيم الإمام (٨٢ — ١٣١هـ) هو ولد محمد بن علي المتقدم ذكره، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها، حبسه مروان بن محمد ثم قتله. الأعلام: ١/٥٤

لخالد ، فبايعه ، وأعجبته فصاحتُه ، وظنّه من العرب ، فقال : مِمّن الرجلُ ؟ فقال : مولاكَ يا أميرَ المؤمنين ! قال مِمن أنت يرحمك الله ؟ قال : من العجم ، أنا خالدُ بنُ برمك ، وإني وأهلي في موالاتكم والجهاد لكما قال الكُميتُ[1] :

ومالِيَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعَةٌ ومالِيَ إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

فأُعجبَ به أبو العباس ، وأقرّه على ما كان يتقلّده من الغنائم ، ثم جعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج ، وديوانَ الجند ، فكثر حامدُه وحسن أثره[2] . وما زالت الحال تتراقى به إلى أن صار وزيراً لأبي العباس ، بعد أبي سلمة الخلاّل ، فكان يعرض الكتب عليه ، ويُكاتب عنه ، وينظر في أعمال أصحاب الدواوين .

وحكى الجاحظ في رسالته (في الوعد والإنجاز[3]) قال : وحُدّثت عن خالد بن برمك — وكان كاتباً لأبي العباس — أنه كتب في أول ما أُنشئت الكتب إلى العمّال : « وكتب في سنة الخير » يعني أنه خير للإسلام وأهله في إفضاء الخلافة إلى أهلها ، وكان بعض أصحاب رسول الله صلى || الله عليه وسلم ، يؤرخُ بسنة [١١] الحُزن ، وهي السنةُ التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقيل لخالد : لو تركت هذا التاريخ ورجعت إلى ما عليه الناس ! فقال : إني رأيت الناس قد

١ – انظر هاشميات الكميت : ٣٣ والبيت من الطويل

٢ – الخبر بألفاظ مغايرة في الجهشياري : ٨٩

٣ – طبع من هذه الرسالة صفحات بعنوان « من رسالته في استنجاز الوعد » وهي لا تحوي ما ينقله ابن الأبار . انظر مجموعة رسائل الجاحظ – طبعة الساسي : ١٧٣ – ١٧٧

قتلهم خُلْف المواعيد — يريد في آخر دولة بني أمية — فأحببتُ أن يسكنوا إلى هذا التاريخ ، وترجع إليهم نفوسُهم !

قال الصولي [1] : وتوفي أبو العباس ، وخالدٌ وزيره ، وتمادىٰ على ذلك صدراً من خلافة المنصور ، ثم استوزر أبا أيوبَ المورياني [2] ، وبقي خالد والياً لديوان الخراج فقط ؛ ويقال إنه أول من وليه ، ثم ولي حربَ فارس وخراجها ، وتصرفت به الولاياتُ إلى أن توفي المنصور ، وخالدٌ على الموصل ونواحيها ، فأقرّه المهدي عليها ، وزاده ثم ولاّه فارس وأعمالها ، فأخرج خالد يحيى ابنه إليها . وسُعي به إلى المهدي فطالبه بمالٍ عظيم رُفع إليه ، فباع أكثر ما يملك فيه ، ثم بلغته حقيقةُ أمره ، فأسقطَ عنه البقيةَ ، وأشخصه مع الرشيد إلى الغزو ، فانصرف عليلاً ، فوجّه المهدي إليه ابنَه الهادي يعوده .

١٠ — كتّاب المنصور

ذكر أبو الحسن الماوردي [3] : أن أبا جعفرٍ المنصورَ بلغه عن جماعة من كتّاب دواوينه [4] أنهم زوّروا فيها وغيّروا ، فأمر بإحضارهم ، وتقدّم بتأديبهم، [5]

١ — النقل عن كتاب (الوزراء) له .

٢ — مات سنة ١٥٣ هـ . انظر الجهشياري : ٩٧ وابن خلكان : ٢ / ١٤٣ — ١٤٤

٣ — انظر (الأحكام السلطانية) له : ٧٧

٤ — رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) ديوانه

٥ — أمر بتأديبهم

فقال حَدَثٌ منهم وهو يُضْرَبُ [١] :

أَطالَ اللهُ عُمرَكَ في صلاحٍ وعزٍ يا أميرَ المؤمنينا
بعفوكَ نَستجيرُ فإنْ تُجِرْنا فَإِنَّكَ عِصمةٌ لِلعالمينا
ونحنُ الكاتبونَ وقدْ أَسأْنا فَهَبْنا لِلكِرامِ الكاتبينا

فأمر بتخليتهم ، ووصل الفتى وأحسنَ إليه .

وقال ابنُ عبد ربه [٢] : عتب أبو جعفرٍ المنصورُ على قومٍ من الكُتّاب ، فأمر بحبسهم ، فرفعوا إليه رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهَبْنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم ، وأمر بتخلية سبيلهم .

وذكرتُ بهذا الشعر قولَ أبي نواس ، وهو في حبس الرشيد يستعطفه [٣] :

بِعَدْلِكَ بل بِجُودِكَ عُذتُ لا بل بِحُبِّكَ [٤] يا أمير المؤمنينا
فَلا يَتَعَذَّرَنَّ عَليَّ عفوٌ وَسِعْتَ به جميعَ العالمينا
فإنّي لم أَخُنْكَ بِظَهْرِ غَيْبٍ ولا حَدَّثْتُ نفسيَ أَنْ أَخونا

---

١ – الأبيات من الوافر ، وهي والخبر في الجهشياري (ص ١٣٦) نقلاً عن كتاب (الخلفاء) للحارث بن أبي أسامة .

٢ – انظر العقد : ٤ / ٢٦٥ ، والخبر نفسه في (أدب الكتاب) للصولي : ٢٤

٣ – ديوان أبي نواس (طبعة الغزالي) : ٤٠٢ ، والأبيات من الوافر .

٤ – رواية الديوان : بفضلك

بَـاركَ اللهُ لـلإسلامِ عِزًّا وحصناً دونَ بَيْضَتِهِ حَصينا
فقد أَوْهَنتَ أَهلَ الشِّرْكِ حتىّ تركتهمُ وما يَتَرَمْرَمُونـا[1]
تزورهُمُ بِنفسكَ كُلَّ عـامٍ زيـارةَ واصِلينَ لِقاطعينـا[2]
ولو شئتَ استرحتَ إلى نعيمٍ وقاسىٰ الأَمرَ دونَكَ آخَرونا
فشفِّعْ حُسنَ وجهكَ في أَسيرٍ يَدينُ بِحُبِّكَ الرَّحْمٰنَ دينا
إذا ما الهُونُ حلَّ بمُستجيرٍ[3] فليسَ لِجارِ بيتكَ أَنْ يَهونا

فأطلقه الرشيدُ بشفاعةِ الفضل ، كما أطلقه بشفاعته أيضاً الأمينُ ، وقد قال يستعطفه إذ حُبس ثانيةً[4] :

تذكَّر أَمينَ اللهِ والعهدُ يُذكَرُ مقامي وإنشاديكَ والناسُ حُضَّرُ
ونَـثْري عليكَ الدُّرَّ يا دُرَّ هاشمٍ فمن ذا[5] رأىٰ درًّا عَلَى الدرِّ يُنثَرُ
مضت لي شهورٌ مذ حُبستُ ثلاثةٌ كأنّي قد أذنبتُ ما ليس يُغفرُ
فإنْ كُنتُ لم أُذنبْ ففيم تَعنُّتي[6] وإنْ كنتُ ذا ذنبٍ فعفوُكَ أَكبرُ

١ — ترمرم : حرّك فاه للكلام ولم يتكلم ، وفي الديوان : يتذمرونا
٢ — رواية الديوان : واصلٍ للقاطعينا
٣ — رواية الديوان : .. الهول حلّ بدار قومٍ فليس لجار مثلك ..
٤ — ديوان أبي نواس (طبعة الغزالي) : ٤٢٦ والأبيات من الطويل
٥ — رواية الديوان : فيامن
٦ — رواية الديوان : حبستني

١١ ـ كاتب الحسن بن زيد [١]

روى أبو سليمان الخطابي في (المعالم [٢]) له : أن الحسن بن زيد ـ وهو زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان أمير المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ـ عتب على كاتبٍ له ، فحبسه وأخذ ماله ، فكتب إليه من الحبس [٣] :

أشكو إلى اللهِ ما لَقيتُ ... أَحببتُ قوماً بهم شَقيتُ [٤]

لا أَشتمُ الصالحينَ جهراً ... ولا تَشَيَّعتُ ما بَقيتُ

أَمسحُ خُفي ببطنِ كَفي ... ولو على جِيفَةٍ وَطِيتُ

قال : فدعا به من الحبس ، فرد عليه ماله وأكرمه .

قال الخطّـابي : والعجبُ من الروافض ، تركوا المسحَ على الخُفين ، مع تظاهر الأخبار فيه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واستفاضة علمه [٥] على ألسنة الأمة ؛ قال : ثم اتخذوه شعاراً حتى إنَّ الواحد من غُلاتهم ربما تألّى فقال : برئتُ من ولايةِ أمير المؤمنين ومسحتُ على خفّي إن فعلت كذا ...

---

١ ـ الحسن بن زيد (٨٣ ـ ١٦٨ هـ) أمير المدينة خمس سنوات للمنصور ، وهو شيخ بني هاشم في زمانه . الأعلام : ٢ / ٢٠٥ والمجلة الاسلامية : ٢ / ٢٩٤

٢ ـ (معالم السنن) لحمد بن محمد الخطابي : ١/١٠٥

٣ ـ الأبيات من مخلع البسيط

٤ ـ رواية المعالم : بُليت

٥ ـ رواية المعالم ، وفي الأصول : عمله

١٢ ــ أمية بن يزيد

أبوه يزيد مولى معاوية[1] بن الحكم ، ودخل أميّة الأندلس في طالعة بَلْج ابن بِشر بن عياض القُشيري[2] ، سنة ثلاث وعشرين ومائة من الهجرة ، في آخر [١٣] خلافة هشام بن عبد الملك ، فلاصقه بنفسه خالد بن زيد ، كاتب يوسف بن عبد الرحمن الفهري[3] أمير الأندلس، وكان كاتباً معه ، فلما تغلب عبد الرحمن بن معاوية على يوسف ، واستقرّ بدار الملك قرطبة ، صار خالد إلى كتابته أياماً ، ثم نفر عن القرار بالأندلس وسأل الإذن بالخروج إلى المشرق . وقد ضم عبد الرحمن بن معاوية أمية بن يزيد إليه ، واشتمل عليه لكونه من مواليه ، فأمر لخالد بكتاب سراح ، فتحامى أمية الكتاب بين يدي خالد وقال : معلمي وولي الإحسان قبلي يكون أوّلُ شيء يجري له على يدي الكتابَ بخروجه عن أهله وماله ! وامتنع من ذلك ، فأمر عبد الرحمن خالداً بالكتاب لنفسه ، فكتب إلى عامل الجزيرة : « أما بعدُ ، فأخرجنا خالداً بقَضّهِ وقَضيضه ، فإنها الراحة له والراحة منه ، والسلامُ ! »

---

١ ــ هو معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (ــ ١١٩ هـ) ، جدّ أمراء الأندلس من بني أمية . الأعلام : ٨ / ١٧٥

٢ ــ قائد دمشقي شجاع ، أرسله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية على رأس جيش للقضاء على ثورة البربر ، ثم دخل الأندلس ومات فيها (ــ ١٢٤ هـ) الأعلام : ٢ / ٥٠ والمملكة الاسلامية : ١ / ٦٣٠

٣ ــ يوسف الفهري (٧٢ ــ ١٤٢ هـ) آخر ولاة الأندلس ، وأحد القادة الدهاة الفصحاء ، حكم الأندلس قرابة عشر سنين ثم قضى عليه عبد الرحمن الداخل . الأعلام : ٩ / ٣١١ - ٣١٢ والبيان المغرب : ٢ / ٣٥ ــ ٣٨ وتاريخ اسبانيا الاسلامية : ١ / ٥١ ــ ٥٣

وكان عبد الرحمن عظيم الهيبة مخوف البادرة ، لايقدم على ردّ مايصدر عنه ، فما ثرّبَ [1] على أميّة في ذلك ، بل آثره بعدُ وأحظاه ، وكان في عداد من يشاوره من خاصته ونقباء دولته ، ويفضّل آراءه ، ثم توارث عقبه شرف الكتابة للمروانيين بالأندلس ، واتصلت النباهة فيهم دهراً طويلاً [2] .

١٣ ــ أبو عبيد الله مولى الأشعريين [3]

كتب للمهدي قبل الخلافة ، وتجاوز حدّ الكتابة ، لأنه ربّاه وكفله ، واستقبل به الأمور فكان يُكرمه ولا يخالفه في شيء يُشير به عليه ، إلى أن ولّي الخلافة فاستوزره . وحُكي أنه عزله بعد ذلك عن الدواوين ، فكتب اليه : «لَمْ يُنكرْ أمير المؤمنين حالي في قرب المؤانسة وخصوصِ الخلطة من حالي عنده قبلُ ، في قيامي بواجب خدمته التي أدنتني من نعمته ، ووطّدت لقدمي في مهاد كرامته ، فلم أُبدَّل — أعزّ الله أميرَ المؤمنين ــ حالَ التبعيد ، ويُقرَّب لي محل الإقصاء ، وما يعلم الله مني فيما قلته ، إلاّ ما يعلم أميرُ المؤمنين ! فإن رأى ــ أكرمه الله ــ أن يعارض قولي بعمله ، بدءاً وعاقبةً ، فعل إن شاء الله ! » . فلما قرأ الكتاب شهد بتصديقه قلبه ، وقال : ظلمنا أبا عبيد الله فليُردّ إلى حاله .

١ - ثرّبه وثرّب عليه : لامه وقبّح عليه فعله

٢ - انظر الحلة السيراء (دوزي) : ٩٤ - ٩٥

٣ - اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري (١٠٠ - ١٧٠ ﻫ) أصله من طبرية ؛ كتب للمهدي ووزر له ، وكان أوحد الناس في عصره حذقاً وخبرة وكتابة . الأعلام : ٨ / ١٧٤ وتاريخ بغداد : ١٣ / ١٩٧ والمعلمة الاسلامية : ١ / ١٠٤

وذكر أبو الفرج الأصبهاني قال[1] : دخل أبو عبيد الله على المهدي ، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ [المجلس[2]] ، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ عليه ، ثم أمر به فجرّوا برجله وحُبس ، ثم أطرق المهدي طويلاً ، فلما سكن أنشده أبو العتاهية[3] :

[١٤]

أرى الدنيا لِمنْ هي في يدَيْه | عذاباً كُلما كَثُرَتْ لديهِ
تُهين المُكرِمينَ لها بِصُغْرٍ | وتُكرم كلَّ مَنْ هانت عليهِ
إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدعه | وخذْ ما أنتَ محتاجٌ إليهِ

[فتبسم[4]] المهدي ، وقال لأبي العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ أحداً أشد إكراماً للدنيا ، ولا أصون[5] لها ، ولا أشحَّ عليها ، من هذا الذي جُرَّ برجله الساعةَ ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين ، ودخل هو ، وهو أعزُّ الناس ، فما برحتُ حتى رأيته أذلَّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه ، لاستوت أحوالُه[6] ، ولم تتفاوت ! فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه ، فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

---

١ — انظر الأغاني : ٣ / ١٥٣ — ١٥٤
٢ — زيادة من الأغاني
٣ — انظر ديوان أبي العتاهية : ٢٨٨ ، وعن الشاعر انظر المجلة الاسلامية : ١ / ٨١
٤ — زيادة من (س) و (ر) والديوان والأغاني
٥ — روايه الأغاني ، وفي الأصول الثلاثة . أصدق
٦ — رواية الأغاني ، وفي الأصول : حاله

ولما قَتَل المهدي ابنَه عبيدَ[1] الله بنَ أبي عُبيد الله على الزندقة[2]، قال له: لا يَمْنَعْكَ ما سبق به القضاءُ في ولدك، من ثَلَجِ صدرك، وتقديمِ نُصحك، فإني لا أعرض لك رأياً على تهمة، ولا أؤخر لك قدماً عن مرتبة! فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما كان ابني حسنةً، من نبت إحسانك أرضه، وتفقدك سماؤه، وأنا طاعة أمرك وعبدُ نهيك، وبقيةُ رأيك لي أحسن الخلف عندي.. ويُقال: إن المهدي قال له: إنه لو كان في صالح خدمتك، وما تعرفناه من طاعتك، ما يجب بمثله الصفح عن ولدك، ما تجاوز أمير المؤمنين ذلك إلى غيره، ولكنه نكص على عقبه، وكفر بربه! فقال أبو عبيد الله: رضانا عن أنفسنا، وسخطنا عليها يا أمير المؤمنين موصولٌ برضاك وسخطك، ونحن خدمُ نعمتك، تُثيبنا على الإحسان فنشكر، وتعاقبنا على الإساءة فنصبر! فاحتال الربيع بن يونس[3] حتى غيّر عليه المهدي، وزيّن له استعمال يعقوبَ بنِ داود[4]، فجعلت حال أبي عبيد الله تتناقص، وحال يعقوب تتزايد، إلى أن سماه المهدي أخاً في الله ووزيراً، وأخرج بذلك توقيعاتٍ ثبتت في الدواوين، فقال في ذلك سَلْمُ الخاسر[5]:

---

١ – اسمه في (ر) والجهشياري: عبد الله، وفي المعلمة الاسلامية: محمد (١٠ / ١١٤)

٢ – تفصيل ذلك في الجهشياري: ١٥٣

٣ – هو حاجب المهدي، وانظر في سبب تغييره قلب المهدي: الجهشياري: ١٥١ – ١٥٣

٤ – يعقوب بن داود (– ١٨٧ هـ) استوزره المهدي سنة ١٦٣ فغلب على الأمور كلها. الأعلام: ٩ / ٢٥٨ ٢٥٩ وتاريخ بغداد: ١٤ / ٢٦٢ والمعلمة الاسلامية: ١٠ / ٧٦ – ٧٧.

٥ – البيتان في الجهشياري: ١٥٥ وهما من البسيط، وسلم الخاسر شاعر ماجن من تلامذة بشار. توفي سنة ١٨٦ هـ. انظر ابن خلكان: ٢ / ٩٥ – ٩٧

قُل للإمام الذي جاءتْ خلافتُه   تُهدىٰ إليهِ بحقٍ غيرِ مردودِ
نِعمَ المعينُ عَلَى الدنيا أعِنْتَ بهِ[1]   أخوكَ في الله يعقوبُ بن داودِ

وصرف أبا عبيد الله عن الوزارة ، وقال أستحيي منه لقتلي ولده، واقتصر به على ديوان الرسائل ، وكان يصل إليه على رسمه .

١٤ ـ كاتب الهادي[2]

[١٥] قال ابن عبدوس[3]: حُكي لنا أن موسى الهادي سخط على بعض كتّابه ، ولم يُسَمَّ لنا [الكاتبُ[4]] ، فجعل يُقرِّعه بذنوبه ، ويتهدّده ويتوعده ،فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن اعتذاري مما تُقرعني به ردٌ عليك ، وإقراري بما بلغكَ يوجب ذنباً عليّ لم أجنِهِ ، ولكني أقول [شعراً[5]] :

فإن كنتَ ترْجو في العقوبةِ راحةً[6]   فلا تَزْهَدنْ عندَ المُعافاةِ في الأَجْرِ

فأمر بألاّ يُعرَضَ له ، وصفح عنه وأحسن إليه .

---

١ ـ رواية (س) والجهشياري ، وفي (ق) و (ر) بها

٢ ـ الخليفة العباسي الهادي موسى بن محمد (١٤٤ ـ ١٧٠ هـ) : الأعلام : ٨ / ٢٧٩

٣ ـ الجهشياري : ١٦٩ وانظر أيضاً (الفرج بعد الشدة) : ١ / ٦٨ والعقد : ٢ / ١٩

٤ ـ زيادة من (ر) والجهشياري

٥ ـ زيادة من (الفرج بعد الشدة) ، والبيت من الطويل

٦ ـ رواية الأصول ، وفي الجهشياري : رحمة ، وفي الفرج : تشفياً

١٥ ـ يوسف بن الحجاج الصيقل الكوفي (١)

كان كاتباً ظريفاً ، يُغنَّى في كثيرٍ من أشعاره . ذكر ذلك أبو الفرج الأصبهاني ، واختص بالهادي إلى أن تُوفي ، وضاع فلمّا ورد الرشيدُ الرقة خرج يوسف هذا (٢) ، وكمن له في نهرٍ جافٍ على طريقه ، وكان للرشيد خدمٌ صغارٌ يُسميهم النَّمْل ، يتقدمونه ، بأيديهم قِسيُّ البندق (٣) ، يرمون بها من يُعارضه في طريقه ، فلم يتحرك يوسف حتى وافت قُبَّتُه على ناقةٍ ، فوثب إليه [يوسف (٤)] ، وأقبل الخدم الصغار يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كفّوا عنه ! فكفّوا ، وصاح به يوسف [يقول (٤)] :

أغيثاً تحمِلُ الناقةُ أمْ [تحْمِلُ (٤)] هارونا
أمِ الشمسَ أمِ البدرَ أمِ الدُّنيا أمِ الدينا
ألا كلّ الذي عَدَّدْ تُ قد أصبح مقرونا
على مَفْرِقِ هارونا فِداه الآدمِيُّونا

---

١ ـ ابن الصَّيْقَل (ـ نحو ٢٠٠ هـ) وأخباره في الأغاني : ٢٠ / ٩٣ ـ ٩٦ وانظر الأعلام : ٩ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨

٢ ـ انظر الخبر في الأغاني : ٢٠ / ٩٤

٣ ـ رواية (ق) و (س) والأغاني ، وفي (ر) النبل

٤ ـ زيادة ليست في (ق) ، والأبيات من الهزج

فمدّ الرشيدُ يده إليه ، وقال : مرحباً بك يا يوسف ، كيف كنتَ[1] بعدي ؟ ادْنُ مني ، فدنا ، وأمر له بفرسٍ فركبه ، وسار إلى جانب قبّته يُنشده والرشيد يضحك ، وكان طيّبَ الحديث ، ثم أمر له بمالٍ ، وأمر بأن يُغنّى في الأبيات.

١٦ ــ أبان بن عبد الحميد اللاحقي[2]

خرج[3] من البصرة يطلب الاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى[4] غائباً ، فقصده وأقام ببابه [مدة[5]] مديدةً ، لا يصل إليه ، فتوسل[6] إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل في أن يوصل إليه شعراً ، وقال فيه[7] :

يا غَزيزَ[8] الندى ويا جوهرَ الجو   هرِ من آلِ هاشمٍ في البطاحِ[9]

إنَّ ظنّي وليستَ تُخْلفُ[10] ظنّي   بكَ [في[11]] حاجتي سبيلُ نَجاحي   [١٦]

١ – رواية (ق) و (س) والأغاني ، وفي (ر) أنت

٢ – أبان اللاحقي (– ٢٠٠ هـ) شاعر بصري مكثر ، انتقل إلى بغداد واتصل بالبرامكة وأكثر من مدحهم ، وخص بالفضل بن يحيى . الأعلام : ١ / ٢٠ – ٢١ والملة الاسلامية : ١ / ٤ – ٥ ، وله أخبار كثيرة في (الأوراق) للصولي .

٣ – انظر الخبر في الأوراق (قسم أخبار الشعراء) للصولي : ٢ – ٣ والأغاني : ٢٠ / ٧٥

٤ – الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ – ١٩٣ هـ) وزير الرشيد وأخوه من الرضاعة ، مات في سجن الرشيد بالرقة . الأعلام : ٥ / ٣٥٨

٥ – زيادة من (الأوراق)

٦ – رواية (س) والأوراق والأغاني ، وفي (ق) و (ر) : فتوصل

٧ – الأبيات من الخفيف ، وفي الأوراق أبيات أخرى بعدها

٨ – رواية الأصول ، وفي الأوراق والأغاني : ياعزيز

٩ – رواية (ق) و (ر) ، وفي المصادر الأخرى : بالبطاح

١٠ – رواية الأصول ، وفي المصادر الأخرى : وليس يخلف ... سبيل النجاح

١١ – زيادة ليست في (ق)

إنَّ مِنْ دُونِنا(١) لَمُصْمَتَ بابٍ ... أَنتَ من دُونِ قُفْلِهِ مفتاحي

فقال له : هاتِ مديحك ، فأعطاه شعراً في الفضلِ في هذا الوزن وقافيته ، منه (٢) :

أَنا من بُغيةِ الأَميرِ وكنزٌ ... من كنوزِ البيانِ(٣) ذو أَرباحِ

كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أَديبٌ ... ناصحٌ زائدٌ على النُّصَّاحِ

شاعرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ من الرِّيـ ... ـشَةِ مِمّا يكون تحتَ الجناحِ

لو دعاني الأَميرُ أَبصرَ منّي ... شِمَّرِيّاً كالجُلْجُلِ الصيّاحِ(٤)

فدعا به ووصله ، وقدم معه .

وحكى ابنُ عبدربه(٥) ، عن ابراهيم بنِ محمد الشيباني أبي اليُسْرِ الكاتب(٦) قال : رَفع [أبان(٧)] بنُ عبد الحميد اللاحقي إلى الفضل بن يحيى بن خالد رُقعةً

١ – رواية الأصول ، وفي المصادر الأخرى : دونها

٢ – الأبيات من الخفيف وهي في الأوراق (قسم أخبار الشعراء) للصولي : ٣ و ٤ والعقد الفريد : ٤/٢٨٩ والأغاني : ٢٠ / ٧٥

٣ – رواية الأصول ، وفي المصادر الأخرى : الأمير

٤ – رواية الأصول ، وفي المصادر الأخرى :

إن دعاني الأميرُ عاين مني ... شِمَّرِيّاً كالبلبل الصيّاح

والشمري : الماضي في الأمور المجرِّبُ والجدّ ، والجلجل : الجرس الصغير ، والخفيف الروح النشيط في عمله .

٥ – انظر العقد : ٤ / ٢٨٩ – ٢٩١

٦ – يعرف بالرياضي الكاتب (٢٢٣ – ٢٩٨ ﻫ) بغدادي سكن القيروان وترأس ديوان الإنشاء لبني الأغلب ثم للفاطميين . الأعلام ١٠ / ٥٧

٧ – ساقطة من (ق) وهي في المصادر الأخرى

بأبياتٍ له ، وذكر منها ما تقدم وزاد [١] :

لستُ بالضخمِ في رُؤايَ ولا الفدْ … مِ ولا بالمُجَحْدرِ الدَّحْداحِ [٢]

لحيةٌ كَثّةٌ وأنفٌ طويلٌ [٣] … واتقادٌ كشعلةِ المصباحِ

لستُ بالنّاسك المشمّرِ ثَوْبَيْـ … ـهِ ولا الفاتكِ الخليعِ الوَقّاحِ

فدعا به ، فلما دخل عليه ، أتاه كتابٌ من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له : أجب عنه ! فأجاب في غرضه ، فأمر له بألفِ [ألف [٤]] درهمٍ ، وكان أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، وإذا ركبَ فركابُه مع ركابه ، قال : فبلغ هذا الشعرُ أبا نواس فقال [٥] :

إنَّ أولى بقلة الحظِّ منّي … للمُسمّى بالجُلْجُلِ الصيّاحِ

لم يكن فيكَ غيرُ شيئينِ ممّا … قلتَ [في [٦]] نعتِ خَلْقكَ الدَّحْداحِ

---

١ – الأبيات في الأوراق (قسم أخبار الشعراء) : ٥

٢ – الممتلىء القصير

٣ – في الأوراق : ووجه جميل

٤ – زيادة من (س) و (ر) والعقد

٥ – الأبيات في الأوراق (قسم أخبار الشعراء) : ٢٢ – ٢٣ ، وهي مروية بألفاظ كثيرة مغايرة :

إنّ أولى بقلة الحظ مني … المسمّى بالبلبلِ الصيّاحِ
لم يكن فيك من صفاتك شيء … غير خانق مُدَحْدَحٍ دحداحِ
لحيةٌ ثطّةٌ وأنف قصير … وانثناء عن التقى والصلاح
فيك ما يحمل الملوك على الخر … ق ويسطو بالسيد الجحجاح
والذي قلتُ فيكَ باقٍ صحيح … والذي قلتَ ذاهب في الرياح

٦ – ساقطة من (ق) ، وهي في (س) و (ر)

لحيةٌ كَثّةٌ وأنفٌ طويلٌ ... وسوى ذاكَ ذاهبٌ في الرياحِ

فيك ما يَحْملُ المُلوكَ عَلَى السُّخْـ ... ـفِ ويُزْري بالماجد الجحْجاحِ

باردُ الظرفِ مُظلِمُ الـكذب تيّاً ... هُ معيدُ الحديثِ سَمْجُ المُزاحِ

فبعث إليه أبانُ : لاتُذعها وخُذ [الألفَ [1]] الف درهم ، فبعث إليه أبو نُواس : لو أعطيتَني مائةَ ألفِ [الفِ [1]] ماكان بُدٌّ من إذاعتها ! فيُقال [2] إنّ الفضل بن يحيى لمّا سمع شعر أبي نُواسٍ قال : لا حاجةَ لي في أبانَ ، قد رُمي بخمسٍ في بيتٍ ، لايقبلُه على واحدة منهن إلا جاهلٌ ! فقيل له : كذب عليه ! فقال : قد قيل ذلك ، فأقصاه . كذا قال الشيباني ، فإن يكُ صحيحاً ، فقد أعتبه ، وعاود فيه مذهبَه .

قال أبو الفرج الأصبهاني [3] ، وذكرَ أبانَ : خُصَّ بالفضل وقدم معه ، فقرب من قلب يحيى بن خالد ، وصار صاحبَ الجماعةِ ، وذا [4] أمرهم ؛ ويُقال إنّه عاتبَ [5] البرامكة || على تركهم إيصالَه إلى الرشيد وإيصال مديحِه إليه ، [١٧] فقالوا له : وما تريد من ذلك ؟ قال : أريد أن أحظى منه بمثل ما حَظي به مروانُ

١ – زيادة من العقد

٢ – رواية (س) و (ر) والعقد ، وفي (ق) فقال

٣ – الأغاني : ٢٠ / ٧٥ – ٧٦ وانظر الأوراق (قسم أخبار الشعراء) : ٣ ، ١٤ – ١٥

٤ – في الأوراق والأغاني : وزمام أمرهم

٥ – رواية الأوراق والأغاني ، وفي الأصول : عتب

ابنُ أبي حفصة[1] ، فقالوا : إنّ لذلك مذهباً في هجاءِ آل أبي طالب وذمّهم ، به يَحْظى ، وعليه يُعْطى ، فاسلُكْهُ حتى نفعلَ ، قال : لا أستحلُّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدنيا إلا بفعل ما لا يَحِلُّ ! فقال أبان من قصيدة[2] :

نَشَدْتُ بحقِّ اللهِ من كان مُسلماً … أَعُمُّ بِما [قد[3]] قلتهُ العُجْمَ والعرَبْ

أَعَمُّ رسولِ اللهِ أقربُ زُلفةً … إليه أَمِ ابنُ العمِّ في رُتْبَةِ النَّسَبْ

وأَيُّهما أَولى بهِ وبِعَهْدِهِ … ومَنْ ذا لهُ حقُّ التُراثِ بما وَجَبْ

فإنْ كانَ عباسٌ أحَقَّ بتلكمُ … وكانَ عليٌّ بعدَ ذاكَ عَلَى سببْ

فأبناءُ عبّاسٍ همُ يرِثُونَه … كما العمُّ لابنِ العمِّ في الإرْثِ قدْ حَجَبْ

فقال له الفضل : ما يَرِدُ اليومَ على أميرِ المؤمنين أعجبُ من أبياتكَ ! وركب فأنشدها الرشيدَ ، فأمر لأبانَ بعشرين ألف درهم ، واتصل مدحُه للرشيد بعد ذلك وخُصَّ به .

وأما هجاءُ أبي نُواسٍ لأبانَ ، فإنَّ يحيى بنَ خالدٍ كان قد جعل أمر الشعراء وامتحان أشعارهم وترتيبهم في الجوائز إلى أبان ، فلم تُرضِ أبا نُواس المرتبةُ

١ – مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (١٠٥–١٨٢ هـ) شاعر مجيد ، مدح المهدي والرشيد ومعن ابن زائدة ، وكان يتقرّب إلى الرشيد بهجاء العلوية . الأعلام : ٨/٩٥ وتاريخ بغداد : ١٣/ ١٤٢ – ١٤٥ والفلاكة والمفلوكون : ٨٠ – ٨١

٢ – الأبيات من الطويل وبعدها أبيات كثيرة في (الأوراق) للصولي

٣ – ساقطة في (ق) وهي في المصادر الأخرى .

التي جعله فيها ، فقال يهجوه من أبيات [١] :

جالستُ يوماً أبانًا لا دَرَّ دَرُّ أبانِ

فجاوبه أبانُ بما أقذع فيه [٢] .

ولم يذكر أبو الفرج فيما أورد من أخباره تَغَيُّرَ البرامكةِ عليه ، ولا إحالةَ عندهم لِحاله ، بل حكى [٣] أنَّ مروان بنَ أبي حفصة شكا إلى بعض إخوانه تغيُّرَ الرشيدِ عليه وإمساكه يدَه عنه ، فقال له : ويحك أتشكو الرشيد بعد ما أعطاكَ وأغناكَ ! قال : ويحك أتعجبُ من ذلك ، هذا أبانُ اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ ، مثلَ ما أخذتُه من الرشيدِ في دهري كله ، سوى ما أخذَه منهم ومن أشباههم بعدها .

وكان أبانُ نقل للبرامكة كتابَ (كليلة ودمنَة) فجعله شعراً ليَسْهُلَ حفظُه عليهم ، وهو معروفٌ ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينارٍ . قال الصولي [٤] : فتصدّق أبان بثُلث المال ، [خمسةِ آلاف دينار [٥]] لأنه كان حسنَ السريرة حافظاً للقرآن .

---

١ – الأبيات من المجتث ، وهي في ديوان أبي نواس (طبعة الغزالي) : ٥٤٣

٢ – الأبيات وردّ أبان عليها في الأوراق (قسم أخبار الشعراء) : ١١–١٢ والأغاني : ٢٠/٧٣ – ٧٤ .

٣ – الحكاية في الأغاني : ٢٠ / ٧٣ والأوراق للصولي : ٦

٤ – الأوراق : ٢

٥ – زيادة من (س)

١٧ ـ عبد الله بن سوار بن ميمون

كان يكتب ليحيى بن خالد[١]، قال[٢]: فدعاني يوماً لأكتب، فقال [لي[٣]]: اجلس فاكتب، فقلت: ليس معي دواة، فقال لي: [أ[٣]] رأيتَ صاحبَ صناعةٍ تفارقه آلتُه! وأغلظ لي في حَرْفٍ أراد به ‖ حضّي على الأدب، ثم دعا بدواة [١٨] فكتبتُ بين يديه كتاباً إلى الفضلِ، في شيء من أموره، ففطن[٤] أني متثاقل عن الكتاب بسبب تلك المُخاطبة، فأراد إزالة ذلك عني، فقال لي: [أ[٣]] عليكَ دينٌ؟ فقلت: نعم [قال: كم؟ قلتُ[٣]:] ثلاثُ مائة ألفِ درهم، فأخذ الكتاب ووقع فيه بخطه[٥]:

وكُلُّكمُ قد نال شِبْعاً لِبَطْنِهِ وشِبْعُ الفتى لُؤْمٌ إذا جاعَ صاحِبُهْ

إنّ عبد الله ذكر أنّ عليه ديناً يُخرجه منه ثلاثُ مائةِ ألفِ درهم، فَقَبْلَ أن تضعَ هذا الكتابَ من يدك، فأقسمتُ عليك لمَا حملتَ ذلك إلى منزلهِ، من أحْضرِ مالي قِبلَك، إنْ شاء الله! قال: فحملها الفضلُ [إليّ[٣]] وما علمتُ لها سبباً غيرَ تلك الكلمة.

---

١ ـ يحيى بن خالد البرمكي (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ) معلم الرشيد ومربيه، وصاحب خاتمه بعد الخلافة، وهو والد جعفر والفضل. الأعلام: ٩ / ١٧٥ ـ ١٧٦

٢ ـ الخبر في الجهشياري: ١٩٨ ـ ١٩٩

٣ ـ زيادة من الجهشياري.

٤ ـ في الجهشياري: فظنّ

٥ ـ البيت من الطويل، وهو لبشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة. انظر الجهشياري: ١٩٩

١٨ – حجر بن سليمان

حكى يزيدُ المُهلّبي أنّ يحيى بن خالد رقي إليه عن حُجْر بن سليمان الكاتبِ الحَرّاني أمورٌ، فكان عليه لها مغيظاً، فلما وجّه الرشيد يحيى إلى حَرّانَ ليقتلَ من هُنالكَ من الزنادقةِ، ضاقَ بحُجرٍ منزلُه، فكتب إلى يحيى: «أمّا بعدُ فإنّك لما حللتَ بأرضنا، وقرب مزارُك منا، اعتلج بقلبي أمران؛ أمّا أحدُهما فالاستتارُ منك وخفضُ الشخص في عسكرك؛ وأما الآخر فالإصحار لك والرضا بحكومتك، فاعتلى الرجاءُ لعفوكَ الخوفَ من بادرتك، وعلمتُ أني لم أعجزك فيما مضى من سالف الأيام، ولأنتَ أعظمُ شأناً من الذي لم تَعْدُ قدرتُه الحِيرةَ، إذ يقولُ له النابغةُ[1]:

فإنّك كالليلِ الذي هو مُدركي وإنْ خِلتُ أنّ المُنتأى عنك واسعُ

فأنا أسالك مسألةً، يُعَظِّمُ اللهُ عليها أجركَ، ويُجزل عليها ذُخرك، وأسألك بحق نِعَمِ الله إلاّ بَلَلْتَ ريقي بعفوك، وفرّجت الضيقةَ التي لزمتني بعطفك».
فكتب اليه يحيى بالأمان له والعفو عنه.

وفي (الكتاب المُعرب عن المغرب[2])، أن حُجر بن سليمان هذا، كان من أفصحِ الناس، مع أدب الكتابةِ وظرفها، فلما ولي يزيدُ بنُ مَزْيد الشيباني[3]

١ – ديوان النابغة: ٧٧ والبيت من الطويل

٢ – يذكر بروكلمان (في الملحق: ١ / ١٩٤) كتاباً بهذا الاسم لأبي هلال العسكري، وقد وصلت إلينا نسخة خطية منه (مكتبة عاشر أفندي باستانبول: ٤٣٣، ٣)

٣ – انظر ما تقدم ص: ٤٦، حاشية: ٥

أرمينية ، بعث إليه ، فأمر فشُقَّتْ ثيابُه ، وقال : واللهِ لأُزيلَنَّ لحمَك وعصبَك عن عظمك ، لا واللهِ ما طلبتُ ولايةَ أرمينيةَ إلاّ لأشفي نفسي منك ! فقال : لا تَعْجَلْ أيها الأميرُ ، فإن تكن يدُكَ عاليةً علينا فيدُ الله أعلى ، فانظر إلى مَنْ فوقَك ، ولا تنظر إلى من تحتَك ، فكلُّ ربٍ من العباد مربوبٌ لذي القوة المتين الذي يَنتقم إذا شاء في عاجلٍ ! أُعيذك بالله أيها الأمير أن تساعد غضبَك فتندمَ وخُذِ الفوزَ في الدين والدنيا بالعفو ، فإن الله يقول : ﴿ وليَعْفُوا وليَصْفَحوا ألا تُحبّون أن يَغْفِر الله لَكم والله غفورٌ || رحيم[1] ﴾ . قال عَوانة بن الحكم [١٩] الكلبي والدُ عياضٍ بن عوانةَ : شهدتُه يتكلمُ بهذا الكلام ، وهو مبتلُّ الريق ، سهلُ الكلام ، [سالمٌ[2]] من السَّقط ، كأنما يقرأ في صحيفةٍ ، فقال يزيدُ : أستغفرُ الله ، والله إنّا لمربوبون للرب العظيم ، وإنه ينبغي لنا إذا أطللنا على من دونَنا أن نذكر مَن فوقنا ، خلُّوا عنه وهاتوا له كُسوةً ! يا حُجر بن سليمان قد أعدناك إلى مرتبتك .

١٩ ــ سهل بن هارون[3]

كتب ليحيى بنِ خالد ، وكان منه بمكانٍ ، ولزمه إلى حينِ القبض عليه .

---

١ ــ آية : ٢٢ من سورة النور

٢ ــ زيادة من (س) و (د)

٣ ــ سهل بن هارون (ـ ٢١٥ ﻫ) كاتب بليغ حكيم ، خدم الرشيد ، وكان معروفاً بشعوبيته ، والجاحظ شديد الاعجاب به . الأعلام : ٣ / ٢١١ والمجلة الاسلامية : ٤ / ٦٤ ــ ٦٥ وأمراء البيان : ١٥٩/١ ــ ١٩٠

حكى عنه قال [١] ، : إني لأحملُ [٢] أرزاقَ العامّةِ بين يدي يحيى بنِ خالد في فِنائه داخلَ سُرادقه ، وهو مع الرشيدِ بالرقّة ، وهو يعقدها جُملاً بكفه ، إذْ غشيتهُ سآمةٌ ، وأخذته سِنَةٌ فغلبتهُ عيناه ، فقال : ويلَك ياسهلُ ، طرق النومُ شَفْري [٣] ، وأكلَتِ السِّنَةُ خاطري ، فما ذاك ؟ قلتُ : ضيفٌ كريم ، إنْ قرَيتَه روَّحَك ، وإنْ منعتَه عنَّتَك ، وإن طردتَه طلبَك ، وإن أقصيتَه أدركك وان غالبتَه غلبك ! قال : فنامَ أقلَّ من فَواقِ بَكِيّةٍ [٤] ، أو نزع ركية ، ثم انتبه مذعوراً ، فقال : يا سهلُ لأمرٍ ماكان ، ذهبَ واللهِ ملكُنا ، وذَلَّ عزنا ، [وانتقضت أيامُ دولتنا [٥]] قلتُ : وما ذاك ، أصلح الله الوزير ؟ قال : رأيتُ كأنّ مُنشداً أنشدني [٦] :

كأنْ لم يكن بين الحُجونِ إلى الصفا أنيسٌ ، ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ

فأجبتُه على غير رويةٍ ، ولا إجالةِ فكرة :

بلى نحنُ كُنا أهلها فأزالنا [٧] صُروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ

قال : فوالله ما زلت أعرفها منه ، وأراها ظاهرةً فيه ، إلى الثالث من يومه

١ – الخبر في العقد : ٥ / ٣٣٩ – ٣٤١

٢ – رواية الأصول ، وفي العقد : لأحصّل

٣ – الشفر والجمع أشفار : أصل منبت شعر الجفن

٤ – الفَواق والفُواق : مابين الحلبتين من الوقت ، والبكية : الناقة القليلة اللبن .

٥ – زيادة من العقد

٦ – قصة أخرى حول هذين البيتين في الجهشياري : ٢٥٣ وهما من الطويل

٧ – رواية الأصول ، وفي الجهشياري والعقد : فأبادنا

ذاك ، فإني لفي مقعد[ي[1]] بين يديه ، أكتب توقيعات ٍ في أسفل ِ كتبه لطلاب الحوائج إليه ، قد كلفني إكمال معانيها بإقامة الوزن فيها ، إذ وجدتُ رجلاً سعى إليه[2] ، حتى أوفى مُكِباً عليه ، فقال : مهلاً ويحك ، ما اكتتم خيرٌ ، ولا استتر شرٌ ! قال: قَتَلَ أميرُ المؤمنين الساعةَ جعفراً ! قال : أوَ[قد[1]] فعل؟ [قال: نعم[1] !] قال : فما زاد على أن رمى القلم من يده [و[1]] قال : هكذا تقومُ الساعةُ بغتةً ! قال سهلٌ : فلو انكفأت السماءُ على الأرض ما زاد : تبرأ منهم الحميمُ، واستبعد عن نسبهم القريب ، وجَحَدَ ولاءهم المولى ،واستعبرت لفقدهم الدنيا،فلا لسان يحظى بذكرهم ، ولا طرف [ناظر[1]] يشير إليهم ؛ وضُمَّ يحيى بنُ خالد ، وقته ذلك[3] ، والفضل ومحمد وخالد ، بنوه وبنوهم ، مع بني جعفر بن يحيى، ومن لفّ لفهم ، أو هَجَس بصدره أمل فيهم ؛ وبعث فيّ الرشيد ، فوالله لقد أعجلت [٢٠] عن النظر ، فلبست ثياب إحرامي وأعظم رغبتي إلى الله في الإراحة بالسيف ، وألاّ يُعبَثَ فيّ عَبَثَ جعفر[4] ، فلما دخلتُ عليه ، ومثلت بين يديه ، عرف الذعر فيّ بجَرَضِ ريقي ، وشُخوصي إلى السيف المشهور ببصري ، فقال : إيهاً يا سَهْلُ ، من غَمَط نعمتي ، وتعدى وصيتي ، وجانب موافقتي ، أعجلَتْه عُقوبتي ! قال : فوالله ما وجدتُ جوابها حتى قال لي : ليُفْرِخْ رَوعُك ،

---

١ – زيادة من العقد

٢ – رواية العقد ، وفي الأصول : وجبب رجلا ساع إليه !

٣ – في العقد : وبقية ولده

٤ – في العقد : وإلا تُعيتُ في نعي جعفر

ويسكنْ جأشُك ، وتَطِبْ نفسُك ، وتطمئن حواسّك ، فإنّ الحاجة إليك قرّبت منك ، وأبقت عليك ما يبسط منقبضك ، ويطلق معقولَك ، وأشار إلى مصرع جعفرٍ وقال [1] :

من لم يؤدِّبْهُ الجميـ ـلُ ففي عُقوبتهِ صلاحُهْ

فقال سهل : فوالله ما أعلم أني عَيِيتُ عن جواب آخرَ قطُّ ، غير جواب الرشيد يومئذ ، فما عوَّلتُ في الشكر إلاّ على تقبيلِ باطنِ رجليه ! .. ثم قال : اذهب قد أحللتُك محلَّ يحيى ، ووهبتُ لك ما ضمّتهُ أبنيته وحواه سُرادقُه ، فاقبض الدواوين ، وأحْصِ حِباءَ جعفرٍ لتأمرَك بقبضه إنْ شاء الله . قال سهل : فكنتُ كمن نُشر من كفنٍ وأُخرج من حبس .

ثم جلَتْ حال سهل عند الرشيد وخُص به ، فدخل عليه يوماً وهو يُضاحك ابنَه المأمونَ ، فقال [2] : أللهمَّ زِدْه من الخيرات ، وابسط له في البركات ، حتى يكون كل يوم من أيامه مُوفياً على أمسه ، مُقصراً عن غده ! فقال الرشيد : ياسهل ، مَنْ روى من الشعرِ أحسنَه وأجودَه ، ومن الحديثِ أصحَّه وأبلغَه ، ومن البيان أفصحَه وأوضحَه ، إذا رام أن يقولَ لم يُعجِزْه ، فقال : يا أمير المؤمنين :

---

(1) البيت من مجزوء الكامل ، وذكره الجاحظ في (المعاد والمعاش) انظر مجموع رسائل الجاحظ ، نشر كراوس والحاجري : ١٦

(2) الخبر في العقد : ٢/١٣

ما ظننتُ أنّ أحداً تقدّمني إلى مثل هذا المعنى ! قال : بلى ، أعشى هَمْدانَ حيث يقول (١) :

رأيتُك أمسِ خيرَ بني لُؤيٍّ　　وأنتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

وأنتَ غداً تزيدُ الخَيْرَ ضِعْفاً　　كذاكَ تزيدُ سادةُ عبدِ شمسِ

واستثقل المأمونُ سهل بنَ هارون (٢) ، فدخل عليه يوماً والناسُ على منازلهم ، فتكلّم المأمونُ بكلامٍ ذهبَ فيه كلَّ مذهب ، فلما فرغ أقبلَ سهلٌ على ذلك الجمع فقال : ما لكم تَسمعون ولا تَعُون ! وتُشاهدون ولا تفهمون ، وتفهمون ولا تَعْجبون ، وتعجبون ولا تُنصفون ! أما والله إنه لَيقولُ ويفعلُ في اليوم القصير مثلَ ما قالت وفعلت بنو مروانَ في الدهر الطويل ، عربهم كعجمهم وعجمهم كعبيدهم ، ولكن كيفَ يعرفُ الدواءَ من لا يشعر بالداء ! فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول .

وهذا كاستثقال الحجّاج زيادَ بن عمرو العتكي (٣) ، فلما وفد على عبد الملك ابن مروان ، والحجاج حاضرٌ ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجاج سيفُك الذي لا ينبو ، وسهمُك الذي لا يَطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومةُ لائم ؛ فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ عليه منه .

---

١ – البيتان من الوافر ، وذكرهما الجاحظ في رسالته (كتمان السر وحفظ اللسان) انظر مجموع رسائل الجاحظ (كراوس والحاجري) : ٣٨

٢ – الخبر في البيان والتبيين : ١ / ٣١٨ – ٣١٩ ؛ والعقد : ٢ / ١٣ – ١٤

٣ – الخبر في العقد : ٢ / ١٤

[٢١] وشبيهُ ثناء زياد على الحجاج ثناءُ أبي دُلَفٍ العِجْلي [١] || على عبد الله بن طاهر [٢] عند المأمون، حين دخل عليه بعد الرضا عليه، فسأله عن عبدالله بن طاهر، فقال: خلّفتهُ يا أميرَ المؤمنين أمينَ غيبٍ، نصيحَ جيب، أسداً فينا قائماً على براثنه، يسعدُ به وليُّك، ويشقى به عدوُّك، رحبَ الفناء لأهل طاعتك، ذا بأسٍ شديدٍ لمن زاغَ عن قصد محبتك، قد فقّهه الحزمُ وأيقظه العزمُ، فقام في بحر الأمور، على ساق التشمير، يبرمها بأيدهِ وكيده، ويفلُّها بحدّه وجِدّه، وما أُشبِّهه في الحرب إلاّ بقول عباس بن مرداسٍ [٣]:

أَكُرُّ على الكتيبةِ لا أُبالي ... أَحَتْفي كان فيهـا أم سِواها

والمأمونُ في خلفاء بني العباسِ اغزرُهم علماً، وأشهرُهم حِلماً، وكان يقول: لو علم الناس لذّتنا بالعفو لتقرّبوا إلينا بالجرائم! وقال لعمه ابراهيم بن المهدي [٤]: لقد حببتَ إليّ العفوَ حتى خفتُ ألاّ أُؤجرَ عليه!

---

١ – هو القاسم بن عيسى (– ٢٢٦ هـ) أمير جواد شجاع، من قادة جيش المأمون، وللشعراء فيه أماديح. الأعلام: ٦/ ١٣

٢ – عبد الله بن طاهر (– ٢٣٠ هـ) أمير خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، ويُقال إنه كان تبنّاه ورباه. الأعلام: ٤/ ٢٢٦

٣ – البيت من الوافر، والعباس بن مرداس شاعر مخضرم، أسلم قبيل فتح مكة ومات في خلافة عمر. الأعلام: ٤/ ٣٩

٤ – ابراهيم بن المهدي (– ٢٢٤ هـ) عم المأمون، انتهز فرصة اختلاف الأمين والمأمون فدعا إلى نفسه وبايعه كثيرون في بغداد، فطلبه المأمون فاختفى ثم استسلم له فعفا عنه. الأعلام: ١/ ٥٥ – ٥٦، وابن خلكان: ١/ ١٩ – ٢٣

فلو تقدم عصرُ مولانا الذي فَضَلَ العصورَ الخالية ، وأحالَ على العَطَل الملوكَ الخالية ، لَقلتُ إيّاه تَقبيلَ ، معارفَ وعوارفَ ، وعلاه تَسَرْبَلَ ، مِنْ تَوالِدَ وطوارف [١] ، وإلاّ فهأنا مع الاصطناع الظاهر ، والاستشفاع بالنجل المبارك الطاهر ، كالذي قال للحسنِ بن سهل [٢] ، وقد أتى ما أتيتُ عن جَهْل [٣] :
ذَنبي أعظم من السماء ، وأوسعُ من الهواء ، وجُرمي أكثرُ من الماء ! فقال له الحسن : على رِسْلِكَ ، [قد [٤]] تقدّمت لك طاعةٌ ، وحَدَثَتْ منك توبةٌ ، وليس للذنب بينهما مكان ، وما ذنبُكَ في الذنوب بأعظمَ من عفو أمير المؤمنين في [العفو [٤]] ! وفيه يقول الحسن بن رجاء الكاتب [٥] :

صَفُوحٌ عن الإجرامِ حتىّ كأنّهُ ... من العفو لم يَعْرِف من الناس مُجرما
وليس يُبالي أَن يكونَ به الأذى ... إذاما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْهِ مُسلما

وقد تضمنت هذه الرسالة من أنبائه ، ما يدل على كماله ، ويجلو للأحداق صورَ مكارم الأخلاق في سماحه واحتماله .

١ – جمع تليد وطريف
٢ – الحسن بن سهل (– ٢٣٦ ﻫ) وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاة في عصره ، ووالد بوران زوجة المأمون . الأعلام : ٢ / ٢٠٧
٣ – انظر العقد : ٢ / ٣٠ ، والقائل هو نعيم بن حازم
٤ – زيادة من (ر)
٥ – البيتان من الطويل ، وقد وردا في (الفرج بعد الشدة) : ٨٤ ، والحسن بن رجاء ممدوح أبي تمام ، وهو من كبار كتاب الدولة العباسية ، وابن الأبار يخصص له ترجمة في (الإعتاب) : الترجمة رقم : ٦٤

٢٠ ـ كُلثوم بن عمرو العتّابي [١]

كان ممن جُمع له البيان والخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة .

قال ابنُ عبد ربه [٢] : بلغني أنّ صديقاً لكلثوم العتّابي أتاه يوماً فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستمدّ مُدّةً ، ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً [عنك [٣]] فقال له العتّابي : إني لمّا تناولتُ القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة ، فأحببتُ أن أترك كلّ معنى حتى [يرجع إلى موضعه ثم [٤]] أجتني لك أحسنها .

[٢٢] || وهذا كما رُوي أنّ ابن المقفّع كان كثيراً ما يقف قلمه ، فقيل له في ذلك فقال: إنّ الكلامَ يزدحم في صدري ، فيقفُ قلمي لتخيّره !

وسُعي بالعتّابي إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلاد الروم [٥] ، فقال يعتذرُ ، وهو مُشبَّه في حسن الاعتذار بالنابغة الذُّبياني [٦] :

---

١ ـ العتابي (- ٢٢٠ هـ) شاعر شامي مجيد ، وكاتب حسن الترسل ، مدح الرشيد والبرامكة ، وصحب طاهر بن الحسين : الأعلام : ٦ / ٨٩ ـ ٩٠ وطبقات ابن المعتز : ١٢٣ ـ ١٢٤ والأغاني : ١٢ / ٢ - ١٠ ، وانظر مقالة مفصلة في حياته وأدبه لطه الحاجري في مجلة الكاتب المصري (المجلد السابع ، العدد : ٢٨ ، يناير ١٩٤٨)

٢ ـ انظر العقد : ٤ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠

٣ ـ زيادة من العقد

٤ ـ زيادة من (س)

٥ ـ انظر سبب غضب الرشيد عليه في (الجهشياري) : ٢٣٣ ، وفيه أن هربه كان إلى اليمن ، وانظر زهر الآداب (مبارك) : ٣ / ٤٢

٦ ـ الأبيات من الطويل ، وهي في زهر الآداب (مبارك) : ٣ / ٤٢

جعلتُ رجاءَ العفو عُذْراً وشِبْتَه بهيبـةِ إمّا غافرٍ أَوْ معـاقبِ

وكنتُ إذا ما خفتُ حادثَ نَبْوةٍ جعلتُك حِصناً من حِذارِ النوائبِ

فأنزلَ بي هجرانُك اليأسَ بعد ما حللتُ بوادٍ منك رَحْبِ المشاربِ

أظلُّ ومرعايَ الجديبُ مكانهُ وآوي إلى حافاتِ أَكْدرَ ناضبِ

ولم يَثْنِ عن نفسي الردى غيرَ أنَّها تثوبُ لباقٍ من رجائكَ ثائبِ

هي النفسُ محبوسٌ عليك رجاؤها مقيدةُ الآمال دونَ المطـالبِ

وتحتَ ثيابِ الصبرِ منّي ابنُ لوعةٍ يظلُّ ويُمسي مُستكِنَّ(١) الجوانبِ

فتىً ظفرتْ منه الليـالي بزلّةٍ فأقلعنَ منه داميـاتِ المخالبِ

حَنانَيْكَ إني لم أكُن بعتُ عِزةً بذلٍ، وأحرزتُ المُنى بالمواهبِ

فقد سمتني الهجرانَ حتّى أذقتني عُقوبـةَ زلّاتي وسوءِ منـاقبي

فهأنا مُقْصىً في رضاكَ وقابضٌ عَلى حدِّ مصقولِ الغِرارينِ قاضبِ

ومنتزحٌ عمّـا كرهتُ وجاعلٌ هواكَ مِثالاً بين عيني وحاجبي

وقال أيضاً(٢) :

رَحلَ الرجاءُ إليكَ مُغْتَربـاً حُشدت عليـهِ نوائبُ الدهرِ

---

١ - رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) مستكين ، وفي زهر الآداب : مستلين

٢ - الأبيات من الكامل

ردت إليكَ ندامتي أملي ... وثنىْ إليك عنانَه شُكري

وجعلتُ عَتبك عتبَ مَوْعِظةٍ ... ورجاء عفوِكَ مُنتهىْ عُذري

فعفا عنه الرشيدُ ، ومن جيّدِ مَدْحه فيه [1] :

إمامٌ له كَفٌ يَضمُّ بنانُها ... عصا الدّين ممنوعاً من البَرْيِ عودُها

وعينٌ مُحيطٌ بالبريّةِ طَرفُها ... سواءٌ عليها قُربُها وبَعيدُها

وله فيه أيضاً [2] :

رَعىْ أُمّةَ الإسلامِ فهو إمامُها ... وأدّىْ إليها الحقَّ فهو أمينُها

مُقيمٌ بمُسْتَنّ [3] العُلا حيثُ تلتقي ... طوارقُ أبكارِ الخطوبِ وعونُها

ومن بديع الاعتذار قولُ إبراهيم بن المهدي للمأمون [4] :

[٢٣]

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ به شَدَنيّةٌ [5] ... بعد الرسولِ لآيسٍ أو طامعِ

لم أدرِ أنَّ لِمثلِ جُرمي غافراً ... فظللتُ أرقبُ أيَّ حتفٍ صارعِ

واللهُ يعلمُ ما أقولُ فإنّها ... جهدُ الأليّةِ من مُقرٍ باخعِ

ما إنْ عَصَيْتُكَ والغُواةُ تَمُدُّني ... أسبابُها إلاّ بنِيّةِ طائعِ

---

١ – البيتان من الطويل ، وهما في البيان والتبيين : ٣ / ٢٨٨ وزهر الآداب (مبارك) : ٣ / ٤١

٢ – البيتان من الطويل ، وهما في زهر الآداب (مبارك) : ٣ / ٤١ – ٤٢

٣ – مستن الطريق : حيث وضحت .

٤ – الأبيات من الكامل ، وهي من قصيدة مشهورة . انظر مروج الذهب : ٧ / ٦٤

٥ – الإبل الشدنية : منسوبة إلى شدن وهو موضع باليمن ، وقيل : فحلٌ باليمن .

وقوله [١] :

ذنبي إليكَ عظيم　　　وأنتَ أَعظمُ منهُ

فخذْ بحقكَ أو لا　　　فاصفحْ بفضلك عنهُ

إنْ لم أَكُنْ في فعالي　　　منَ الكِرامِ فَكُنْهُ

وقولُ إسحاق بنِ إبراهيمَ الموصلي [٢] للمأمونِ أيضاً [٣] :

لاشيءَ أعظم من جُرمي ومن أملي　　　لِحُسنِ عَفْوِكَ عن جُرمي وعن زَلَلي

فإنْ يكن ذا وَذا في القَدْرِ قدْ عَظُما　　　فأنتَ أعظمُ من جُرمي ومن أَمَلي

وقولُ علي بن الجهم للمتوكل [٤] ، وقد تَمثّل به جعفرُ بنُ عثمان المصحفي فنُسبَ إليه وهماً [٥] :

عفا اللهُ عنكَ ألا حُرْمةٌ [٦]　　　تَعوذُ بعفوكَ أَن أُبعَدا

لَئِنْ جلَّ ذنبٌ ولم أَعْتَمِدْهُ　　　فأنتَ أَجلُّ وأعلى يَدا

أَلم ترَ عبداً عَدا طورَهُ　　　ومولىً عَفا ورشيداً هَدى

---

١ – الأبيات من المجتث وهي في (المستجاد من فعلات الأجواد) : ٨١ و (الفرج بعد الشدة) : ٢/٤٤

٢ – ابن النديم الموصلي (– ٢٣٥ هـ) من أشهر ندماء الخلفاء ، شاعر عالم بالغناء والموسيقى . الأعلام : ١ / ٢٨٣ وابن خلكان : ١ / ١٨٢ – ١٨٤

٣ – البيتان من البسيط

٤ – الأبيات من المتقارب وهي في ديوان علي بن الجهم : ٧٧ – ٧٨ ، من قصيدة كتب بها الشاعر إلى المتوكل وهو محبوس . وانظر ترجمة الشاعر في مقدمة الديوان ، والمجلة الاسلامية : ١/٢٨٧–٢٨٨

٥ – الأبيات منسوبة إلى جعفر المصحفي في المصادر التالية : نفح الطيب : ٢ / ١٢٦ والمطمح : ٦ والبيان المغرب : ٢ / ٢٦٨

٦ – في نفح الطيب : رحمة

وَمُفْسَدَ أَمْرٍ تَلافيتَهُ فعادَ فأَصلحَ مـا أَفْسَدا
أَقِلني أَقالك مَنْ لم يَزَلْ يَقيكَ ويَصْرِفُ عنكَ الرَّدىٰ

وما أحسنَ قولَ أبي بكر بن عَمّارٍ[1] للمعتمد محمد بن عبّاد رحمه الله[2] :

سجاياكَ إنْ عافيْتَ أندىٰ وأَسجَحُ وعُذركَ إنْ عاقبْتَ أَجلىٰ وَأَوضحُ
وإنْ كان بينَ الخُطّتينِ مَزيّةٌ فأَنتَ إلىٰ الأدنىٰ من الله أَجْنَحُ

ويُشبه قول العتّابي :

رَدّتْ إليك ندامتي أَملي البيت . . .

ما كتب به سعيد بنُ حميد[3] إلى بعض الرؤساء معتذراً ، وقد نَسَبَ ذلك أبو اسحق الحصري الى ابن مكرم وأتى به مختصراً : « نَبَتْ بي عنكَ غِرّةُ الحَداثة فردّتني إليك الحنكة ، وباعدتني منكَ الثقةُ بالأيام ، فأدنتني إليك الضرورة ، فسدتُ فلم أصلح لغيركَ ، وبخستُك معروفَك فلم أهنأ ظلمك ، [٢٤] || وها أنا قد ألقيتُ بيدي إليك لمّا ضاقتْ عليَّ المذاهبُ ، وتقطّعت بي السُبُل ، وأدركتني عاقبةُ ما أسلفتُ ، وارتهنتُ بسوء النية ما قدّمتُ ، فتركتُ ما أنكر ، وانصرفتُ إلى ما أعرف ، ثقةً بإسراعكَ إليَّ وإن أبطأتُ عنكَ ، وقبولِك المعذرةَ وإنْ قصّرْتُ

---

١ – محمد بن عمار (– ٤٧٧ هـ) شاعر أندلسي ، وزير المعتمد العبادي ومشيره ، استنابه على (مرسية) فعصى بها ، فقبض عليه المعتمد وقتله . الأعلام : ٧ / ٢٠٠ والمجلة الاسلامية : ٢ / ٣٨٣

٢ – البيتان من الطويل وهما من قصيدة نجدها في (نفح الطيب) : ٧/١٠٨–١٠٩ والمعجب للمراكشي : ٨٨

٣ – سعيد بن حميد (– نحو ٢٥٠ هـ) كاتب مترسل شاعر ، قلده المستعين العباسي ديوان رسائله . الأعلام : ٣ / ١٤٦

عن واجبك ، وإن كانت ذنوبي قد سَدّت عليّ مسالكَ الصفح عني فراجِعْ فيّ مجدَك وسؤددَك ، وأي موقف هو أدنى من هذا الموقف ، لولا أنّ الاعتذار فيه إليك ، والمخاطبة بما ضمنته كتابي إليك ؟ أم اي خطة هي أزرىٰ بصاحبها من خطة أنا راكبها ، لولا أنها في طلب رضاك ، فإن رأيتَ أن تستقبلَ الصنيعة بقبول العذر ، وتُجدِّدَ النعمةَ باطّراح الحقد ، وتستأنفَ المِنّةَ بنسيان الزلّة ، وتردّني إلى موضعي في قلبك ، وإن كنتُ أعلم أني لم أدع إلى ذلك سبيلاً ، فإنّا رأينا قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة ويمسحانه ، فعلتَ ، فإنّ أيام القدرة وإن طالت قصيرةٌ ، والمتعة بها وان كثرت قليلةٌ ، والمعروف — وإن أُسدي عوداً على بدء إلى من يَكفُرُه — مشكور على كل حالٍ بلسان غيره » .

وكان العتّابي[1] أيامَ هارونَ الرشيد في ناحية المأمون ، وشيّعه عند خروجه إلى خراسان ، حتى وقف معه على سَنْدَان[2] كسرى ، فلما حاولَ وَداعه قال له المأمون : سألتُك بالله يا عتّابي إلا عملتَ على زيارتنا إن صار لنا من هـذا الأمر شيءٌ ! .. ولمّا قدم المأمون بغدادَ يوم السبت مُنتصف صفر سنة أربع ومائتين ، توصّل إليه العتّابي ، فتعذّرَ عليه لقاؤه ، فتعرّض ليحيى بن أكثم[3] [فقال : أيها القاضي إنْ رأيتَ أن تذكّر بي أميرَ المؤمنين[4] !] فقال له يحيى : ما أنا بحاجبٍ !

١ — الخبر في زهر الآداب (مبارك) : ٣ / ٤٠ ، ومختصره في العقد : ١ / ٣٢٤
٢ — كذا في الأصول وزهر الآداب ، وفي العقد : سنداد . وانظر معجم البلدان : ٣/ ٢٦٥ — ٢٦٧ : سنداد نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلّة .
٣ — يحيى بن أكثم (— ٢٤٢ ﻫ) قاضي القضاة ببغداد للمأمون والمتوكل ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد . الأعلام : ٩ / ١٦٧
٤ — زيادة من العقد وزهر الآداب

فقال العتّابي: قد علمتُ ،ولكنّكَ ذو فضلٍ ، وذو الفضل معوان ؛ قال :سلكتَ بي غيرَ طريقي ! فقال : إنّ الله أَلحقك بجاهٍ ونعمة ، وهُما مقيمان عليكَ بالزيادة إن شكرتَ ، والتغيير إنْ كفرت ، وأنا اليوم خيرٌ منك لنفسك ، أدعوكَ إلى ما فيه زيادةُ نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاةٌ ، وزكاةُ الجاه بَذْلُه للمستعين ! فدخل إلى المأمون فقال : يا أمير المؤمنين أجرني من العتّابي ولسانه ، فلم يأذن له وشُغل عنه ، فلما رأى العتّابي جفاءه قد تمادى كتب إليه [1] :

ما على ذا كنّا افترقنا بسندا نَ ولا هكذا رأيتُ الإخاءَ

لم أكن أحسبُ الخلافةَ يزدا دُ بها ذو الصَّفاء إلاّ صفاءَ

تضربُ الناسَ بالمهنَّدة البُتْـ ـرِ عَلَى غدرِهم وتنسىٰ الوفاءَ !

يُعرِّضُ بقتله لأخيه على غدره ونكثه لِمَا عقد الرشيد ، فلما قرأ المأمون كتابه دعا به ، فدنا منه وسلّم بالخلافة ، ثم وقف بين يديه ، فقال : يا عتّابي [بلغتني [2]] وفاتك فغمّتني ، ثم انتهتْ إليَّ وفادتُك فسرّتني ، وإني لَحَريٌّ بالغم لِبُعدك والسرور بقُربك ، فقال : يا أمير المؤمنين [٢٥] لو قُسِّمَ هذا البر على أهل منى وعرفات لَوَسِعَهم عدلاً ، وأعجزَهم شُكراً ، وإنّ رضاكَ لغايةُ المُنى لأنه لا دينَ إلا بك ، ولا دُنيا إلاّ معك ! قال : سَلْ حاجتَك ، قال : يدُك بالعطيةِ أطلقُ من لساني بالمسألةِ ، فأمر له بخمسين ألفاً .

١ - الأبيات من الخفيف ، وعزاها الصولي إلى أحمد بن يوسف . انظر الأوراق (تتم أخبار الشعراء) : ٢١٠ ، ويذكر الصولي أنها معزوة لأبي العتاهية أيضاً .

٢ - زيادة من (ر) وزهر الآداب

٢١ ــ الفضل بن الربيع [1]

قال ابن عبد ربه [2] : كتب للرشيد يحيى بنُ خالد بن برمك ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم اسماعيل بنُ صَبيح [3] ، وللأمين الفضلُ بن الربيع . وقال في موضع آخر [4] : وممن نبه بالكتابة بعد الخمول الربيع والفضلُ بن الربيع ، وسمّى معهما جماعة .

وقال الصولي : لما قبض الرشيد على البرامكة استوزر الفضلَ ، وقد كان على حجابته ، وبقي ، فربما استخلف من ينوب فيها عنه . ويُحكى [5] أنه دخل قبل ذلك على يحيى بن خالد فلم يُوَسِّع له ، ولا هشَّ ، ثم قال: ما جاء بك يا أبا العباس ؟ قال : رقاعٌ معي ! فردّه عن جميعها ، فوثب الفضلُ يقول [6] :

عسى ولعلَّ الدّهرَ يَثني عنانَهُ بِعَثْرةِ جَدٍّ والزمانُ عَثورُ

---

١ ــ الفضل بن الربيع بن يونس (١٣٨ ــ ٢٠٨ هـ) حاجب المنصور ووزير الرشيد والأمين ، وكانت نكبة البرامكة على يديه . الأعلام : ٥ / ٣٥٣ والملة الاسلامية : ٢ / ٣٨ ــ ٣٩

٢ ــ انظر العقد : ٤ / ٤٥٠

٣ ــ انظر الترجمة التالية : ص ١٠٢

٤ ــ العقد : ٤ / ٢٥٦

٥ ــ انظر الخبر في الجهشياري : ٢٥١ والفرج بعد الشدة : ١ / ٦٥ ونشوار المحاضرة : ٨ / ١١٦ وابن خلكان : ٣ / ٢٠٦

٦ ــ البيتان من الطويل ، وهناك اختلاف كبير في رواية البيتين في الجهشياري والتنوخي :

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتعريف حال والزمان عثور

فتُقضى لُبانات وتشفى حسائك وتحدث من بعد الأمور أمور

فتُدرِكَ آمالٌ وتُقضى مآربٌ وتحدثَ منْ بعدِ الأُمورِ أُمورُ

فرده ووقع له بما أراد .

واتصلت وزارته للرشيد ، إلى أن توفي بطوس[1] ، وهو معه ، فأخذ البيعة للأمين على القواد وسائر الطبقات ، وأجّلَ الناس ثلاثاً ، ثم قفل بهم إلى بغداد ففوّض الأمينُ إليه الأمر ، وجعله وزيره والآمرَ والناهي في كل شيء . وكان يرى انهماكَ الأمين ونقصَه فيسوءه ذلك ، وتبلغ به الحفيظةُ والنصيحة أحيانا إلى أن يُسمعه ما لا يُحتمل فيحلم عنه . وحكى ابنُ عبدوس[2] : أن الأمين عزم يوماً على الاصطباح ، وأحضر ندماءه وأمر كلّ واحد منهم أن يطبخ قِدراً بيده ، وأحضر المغنين ، ووُضعت الموائد ، فلما ابتدأ يأكل ، دخل إليه اسماعيل بنُ صبيح فقال : يا أمير المؤمنين هذا [هو[3]] اليوم الذي وعدتني أن تنظر في أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال ، وقد اجتمعت عليّ أعمالٌ منذ سنة ، لم تنظر في شيءٍ منها ، ولم تأمر فيها ، وفي هذا دخُول الضرر في الأعمال ؛ فقال له [محمد[3]]: [٢٦] إن اصطباحي لا يحولُ بيني || وبين النظر ، وفي مجلسي من لا أنقبضُ عنه ، من عم وابنِ عم ، وهم أهل هذه النعمة التي يجب أن تُحاط ، فأحْضِرْ ما تُريد عرضه ، فاعرِضْه عليّ وأنا آكلُ ، لأتقدّمَ فيه بما يُحتاج إليه ، إلى أن يُرفع الطعام ، ثم أُتمم النظر فيما يبقى ، ولا أسمع سماعاً حتى أُتمّ[4] الباقي وأفرغ منه ؛ فحضر كُتّاب

١ – طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ : معجم البلدان : ٤ / ٤٩

٢ – انظر الجهشياري : ٢٩٩ – ٣٠٠

٣ – زيادة من الجهشياري

٤ – رواية الأصول ، وفي الجهشياري : حتى أبرم

الدواوين بأكثر [مافي[1]] دواوينهم، وأقبل اسماعيل بنُ صبيح يقرأ على الأمين، وهو يأمر وينهى أحسن أمر ونهي [وأسدّه[2]]، وربّما شاور مَنْ حوله في الشيء بعد الشيء، وكلّما وقّع في شيء وُضع بالقرب من اسماعيل بن صبيح، ورُفعت الموائد، ودعا بالنبيذ، وكان لا يشرب في القدح أقلّ من رطل واحد، وأخذ في تتميم العمل، ثم دعا بخادم له، فناجاه بشيء أسرّه اليه، فمضى ثم عاد، فلما رآه نهض واستنهض ابراهيمَ بنَ المهدي وسليمان بن علي، فما مشوا عشرة أذرع، حتى أقبلَ جماعة من النفّاطين، فضرموا تلك الكتبَ والأعمال بالنار، وكان الفضلُ بنُ الربيع حاضراً فلحق بالأمين و[قد[1]] شَقّ ثوبه، وهو يقول: اللهُ أعدلُ من أن يرضى أن يكون مهدي[3] أمة محمد نبيه [صلى الله عليه وسلم[4]] مَنْ هذه أفعالُه! وهو يضحك ولا يُنكر قول الفضل.

ولما قُتل الأمين استتر الفضل، وطال استخفاؤه، إلى أن دخل المأمون بغداد، فسأل عنه، فشفع فيه طاهر بن الحسين؛ وقد قيل إن المأمون وجده قبل الشفاعة ثم شفع فيه طاهر، فعفا عنه. ويُقال: إنّ الفضل لقي طاهراً في موكبه، فثنى عنان فرسه معه، وقال: يا أبا الطيب ما ثَنَيْتُ عناني مع أحدٍ قبلك قطّ، إلاّ مع خليفةٍ أو ولي عهد! قال له طاهر: صدقتَ ولكن قل حاجتك، فقال: صفحُ أمير المؤمنين عني وتذكيره بحرمتي! فقال المأمونُ: قد صفحتُ عنه، على

---

١ – زيادة من الجهشياري

٢ – زيادة من (ر) والجهشياري

٣ – رواية الأصول، وفي الجهشياري: مدبراً أمور

٤ – زيادة من (س) والجهشياري

أنّ تذكيره بحرمته ذنبٌ ثانٍ ؛ وكان الفضل قد أمسكه في حجره ، في حَوْلَي رَضاعه ؛ وأمر بإحضاره ، فلما وقعت عينه عليه سجدَ وقال : إنمّا سجدتُ لله شكراً لِما ألهمني من العفو عنه[1] ! ثم قال[2] : يا فضلُ أكان في حقي عليك وحق آبائي أن تثلبني وتشتمني وتحرّض على دمي ؟ أتريد أن أفعل بكَ مع القدرة مثل ما أردتَ بي؟ فقال الفضل : يا أميرَ المؤمنين إن عذري يُحْقِدُك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف اذ أعقتْه العيوبُ ، وقبّحتْه الذنوب، فلا يَضِقْ عني من عفوك ما وسع غيري منه ، وإنك كما قال الحسن بن رجاء فيك :

صَفوحٌ عن الإجرامِ حتى كأنّه ... من العفو لم يعرف من الناسِ مُجرما
وليس يبالي أن يكونَ به الأذى ... إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْهِ مُسلما

وقد تقدّم إنشادهما[3] ؛ فأمسك عن عتابه ، وأذنَ له في حُضورِ بابه .

[٢٧] ٢٢ ـ اسماعيلُ بن صَبيح[4]

كتب للرشيد، وخُص به ، وله يقول إبقاءً عليه ، وإيصاءً بما يحفظ[5] الصنيعة

١ – ويُروى أن المأمون سجد أيضاً لأن الله ألهمه العفو عن عمه ابراهيم بن المهدي . انظر المستجاد من فعلات الأجواد : ٨٤

٢ – انظر الفرج بعد الشدة : ١ / ٨٤

٣ – انظر ما تقدم ، ص : ٩١

٤ – إسماعيل بن صبيح : أبوه مولى عتاقة لسالم الأفطس ، أعتقه سالم وجعله قيّماً لمسجد حرّان ؛ ولاسماعيل أخبار كثيرة في الجهشياري (راجع فهرسه) وكان أبو نواس مولعاً بهجائه والتشنيع على بخله : الجهشياري : ٣٠٠ – ٣٠١

٥ – رواية (ر) ، وفي (ق) يستحفظ المنة ، وفي (س) يستحفظ النصيحة

لديه : إيّاك والدالّة ، فإنها تُفسد الحرمة ، ومنها أُتي البرامكة .

ويُروى [١] أن أعرابياً دخل على الرشيد فأنشده أُرجوزةً مدحه فيها ، واسماعيل بنُ صَبيح يكتبُ بين يديه كتاباً ، وكان من أحسن الناس خطّاً وأسرعهم يداً ، فقال الرشيد للأعرابي : صف هذا الكاتب ! فقال :

رقيقُ حواشي الحلم [٢] [حينَ تثُورُ [٣]] يُريكَ الهُوينا والأُمُ[ورُ [٣]] تطيرُ

له قَلَما بُؤسىً ونُعمى كلاهما سحابتُه في الحالتين دَرُورُ

يُناجيكَ عمّا في ضميركَ خطُّهُ [٤] ويفتحُ بابَ النُّجْحِ وهو عسيرُ

فقال الرشيد : قد وجبَ لك يا أعرابي عليه حقٌ كما وجب علينا ، يا غلام ادفع له ديةَ الحُر ! فقال اسماعيل : وعلى عبدك ديةُ العبد .

ثم كتب للأمين في خلافته فسُعي به إليه ، وحُملَ على القبض عليه ، وقال في ذلك الحسنُ بن هانىءٍ يخاطب الأمين مغرياً به [٥] :

أَليسَ [٦] أمينَ اللهِ سيفُكَ نِقمةً إذا ماقَ يوماً في خلافِكَ مائقُ

فكيف بإسماعيلَ يسلمُ مثلُه عليكَ ولم يسْلَم عليكَ منافقُ

أُعيذُكَ بالرحمن من شرِّ كاتبٍ له قَلَمٌ زانٍ وآخرُ سارقُ

١ – الخبر في (أدب الكتاب) للصولي : ٧٣ ، والأبيات من الطويل

٢ – رواية الصولي ، وفي الأصول : العلم

٣ – زيادة ليست في (ق)

٤ – رواية الأصول ، وعند الصولي : لحظه

٥ – ديوان أبي نواس (الغزالي) : ٥١٣ والأبيات من الطويل

٦ – في الديوان : ألستَ

أحيمرَ عادٍ إنَّ للسيفِ وَقْعةً ... برأسكَ فانظر بعدَها من تُوافقُ

تَجهَّزْ جهازَ البرمكيين وارتقبْ ... بقيةَ ليلٍ صُبحُهُ بكَ لاحقُ

وقال أيضاً[١] :

ألا يا أمينَ الله كيف تُحبُّنـا ... قلوبُ بني مروانَ والأمرُ ماتدري

فما بالُ مولاهم لِسرِّكَ موضعاً ... وما بالهُ أمسى يُشاركُ في الأمرِ

تبيَّنْ أمينَ اللهِ في لحظـاتِـهِ ... شَنْآنَ بني العاصي وحِقْدَ بني صخرِ[٢]

وقال أيضاً يتوعّده[٣] :

ألا قل لإسماعيلَ إنّكَ شاربٌ ... بكأسِ بني مروانَ[٤] ضربةَ لازمِ

أيَسْمَنُ أولادُ الطريد ورهطُه ... بإهزال[٥] [آلِ[٦]] اللهِ من آلِ هاشمِ

وإنْ ذُكرَ الجَعْدِيُّ أذريْتَ عَبْرةً ... وقلتَ أقادَ[٧] اللهُ من كلِّ ظالمِ

وتُخبر من لاقيتَ أنَّكَ صائمٌ ... وتغدو بفرجٍ مفطرٍ غيرِ صائمِ

فإنْ يَنْبُرِ إسماعيلُ في فجَراتهِ ... فليسَ أميرُ المؤمنينَ بنـائمِ

فما غيّر له الأمينُ حالاً ، ولا قبلَ فيه مقالا .

[٢٨]

---

١ - ديوان أبي نواس (الغزالي) : ٥١٤ والأبيات من الطويل

٢ - العاصي : جد مروان بن الحكم ، وصخر اسم أبي سفيان بن حرب بن أمية

٣ - ديوان أبي نواس (الغزالي) : ٥١٤ والأبيات من الطويل

٤ - في الديوان : ماهان

٥ - رواية الديوان ، وفي الأصول : بأموال

٦ - زيادة ليست في (ق)

٧ - رواية الأصول ، وفي الديوان : أدال ، والجعدي هو لقب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية .

٢٣ ـ داود القيرواني

كتب لمحمد بن مُقاتل العَكّي[1]، ثم لابراهيم بن الأغلب[2]، في إمارتهما على إفريقية مِن قِبَل هرون الرشيد، باستمراره على ولايته بعد عزله بابن الأغلب[3]، وخاف بسبب ذلك من ابراهيم، عند افتضاح الأمر واتّضاح ما تمالأ عليه من النكر، فاستخفى إلى أن كتب إليه مستعطفا: «أمّا بعدُ ـ أعزّ الله الأمير ـ فلو كان أحدٌ يبلغ بحرصه رضا بَشَر، بصحه مودةٍ وتفقدِ حقٍ، وإيثار نصيحةٍ لرجوتُ أن أكون، بما جبَلني الله عليه، من تفقد مايلزمني من ذلك، أكرمَ الناس عند الأمير منزلةً، وألطفهم لديه حالاً، وأبسطهم أملاً، ولكن الأمور تجري على خلاف ما يروي العباد في أنفسهم، وإن من ساعده الدهر حظي في أموره كلها، واستُحسن القبيح منه، وأُظهرت محاسنه، وسُترت مساوئه، ومن خالفه القضاء، وأعان عليه الدهر، لم ينتفع بحرص، ولم يسلم من بغي، وقد كنتُ ـ إذا افتخر الناس بساداتهم ـ للأمير ـ أطال الله بقاءه ـ ذاكراً، وبيومه مسروراً، ولغده راجياً، إلى أن أتانا الله من ذلك بما كنتُ أبسط له أملي، وأعظم فيه رجائي، وكان

---

١ ـ محمد بن مقاتل بن حكيم العكي (ـ بعد ١٨٤ هـ) ولي إفريقية سنة ١٨٠ فأقام بالقيروان، ولم تحمد سيرته فثار عليه عامله بتونس، وتغلب عليه، لولا نجدة ابراهيم بن الأغلب عامل الزاب له، وانتهى الأمر بعزل العكي وتولية ابراهيم مكانه من قبل الرشيد. الأعلام ٧ / ٣٢٨

٢ ـ ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي (١٤٠ ـ ١٩٦ هـ) ثاني الأغالبة من ولاة إفريقية لبني العباس، وكان محمود السياسة والتدبير. الأعلام: ١ / ٢٥ - ٢٦

٣ ـ جملة مضطربة، ولعل تصحيحها: فاستمر على ولائه له بعد عزله...

مني في إجهاد نفسي بالقيام بما يلزمني من نصيحة الأمير ـــ أيّده الله ـــ حسب الذي يحق علينا ، فبينا أنا مُشرف على إدراك كل خير ، وبلوغ نهاية كل فضل ، إذ رماني الدهر بفرقته ، ولزمني من ذلك ما كنت أشدّ الناس زرية [1] به ، فوجد أهل البغي والفِرية إليّ سبيلاً ، وقــد صرتُ ـــ أعزّ الله الأمير ـــ لِمكان الخوف الذي ملــكني نازع أمكنة ، وغرض ألسنة ، فلو تحقّق الأمير سيء حالي ، وكُنْتُ العَدوّ ، لأَشفقَ عليّ ، ورثى لي ، وذنبي ـــ أيّده الله ـــ عظيمٌ ، وخناقي ضيّق ، وحُجتي ضعيفة ، وعفو الأمير وطَوْلُه أعظم من ذلك كله ، فإن تداركني الأمير بما أؤمل فذاك الذي يشبهه وينسب إليه وأرجوه منه ، وإنْ يُعاقِبْ فبالذنب الذي اجترمتُه ، وهو أحقّ مَن انتشلني من زلتي ، وأقالني [من [2]] عثرتي ، ورجا ما يرجوه مثله من أهل المنة و الطَوْل من مثل ما عظمت المنة عليه ، والأمير أولى بي ، وأنظر مني لنفسي ، وأعلى بما سألته ورغبت إليه || فيه عيناً ويداً ، والله ولي توفيقه [٢٩] فيما عزم عليه من ذلك ، وعليه التوكل لاشريك له ؛ وأنا أرجو ـ أطال الله بقاءه ـ [أن أكون [3]] ممن يتعظ بالتجربة ، ويقيس موارد أموره بمصادرها ، ولا يدعُ تصحيح النظر لنفسه ، فيما يستقبل منها إن شاء الله ، أتمّ الله على الأمير نِعمه ، وهنّاه كرامته ، وألبسه أمنه وعافيته في الدنيا والآخرة » . فأمّنَه واستكتبه وكان يُشاوره في أموره .

---

١ - رواية (ق) و (س) ؛ وفي (ر) رزية

٢ - زيادة من (ر)

٣ - زيادة من (س) و (ر)

حكى صاحب كتاب (المعرب عن المغرب[1]) أن ابراهيم [بن[2]] الأغلب شاور القواد في الخروج إلى ابن رستم الإباضي، فأشار عليه أكثرُهم بالخروج، فشاور داودَ الكاتب، وقال يا أبا سليمان — وهو أول يوم كنّاه فيه — ما تقول؟ فقال له: هؤلاء الجند قد تجنّبتَ عنهم وتحصّنتَ منهم، فما يُؤمنك من غدرهم إذا خرجت معهم! وإنما بينك وبينهم خرق المفازة؛ فتبيّن له الحق، فأقام وبعث ابنه أبا العباس عبد الله والجيوش إلى طرابلس.

وقال محمد بن نافع لداود: إنما أنت صاحبُ قلم، فمالك ولهذا! فقال له: أنا أقتل بقلمي جلفاً مثلك! ثم كتب ابنُه ابراهيم بن داود لمحمد بن [ابراهيم[2]] ابن الأغلب، وبعده لابن أخيه أبي ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب.

٢٤ — الحسن بن سهل[3]

كتب للمأمون، هو وأخوه الفضل[4] قبله، واستوزره بعد سنة ثلاث ومائتين، وقد كان وجّهه من خراسان والياً على بغداد والكوفة والبصرة وما

---

١ — انظر ما تقدم: ص ٨٤ حاشية: ٢

٢ — زيادة من (ر)

٣ — الحسن بن سهل (١٦٦ — ٢٣٦ هـ) وزير المأمون ووالد زوجه (بوران) الأعلام: ٢ / ٢٠٧ وابن خلكان: ١ / ٣٩٠ — ٣٩١

٤ — الفضل بن سهل (١٥٤ — ٢٠٢ هـ) وزير المأمون وقائد جيشه (ولهذا يلقب بذي الرياستين) قتله جماعة بينما كان في الحمام، وقيل إن المأمون دسّهم له وقد ثقل عليه أمره. الأعلام: ٥ / ٣٥٤ والمجلة الاسلامية: ٢ / ٣٩

والاهما ، ثم أصهر إليه ؛ وعدّهما ابنُ عبد ربه[1] في النابهين بالكتابة بعد الخمول كالربيع وابنه الفضل ويحيى بن خالد وابنه جعفر وغيرهم ؛ وكانا من البلاغة والسيادة بمكان .

كان الفضل إذا كتب عنه الكاتب فأحسن ، شكره على رؤوس الملأ وأبلغ ، وإذا أخطأ ، وضع الكتابَ تحتَ مُصلاّه ، وسكتَ إلى أن يخلو به ، فيريه الخطأ ويعرّفه الصواب . وكان الحسن أيضاً على سنّته في إيثار كتّابه وإكرامهم ، وهو أشار على المأمون بأحمدَ بن يوسف بعده ، فاستوزرهما ؛ واما كلماتهما وتوقيعاتهما فمرويّةٌ محفوظةٌ . وكتب الحسن إلى المأمون[2] :

ما أحسنَ العفوَ من القـادرِ ... لا سيّما من غير ذي ناصرِ
إنْ كان لي ذنبٌ ولا ذنبَ لي ... فما لهُ غيرُك من غافرِ
أعوذُ بالودّ الذي بيننـا ... أن تُفسدَ الأوّل بالآخرِ

وحكى ابن عبدوس[3] : أن المأمون شرب يوماً ، والحسنُ معه ، فقال له : يا أبا محمد لعلكم || تظنون أني قتلتُ الفضلَ بن سهل ، لا والله[4] ما قتلتُه ! فقال : بلى واللهِ لقد قتلتَه ؛ فقال المأمون : والله ما قتلتُه ! قال الحسن : بلى والله لقد قتلتَه ، ثلاثاً ! فقام المأمون من مجلسه فقال: أُفٍ لكم ! وانصرف الحسن إلى منزله ،

[٣٠]

١ – انظر العقد ٤ / ٢٠٦
٢ – الأبيات من السريع
٣ – لا نجد هذا الخبر فيما طُبع من كتاب الجهشياري
٤ – في (ق) : لاوالله (مكررة مرتين)

فاتصل الخبر بالمعلّى بن أيوبَ وغسّان بن عبّاد[1]، وهما ابنا خالتي الحسن والفضل، فسارا إلى الحسن فعذلاه ووبّخاه وطالباه بالركوب والاعتذار إلى المأمون، وأتياه فقال له غسانُ: نحن عبيدُك يا أمير المؤمنين وصنائعك، بك عُرفنا، واصطناعُك شرّفنا، كنا أذلاءَ فرفعتَنا، وكنّا فقراءَ فأغنيتَنا، فاعفُ خطيئة مسيئنا لمحسننا؛ قال: ويحك ما أصنعُ، وحلفتُ له ثلاثاً؟ فقال المُعَلى: يا أمير المؤمنين، أنَّستَه[2] فأنس، وسقيتَه فانتشى، فاغفر له هفوتَه؛ فقال المأمون: ياغلامُ سر إلى أبي محمد فقل له: إمّا تجيئُنا وإمّا نجيئُك!

٢٥ ــ أحمد بن أبي خالد[3]

كتب للحسن بن سهل، ثم وزر للمأمون، وكان أكولاً نَهماً ملتهبَ المعدة، لا يصبر على تأخير الغداء، فرُفع إلى المأمون أنّ ابن أبي خالد يقتل المظلوم ويُعين الظالم بأكلةٍ، فأجرى عليه ألف درهم كلَّ يوم لمائدته، ثم كان إذا وجّهه في حاجة، أمره بأن يتغدّى قبلُ ويأكلَ.

قال الصولي: ولّى المأمونُ دينارَ بن عبد الله الجَبَلَ، ثم صرفه ووجد عليه، فأرسل إليه أحمدَ بن أبي خالد، يعد دُيونه[4] ويطلب منه المال، وقال لياسر

---

١ ــ غسان بن عباد بن أبي الفرج (ـ بعد ٢١٦ هـ) والٍ من ولاة المأمون، وفي الأعلام أنه ابن عم الفضل ابن سهل. الأعلام: ٥/٣١١

٢ ــ أنّسته وآنسته: ضد أوحشته

٣ ــ أحمد بن أبي خالد الأحول: توفي سنة ٢١٠ هـ. انظر المجلة الاسلامية: ١/١٩١ ــ ١٩٢

٤ ــ رواية (ر)، وفي (ق) و (س): ذنوبه

الخادم : امضِ معه وانظر فإن تغدّى أحمدُ عنده كان معه علينا ، وإن لم يتغدّ كان معنا عليه ! فلما أحسّ دينار بمجيئه ، أعدّ له طعاماً ثم جاء ابنُ أبي خالد ، فأدى رسالة المأمون حتى كملت ، ثم حضر عشرون فرّوجاً فأكلها ، ثم جيء بسمكٍ فما ترك منه شيئاً ، ولما توسط الأكل ، قال له دينار : مالكم عندي إلا سبعة آلاف ألف ، ما أعرف غيرَها ! فلما أكمل الأكل ، قال له أحمدُ : احملْ إلى أمير المؤمنين ماضمنتَ ! فقال : ماعندي إلا ستة آلاف ألف ! فقال له ياسر : ما قلتَ إلا سبعة آلاف ألف ، وقد سمع ذلك أبو العباس ؛ فقال ابنُ أبي خالد : ما أحفظ ما كان ، ولكن قل الآن أسمع ! قال دينارُ : ما قلتُ إلا ستّةَ آلاف ألف . [وسبق ياسرٌ فأخبر المأمون ، وجاء أحمدُ فقال : إنه قد أقرّ بخمسةِ آلاف ألف[1].] فضحك المأمون وقال : ما قام على أحدٍ غداء بأغلى منا ! قام عليَّ غداء أحمدَ بن أبي خالد بألفي ألف درهم !

وكان المأمون قد استبطأ عمرو بن مَسْعَدَةَ[2] ، وفي مجلسه علي وأحمد والحسن بنو هشام ، وأحمدُ بن أبي خالد ، فقال: يحسب عمرو أني لا أعرف أخباره ، وما يجري إليه ، وما يعامل به الناس ! بلى والله ، ثم لعله لا يسقط عني منه شيء ! فصار أحمد ابن أبي خالد إلى عمرو بن مَسْعَدة ، فخبره بما جرى وأُنْسِيَ أن يستكتمه ، فراح عمرو || إلى المأمون ، وطرح سيفه وقال : أنا عائذٌ بالله من سخط أمير المؤمنين ، [٣١]

١ - زيادة من (س) و (ر)

٢ - ابن الأبار يخصص له الترجمة ذات الرقم : ٢٧

أنا أقَلُّ من أن يشكوني إلى أحمد، وأن يُسرّ عليّ[1] ضغناً ، فقال له : ويحك وما ذاك ؟ فخبره بما بلغه ، ولم يُسم له من خبَّره ، فقال له : لم يكن الأمر كما بلغك ، إنما ذكرت جملةً من تفصيلٍ كنت على إخبارك به وموافقتك عايه ، فجرى شيء من جنسه ، فليحسن ظنك ! ولم يزل يؤنسه ويسكّنه حتى طابت نفسه ، وتحلل ما كان دخل عليه ، ثم ضَمّه وقبّل عمرو يده وانصرف . قال أحمد بن أبي خالد : فغدوتُ على المأمون فقال :ياأحمد مالمجلسي حرمة ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين [وهل الحرمات[2]] إلا لما فضل من مجلسك ! فقال : ما أراكم ترضون بهذه المعاملة فيما بينكم ! فقلتُ له : وأيّ معاملة ؟ فقال : ذهب بعض بني هشام ، فحكى لعمرو ماجرى أمسِ في المجلس ، فجاءني متنصّلاً مُظهراً ماوجب أن يُظهره ، فاعتذرتُ إليه وتبيّن الخجل فيّ ، كأني اعتذرتُ من شيء قلتُه ، ولقد أعطيته ما يقنعه مني أقله ، لما داخلني من الحياء منه .. فقلتُ: أُعيذك باللهمن سوء الظن يا أمير المؤمنين، أنا أخبرته ببعض ماجرى ، [لا بعضُ[2]] بني هشام ! قال : وما حملك على ذلك؟ قلت: الشكرُ لك والنصحُ والمحبةَ لأن تتم نعمتُك على أوليائك وخدمك ،ولعلمي بأن أمير المؤمنين يُحب أن يصلح له الأعداء ، فضلاً عن الأولياء والأوداء، لاسيما مثل عمرو في دنوّه من الخدمة وموقعه من العمل ، ومكانه من رأي أمير المؤمنين، فخبّرتُه بما كان منه ليصلحه ، ويقيمَ من نفسه أوَدَها لسيّده ومولاه ، ويتلافى ما

١ – رواية (س) ، وفي (ق) و (د) : إليّ

٢ – ساقط من (ق)

فرط منه ، ولا يفسدَ قلبه ويبطلَ الغَناء الذي فيه ، وإنما كنتُ أكون غبياً لو أذعتُ سراً على السلطان فيه نَدَمٌ أو نقض تدبير ، وأما هذا فما كان عندي إلا صواباً! فقال لي : أحسنتَ والله يا أحمد !.. وأمر لي بمال كثير .

ولم يزل المأمون بسعة ذَرْعه وكرم طبعه يحتمله ، على نهمه وحدّته وسوء خلقه وعبوس وجهه المضروب به المثل في زمانه . حكى الجاحظ [1] : أن بعض الكتّاب سأل عبد الله بن طاهر [حاجة [2]] ، فوعده قضاءها ، وطالت أيام مطاله الانجاز ، فكتب إليه : أمّا بعدُ ، فقد كان وعدك تلقّاني [مكتسياً [2]] بشاشةَ عمرو بنِ مَسْعَدَةَ ، وأرى إنجازه تأخر تأخّر من خُلع عليه عُبوسُ أحمدَ بن أبي خالد ! وكتب في آخره [3] :

ولقد علمتُ وإنْ نصبتَ ليَ المنىٰ	أنَّ الخَصاصةَ لا تُداوى بالمنىٰ
فلئن وَفَيْتَ لأَنهضَنَّ بشكركم	ولئن أَبَيْتَ لأَحملَنَّ عَلَى القضا
النذلُ يُلحف في السؤالِ ولا ترىٰ	للحُرِّ إلحافاً ولو أَكَلَ الثرىٰ

فأنجزها عبد الله بن طاهر .

وقال الصولي : ركب أحمد بن أبي خالد يوماً إلى المأمون ، فكثر عليه الناس فَنَهَرَهم ، فقال له رجل : عمري ، أُشكرِ الله فقد أعطاكَ مالم يُعْطِ نبيّه ! قال :

---

١ – يبدو أن النقل هنا عن رسالة الجاحظ في الوعد والانجاز أيضاً ، وليس هذا النص فيما طبع من هذه الرسالة . انظر ما تقدم ص : ٦٦ حاشية : ٣

٢ – ساقط من (ق) .

٣ – الأبيات من الكامل

وما هو؟ قال: إن الله يقول ﴿ولو كُنتَ فظاً غَليظَ القلبِ لانْفَضُّوا من حَولك[١]﴾ وهأنت فظٌ غليظُ القلب، ونحن تتكاثرُ عليك! فقال له: [٣٢] حاجتك؟ قال تُرتبني في دار أمير المؤمنين المأمون. قال: قد فعلتُ! قال: وتقضي ديني وهو ثلاثون ألفَ درهم! قال: قد فعلتُ.

ثم إنه اعتلّ من فساد مزاج، فتخلّف عن المأمون إلى أن مات، فحضر المأمون جنازته، وصلّى عليه، ووقف على قبره، فلما دُلّي فيه قال: رحمك الله فلأنت كما قال الشاعرُ[٢]:

أخو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرِّجالُ وشَمَّروا ... وذُو باطلٍ إنْ شئتَ ألهاكَ باطلُهْ

٢٦ ـ أحمد بن يوسف[٣]

وزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد، وكانا جميعاً مع عمرو بن مَسْعَدة من كُتّاب الحسن بن سهل، وهو أشار على المأمون بهما، فقدّمهما لوزارته، ولم يكن في زمن أحمد بن يوسف أكتب منه، وشعرهُ يرتفع عن أشعار الكتّاب، وهو أحد من رأس ببلاغته وبيانه[٤].

١ ـ الآية: ١٥٩ من سورة آل عمران

٢ ـ البيت من الطويل

٣ ـ أحمد بن يوسف الكاتب (ـ ٢١٣ هـ) كاتب ووزير من أهل الكوفة، ولي ديوان الرسائل للمأمون ووزر له. انظر الأعلام: ١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ومعجم الأدباء: ٥/ ١٦١ ـ ١٨٣ وأمراء البيان: ١/ ٢١٨ ـ ٢٤٣

٤ ـ انظر العقد: ٤/ ٢٥٦

وكان أول ظهوره وارتفاعه أنّ المخلوع محمد بن الرشيد لما قُتل، أمر طاهر بنُ الحسين الكتّاب أن يكتبوا إلى المأمون، فأطالوا، فقال طاهر: أُريد أخصرَ من هذا! فوُصف له أحمدُ بنُ يوسف وموضعُه من البلاغة، فأحضره لذلك، فكتب[1]: «أمّا بعدُ، فإنّ المخلوعَ وإن كان قسيمَ أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرّق بينهما حُكْمُ الكتاب [والسنّة[2]] في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمة الدين وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين، لقول الله عز وجل فيما اقتص علينا من نبأ نوح: ﴿ يانوحُ إنّه ليس من أهلِك إنه عملٌ غيرُ صالح[3] ﴾، ولا صلةَ[4] لأحدٍ في معصية الله، ولا قطيعةَ ما كانت القطيعة في ذات الله، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد قتَل اللهُ المخلوعَ وردّاه رداءَ نُكثِه، وأَحْصَدَ[5] لأمير المؤمنين أمره، وأنجز له ما كان ينتظره من سابق وعده، والحمد لله رب العالمين، الراجع إلى أمير المؤمنين معلومَ حتّه، الكائد له من[6] ختر[7] عهدَه، ونقض عقده، حتى ردّ الله به الألفة بعد فرقتها، وجمع به الأمة بعد شتاتها، وأحيا به أعلام الدين بعد دروسها، وقد بعثتُ إليك بالدنيا وهي رأس المخلوع، وبالآخرة

---

١ – وردت هذه الرسالة بأشكال مختلفة في المصادر التالية: الجهشياري: ٣٠٤ وزهر الآداب: ٢ / ٣٦-٣٧ ومعجم الأدباء: ٥ / ١٦٧ – ١٦٨ وأمراء البيان: ١ / ٢٢٠ – ٢٢١

٢ – زيادة من الجهشياري

٣ – الآية: ٤٦ من سورة هود

٤ – رواية الأصول، وفي المصادر الأخرى: طاعة

٥ – أحصد: أحكم

٦ – رواية زهر الآداب وأمراء البيان: فيمن

٧ – ختر: غدر وخان أقبح الغدر والخيانة

وهي البُردة والقضيب، والحمدلله الآخذِ لأمير المؤمنين حقه، الراجع إليه تُراث آبائه الراشدين » . فرضي طاهر ووصله، وشهر أمره، ولم يكن قبلُ مذكوراً.

وكان المأمون يقول[1] بعد أن بلاه واختبره، اذا وصفه له أحمد بن أبي خالد : ياعجبا لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتم نفسه !

قال أبو العيناء[2] : كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولّى صدقات البصرة[3]، فجار فيها وظلم، وكثر الشاكي به والداعي عليه، ووافى باب أمير المؤمنين المأمون زُهاء خمسين من جلة البصريين، فعزله المأمون وجلس لهم مجلساً خاصاً، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم، فكان مما حفظ من كلامه أن قال || يا أمير المؤمنين لو [٣٣] أن أحداً ممن ولي الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى :﴿ ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصَّدَقاتِ ، فان أُعطوا منها رضوا ، وان لم يُعطوا منها إذاهم يسخطون[4] ﴾ . فأعجب المأمونَ جوابُه، واستجزل مقامه[5]، وخلّى سبيله .

وحكى الصولي[6] خلاف هذا قال : شَغَب أهل الصدقات على المأمون

١ - انظر زهر الآداب : ٢ / ٣٧

٢ - هو محمد بن القاسم بن خلاّد، صاحب النوادر والشعر والأدب . توفي سنة ٢٨٣ هـ (ابن خلكان : ٣/ ٤٦٦ - ٤٧٠)

٣ - الخبر في العقد : ٢ / ٢٠ وأمراء البيان : ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦

٤ - الآية : ٥٩ من سورة التوبة

٥ - في العقد : واستجزل مقاله

٦ - انظر الأوراق (قسم أخبار الشعراء) : ٢٠٨

وناظروه ،فقال أحمد بن يوسف وهو إذ ذاك وزيره : إنهم ظلموا رسول الله ﷺ ، فكيف من بعده ! قال الله عز وجل : وتلا الآية ... فاستحسن ذلك المأمون .

٢٧ ـــ عمرو بن مسعدة [١]

كان أعلى الكتّاب منزلة عند المأمون ، ولم [يكن [٢]] وزيراً . وقد تقدم إعتابُ المأمون إياه ، واعتذارُه إليه وماء الحياء يدور في وجهه ، واغتفاره لما أثار من وجده عليه ، في اسم ابن أبي خالد [٣] ، ومن توقيعات المأمون في قصة متَظَلِّم منه : « يا عمرو اعمر نعمتَك بالعدل فإن الجور يهدمها [٤] » ، ثم بلغ من حُظوته أنه كان في مجلس المأمون يقرأ عليه الرقاع ، فجاءته عطسة فردّها ، ولوى عنقه ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو لا تفعل ، فإن ردّ العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعاً في العنق . فشكر له ذلك بعض ولد المهدي وقال : ما أحسنها من مولى لعبده ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون : وما في هذا ؟ إن هشام بن عبد الملك اضطربت عمامته ، فأهوى إليها [٥] الأبرشُ الكلبي [٦] ليُصلحها ، فقال هشام:

---

١ ـــ عمرو بن مسعدة (ـ ٢١٧ هـ) أحد الكتّاب البلغاء ، تجعل منه بعض المصادر وزيراً للمأمون ، وفي كتب الأدب الكثير من رسائله وتوقيعاته . الأعلام : ٥ / ٢٦٠ وابن خلكان : ٣ / ١٤٥ ـ ١٤٨ وتاريخ بغداد : ١٢ / ٢٠٣ وأمراء البيان : ١ / ١٩١ ـ ٢١٧ .

٢ ـــ ساقطة من (ق)

٣ ـــ انظر ما تقدم ص : ١١٠ ـ ١١٢

٤ ـــ انظر العقد : ٤ / ٣٠٤

٥ ـــ رواية (ق) ، وفي (س) و (ر) : إليه

٦ ـــ انظر ترجمته فيما تقدم : ص ٦٠

إنّا لا نتّخذ الإخوانَ خَوَلاً ! فالذي فعل هشامٌ أحسنُ مما فعلتُ ! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إن هشاماً يتكلف ما طُبعتَ عليه ، ويظلم فيما تعدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله ﷺ ، ولا قيامك بحق الله ، وإنك والملوك كما قال النابغة الذبياني [1] :

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يتذبذبُ

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

٢٨ — علي بن الهيثم

كان المأمون يوماً جالساً وعنده أحمدُ بن الجنيد الاسكافي ، وجماعة من خاصته ، إذ دخل عليٌّ هذا ، ويُعرف في الكتّاب بجُوَنْقا ، فلما قرب من المأمون قال : يا عدوَّ الله لأفرقن بين [2] لحمك وعظمك ، ولأفعلنَّ بك [3] . . ! ثم سكن قليلا ، فقال أحمد بن الجنيد : نعم والله يا أمير || المؤمنين إنه وإنه ... ولم يدع شيئاً من المكروه إلا ذكره ، فقال المأمون وقد هدأ غضبه : يا أحمدُ متى اجترأتَ عليَّ هذه الجراة ؟ رأيتني غضبتُ [هذه الغضبة [4]] فأردتَ أن تزيد في [٣٤]

١ – ديوان النابغة الذبياني : ٨٣ والبيتان من الطويل

٢ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : من

٣ – رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) : ولأفعلن (مكررة مرتين)

٤ – زيادة من (س)

غضبي ، أما سأؤدبك وأؤدب غيرك ! يا عليّ قد صفحتُ عنك ، ووهبتُ لك كل ما كنت أطالبك به ! ثم رفع رأسه إلى الحاجب فقال : لا يَبْرَح أحمد بن الجنيد من الدار حتى يحمل إلى عليّ بن الهيثم مائة ألف درهم من ماله ليكون ذلك عقل[1] ؛ فلم يبرح حتى حملها .

وقال الصولي: كان علي بن الهيثم يكتب للفضل بن الربيع ؛ وخبره مع المأمون عن ابن عبدوس[2] .

٢٩ ــ صالح بن علي

كان من وجوه الكُتّاب ، وكان يُعرف بالأضخم ، فطالت به العطلة في أيام المأمون ، والوزير إذ ذاك أحمد بن أبي خالد ، فحدّث[3] صالح أنه أضاق جداً واشتد اختلالُه ، قال : فبكرت يوماً إلى أحمد بن أبي خالد مغلِّساً ، لأكلّمه في أمري ، فخرج من بابه ، وبين يديه الشمعُ ، قاصداً إلى دار المأمون ، فلما نظر إليّ أنكر بُكوري ، وعبسَ في وجهي ، وقال : في الدنيا أحدٌ يبكر هذا البكور ليشغلنا عن أمورنا ! قال : فقلتُ له : أصلحك الله ، ليس العجبُ مما تلقّيتني به ، إنما العجب مني إذ سهرتُ ليلي ، وأسهرتُ جميعَ من في منزلي توقعاً

---

١ ــ العقل : الدية

٢ ــ لانجد الخبر فيا طُبع من كتاب الجهشياري .

٣ ــ الخبر في المستجاد من فعلات الأجواد : ١٩٨ ــ ٢٠٠

للصبح، حتى أسير إليك، أستعينك في أموري على صلاحها، وعليّ وعليّ إن وقفتُ لك بباب أو سألتك حاجةً، حتى تصيرَ إليّ معتذراً! وانصرفتُ مغموماً لِما لقيني به، مفكراً فيه، متندّماً على ما فرط مني من اليمين، غيرَ شاكٍ في العطب؛ فأنا كذلك إذ دخل عليّ بعضُ الغلمان فقال: الوزير أحمد بن أبي خالد مقبلٌ إليك في الشارع! ثم دخل آخر فقال: قد دخل دربنا؛ ثم دخل آخر وقال: قد قرب من الباب؛ ثم تبادر أحد الغلمان بين يديه فقال: قد دخل، فخرجتُ مستقبلاً له، فلما استقر به المجلس قال لي: كان أمير المؤمنين قد أمرني بالبكور إليه في بعض مهماته، فدخلتُ إليه وقد غلبني البَهْر[1] مما فرط مني إليك حتى أنكر عليّ، فقصصتُ عليه القصة فقال لي: قد أسأت بالرجل، امضِ إليه معتذراً مما قلتَ! فقلتُ: فأمضي إليه فارغَ اليدين؟ قال: فتريد ماذا؟ فقلتُ: تقضي دينه، قال: وكم [هو؟ فـ[2]] قلتُ: ثلاث مائة ألف درهم؛ فأمرني بالتوقيع لك بها، فوقّعت بها، ثم قلت: فإذا قضى دينه يرجع إلى ماذا؟ قال: فوقّع له ثلاث مائة ألف يُصلح بها أمره؛ فقلت: فولاية يشرف بها؟ قال: وله مصر أو غيرها مما يُشبهها، فقلت: بمعونةٍ يستعين بها على سفره! فأمر بالتوقيع لك بمائة ألف، وهذه || التوقيعاتُ لك بسبع مائة ألف درهم، والتوقيع بمصر؛ قال: فدفعها إلي [٣٥] وانصرف.

١ – البهر: الكرب والقهر، وفي المستجاد: السهر والغم

٢ – ساقطة من (ق)

٣٠ ـ عليّ بن عيسى القمّي

ضمن للمأمون أعمال الضياع والخراج ببلده ، وبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألفَ دينار ، أنكر المأمون تأخيرها ، وألحّ في المطالبة بها ، فأحضره يوماً ، وتقدّم إلى علي بن صالح حاجبه بإنظاره ثلاثة أيام ، فإن أحضر المال وإلاّ ضربه حتى يتلف ؛ وكانت بينه وبين غسّان بن عبّاد عداوة[1] ، فانصرف من دار المأمون آيساً من نفسه ، لا يقدر على شيء من المال ، فقال له كاتبه : لو عرّجتَ على غسان ابن عباد فسلمتَ عليه ، وأخبرتُه أنا بين يديك بخبرك ، لَرجوت أن يُعينك على بعض أمرك ! فحملته حالُه على قبول ذلك ، ومضى إلى غسان ، فاستؤذن له عليه ، فأذن له ورحّب به ، وتلقّاه ووفّاه حق القصد ، وقصّ عليه الكاتب القصة ، فقال : أرجو أن يكفيه الله ! ونهض علي بن عيسى كاسفَ البال ، آيساً من نفسه ، نادماً على قصده ، فلما خرج من دار غسان قال لكاتبه : ما زدتني بقصد غسان شيئاً غيرَ تعجيل المهانة والذل بقصد من كان يعاديني ! وعاد إلى منزله منصرفاً ، بعد أن تشاغل في طريقه مع بعض إخوانه ، فوافاه وببابه بغالٌ عليها أربعون ألفَ دينار مع رسولِ غسان ، فبلّغه سلامه ، وعرّفه غمّه بما رفع[2] إليه ، وتقدّم إليه بحضور دار المأمون من غد ذلك اليوم مبكراً ، فلما

---

١ – الخبر في المستجاد من فعلات الأجواد : ١٥٦ – ١٥٩ والفرج بعد الشدة : ٢ / ٦٣ – ٦٤.

٢ – رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) : دفع

وصل الناس إلى المأمون ووصل فيهم علي بن عيسى ، مثَل غسان بين يدي الصفّين وقال : يا أمير المؤمنين ، إن لعلي بن عيسى خدمةً وحرمةً وسالف أمل ، ولأمير المؤمنين عنده إحسان ، وهو أولى بربّه[١] ، وقد لحقه من الخسران في ضمانه ماقد تعارفه الناس ، وعليه من حدّة[٢] المطالبة وشدّتها ، والوعيد بضرب السياط ماقد حيّره ، وقطعه عن الاحتيال فيما عليه ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُسعفني ببعض ما عليه ويضعَه عنه فعل ! ولم يزل به الى أن حطّه إلى النصف مما عليه ، واقتصر به على عشرين ألفاً ، فقال غسان : على أن يُجدد له الضمان ، ويشرّف بخلعة ، فأجابه المأمون ، فقال : يأذن لي أمير المؤمنين أن أحمل الدواة ليوقع منها أمير المؤمنين بذلك ويبقى شرفُ حملها عليّ وعلى عقبي ؟ قال : افعل ، ففعل ، وخرج علي بن عيسى والتوقيعُ معه بالاقتصار على النصف مما عليه ، وعقدَ بتجديد الضمان ، وعليه الخِلَعُ ، فلما وصل إلى منزله ردّ العشرين ألفاً الباقية إلى غسان وشكره[٣] ، فردها إليه وقال : لم أستحطّها[٤] لنفسي ، وإنما أحببت توفيرها عليك ، وليس والله يعود إليّ من هذا المال حبّةٌ واحدةٌ أبداً ، وترك || الجميع له .

[٣٦]

١ — أي بإصلاحه : ربّ الأمر أصلحه

٢ — رواية (س) ، وفي (ق) و (د) : خدمة

٣ — رواية (س) ، وفي (ق) و (د) : شكرها

٤ — استحطه الشيء : سأله أن يحطّه عنه

٣١ – كاتب طاهر بن الحسين

لما قَتل طاهرُ بن الحسين [١] عليَّ بن عيسى بن ماهان [٢] في خروجه إليه من بغداد [٣] ، دعا بكاتبه ليكتب إلى الفضل [بن سهل [٤]] بخبره ، فلم يكن في الكاتب فضلٌ من إفراط الجزع وشدة الزَّمَع [٥] ، مما شاهده ، فكتب طاهر بيده إلى الفضل ، وكان من عادته أن يخاطبه بالإمارة ، فأسقط ذلك وكتب إليه : « أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل من يشنؤك فداءك ، كتبتُ إليك ورأسُ علي ابن عيسى بين يديّ وخاتمه في اصبعي ، وعسكره تحت يدي ، والحمد لله رب العالمين » .

ثم لمّا ظفر بالأمين وأنفذ رأسه إلى المأمون ، قال الفضل بن سهل [٦] : مافعل بنا طاهر ! سلّ علينا سيوفَ الناس وألسنتهم ، أمرناه أن يبعث به إلينا أسيراً ، فبعث به عقيراً .

وكان لطاهر كاتب يُعرف بعيسى بن عبد الرحمن [٧] ، فأنفذه إلى الفضل بن

---

١ – طاهر بن الحسين (١٥٩ – ٢٠٧ هـ) قائد المأمون وصاحب شرطته في بغداد ووالي خراسان له . الأعلام : ٣ / ٣١٨ – ٣١٩ وابن خلكان : ٢ / ٢٠١ – ٢٠٦

٢ – علي بن عيسى (– ١٩٥ هـ) من كبار القواد في عصر الرشيد والأمين ، قاد جيش الأمين ضد المأمون فقتل وانهزم جيشه . الأعلام : ٥ / ١٣٣

٣ – انظر الخبر في الجهشياري : ٢٩٣

٤ – ساقطة من (ق)

٥ – الزمع : الدهش والجزع وشبه الرعدة يعتري الإنسان

٦ – انظر الجهشياري : ٣٠٤

٧ – انظر الخبر في الجهشياري : ٣٠٩ – ٣١٠

سهل يُظهر الإعتذار إليه ، ويتشفّى بمخاطبته إياه، وطاهرٌ مُقيمٌ بالجزيرة والفضل بخراسان ، وقد كان الشغب الذي حدث[1] بينهما ظاهراً ، فورد عسكرَ المأمون بمرو ، وكثيرٌ ممن بها من الوجوه عاتبٌ على الفضل ، فحضره وبحضرته عبدُ الله ابن مالكٍ الخزاعيُّ ، وهو أشدهم عتباً عليه ، فكلّمه بكلام كثير أغلظ له فيه ، وعرّض له بكل ما يكرهه ، ثم قال له بعقبه : ولولا أني رسول مأمونٌ ما قلتُ ما قلتُه ! فقال له الفضل : أما خشيتَ في تحمّل مثل هذه الرسالة القتلَ ؟ فقال له عيسى : ماشككتُ في القتل ، إلا اني ميّلت بين أن آبى على صاحبها تحمّلها ،وبين أن أقبلها ، فرأيت أني إنْ لم أتحملها عجّل لي القتل ، وحصل لي مذمة بمخالفته ، وإن قبلتها كنتُ قد شكرت نعمته وأطعتُ أمره ، وعشت بينه وبين الأمير — أعزه الله — المسافةَ التي قد عشتُها ، ثم لعلّي أن أكون قد وردتُ من فضل الأمير وعفوه على ماأرجو ألاّ أُبعدعنه ! فقال له الفضل : لو أطعتُ فيك النصحاء لاسترحتُ منك ، ولم تك تُكلّمني في مجلس أمير المؤمنين ودار الخلافة بما كلمتَني [به[2]] ، فقال له عيسى : وما رأىُ النصحاء — أعزّ الله الأمير — ؟ فقال : أنْ كنتُ أضربُ عنقك قبل أن تصل إليّ ، وأردّ رأسك في مخلاةٍ إلى صاحبك ، فأكون قد قطعت يده ولسانه ! فقال له عيسى : أنا يدُه ولسانه ؟ واللهِ لو أنّ صاحبي أخرج يده من مضربه لوجد حوله سبعين بل سبعمائة بل سبعة آلاف كُلّهم

---

١ — رواية (س) و (ر) والجهشياري ، وفي (ق) يحدث

٢ — زيادة من الجهشياري

أغنى وأجزى [١] وأكفى مني ، ومن أنا فيمن عضده الله تعالى به ، وأعطاه من كُفاته [٢]؟ فبلغ هذا الكلام من الفضل كلّ مبلغ ، وقام مغضباً .. فوجّه عبد الله بن مالك الخزاعي إلى عيسى أن مسيري إليك لو كان يستتر لسرت إليك ، ولكني أُحبّ أن تسير إليّ ، فسار إليه ، فلما رآه قال له : إني || أردت إتيانك لشيءٍ أُحب فعله ، [٣٧] قال : فليقل الأمير ما أحب ! فنهض إليه وقبّل بين عينيه ، وقال : شفيتَني من العلج في كل ما كلمتَه به ، ولكن الذي غاظه وبلغ منه غاية المساءة آخرُ كلامك ! .. ثم انصرف مكرماً .

وكان الفضلُ مهيباً حليماً ، وقال لبعض من استحجبه : إنك قد صرتَ حاجبي وتسمعُ مني السر والعلانية ، وربما ذكرت الرجلَ واسأت ذكره ، فلا يؤثّرن ذلك فيك ، ولا تتغيرنّ له ، فلعل ذلك غاية عُقوبتنا إيّاه .

٣٢ ـــ ميمون بن إبراهيم

حكى الزُّبيدي في كتاب (طبقات النحويين [٣]) من تأليفه عن أبي العباس ثعلب [٤]، عن ابن قادم [٥] أستاذه قال : وجّه إليّ إسحق — يعني ابن ابراهيم

١ - في الجهشياري : أجزأ

٢ - رواية الجهشياري ، وفي الأصول : كفايته

٣ - انظر طبقات النحويين واللغويين : ١٥٢

٤ - ينقل الصولي الخبر عن ثعلب بشكل آخر . انظر أدب الكتاب : ١٢٩

٥ - محمد بن قادم - ويقال له أحمد - أستاذ ثعلب ، كان يعلم المعتز قبل الخلافة . انظر طبقات النحويين واللغويين : ١٥١ - ١٥٣ ومعجم الأدباء : ١٨/٩ ٢

المصعي[١] – يوماً ، فأحضرني ولم أدر ما السبب ، فلما قَرُبْتُ من مجلسه ، تلقاني ميمونُ بن ابراهيم كاتبه على الرسائل ، وهو [على[٢]] غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوت خفيٍ : إنه اسحق !! ومرَّ غيرَ متلبِّثٍ ولا متوقف ، حتى رجع إلى مجلس إسحق ، فراعني ذلك ، فلما مثلت بين يديه قال لي : كيف يُقال : « وهذا المال مالٌ » أو « هذا المال مالاً » ؟ قال : فعلمتُ ما أراد ميمون ، فقلت له : الوجه « وهذا المال مالٌ » ، ويجوزُ : « وهذا المال مالاً » ؛ فأقبل إسحق على ميمون بغلظة وفظاظة ثم قال : الزم الوجه في كتبك ودعنا من يجوز ويجوز ! ورمى إليَّ بكتابٍ كان في يده ، فسألتُ عن الخبر ، فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون وهو ببلاد الروم عن إسحق ، وذكر مالاً حمله إليه ، فكتب : « وهذا المالُ مالاً » فخط المأمون على الموضع من الكتاب ، ووقّع بخطه في حاشيته : تُكاتبني بلحنٍ ! فقامت القيامة على إسحق ، فكان ميمون بعد ذلك يقول : لا أدري كيف أشكر ابن قادم ، بقّى عليَّ رُوحي ونعمتي . قال أبو العباس ثعلب : فكان هذا مقدار العلم ، وعلى حَسَب ذلك كانت الرغبه فيه ، والحذر من الزلل ، قال : « وهذا المال مالاً » ليس بشيء ، ولكن أحسن ابنُ قادم في التأتّي لخلاص ميمون .

ويشبه هذا الخبر ماحكى الجاحظ[٣] ، أن الحُصين بن أبي الحُرّ كتب إلى عمر

---

١ – إسحق المصعي (– ٢٣٥ هـ) صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وكان ذا رأي وشجاعة . الأعلام : ١ / ٢٨٣ – ٢٨٤ والديارات للشابشتي : ٢٢ وفيه طائفة كبيرة من أخباره

٢ – ساقطة من (ق)

٣ – انظر البيان والتبيين : ٢/٢٢٠

— رضي الله عنه — كتاباً ، فلحن في حرف منه ، فكتب إليه عمر أنْ قَنِّعْ كاتبَك سوطاً . وفي كتاب ابن عبدوس[1] : أنّ عمر وجد في كتابٍ لأبي موسى الأشعري لحناً ، فكتب إليه بذلك . وخالف ابنَ عبدوس أبو جعفر بن النحاس فروى أن كاتباً لأبي موسى كتب إلى عمر : « من أبو موسى » ، فكتب إليه عمر أن اضربه خمسين سوطاً واعزله عن عملك ؛ إلاّ أن تكون القضيتان لكاتب واحد .

وقال المأمون لبعض ولده ، وسمع منه لحناً : ما على أحدكم أن يتعلّم العربية فيُقيمَ بها || أوده ويزينَ مشهده ، ويفلّ حُجج خصمه بمسكتات حكمه ، ويملك [٣٨] مجلس سلطانه بظاهر بيانه . أيَسُرّ أحدَكم أنْ يكون لسانُه كلسانِ أَمَتِه أو عبده فلا يزالُ الدهرَ أسيرَ كلمته ! . ويروى أنه كان يتفقد ما يكتب به الكتّاب ، فيسقط من لَحَن ، ويحط مِقدار من أتى بما غيره أجودُ منه في العربية ؛ وكان يقول : إيّاكم والشونيز[2] في كتبكم ؛ يعني النقط والإعجام . وقال محمد بن عبد الله ابن طاهر ، وقد رُفعت إليه قصةٌ أكثر صاحبُها إعجامها : ما أحسن ما كتب إلا أنه أكثر شونيزها ! وكان سعيد بن حميد يقول : لأن يُشكل الحرفُ على القارىء أحبُّ إليّ من أن يُعاب الكاتب بالشكل ، فإذا كرهوا الإعجام والشكل فما ظنُّك باللحن ! إلا أن تركَ ذلك قد يُورث إشكالاً .

١ — ليس هذا الخبر فيما طبع من كتاب الجهشياري ، وللصولي رواية مشابهة له . انظر أدب الكتاب : ١٢٩

٢ — الشونيز في الأصل : الحبة السوداء ، انظر أخباراً متفرقة عن كره العرب للنقط والإعجام في الكتابة : العقد : ٤/٢٠٨ وما بعدها

حكى الماوردي[1] عن قدامة بن جعفر أن بعض كتاب الدواوين حاسب عاملاً لعبيد[2] الله بن سليمان بن وهب ، فشكا منه إلى عُبيد الله ، وكتبَ رقعةً يحتج فيها بصحةِ دعواه ووضوح شكواه ، فوقّع فيها عبيد الله : « هذا هـذا » فأخذها العامل وظن أن عبيد الله أراد : « هذا هـذا » إثباتاً لصحة دعواه ، كما يُقال في إثبات الشيء : « هو هو » فحمل الرقعة إلى كاتب الديوان ، وأراه خط أبي عبد الله وقال : إنه صدّق قولي وصحّح ماذكرت! فخفي على الكاتب ذلك ، وطِيف به على كتّاب الدواوين ، فلم يقفوا على مراده ، فشدّد عبيد الله الكلمة الثانية[3] وكتب تحتها : « والله المستعان ! » استعظاماً منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج إلى إيضاح مراده بالنقط والشكل .

وكان عبد الله بن طاهر يُفرط في تفقّد المخاطبات عنه وإليه ، ويتوعّد عليها ، ويعاقب فيها . قال لكاتبٍ له أمره بشيء يعمله : إحذر أن تخطىء فأعاقبك بكذا وكذا . . وذكر أمراً عظيماً ، فقال له الكاتب : أيها الأمير فمن كانت هـذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابُه على الإصابة ؟ . . وكتب إليه[4] بعض عمّاله على العراق كتاباً صحائفه غليظةٌ ، فأمر عبد الله بإشخاص كاتبِ العامل إليه ، فلما ورد عليه

---

١ – ليس الخبر في الأحكام السلطانية ، والصولي يرويه بشكل آخر : انظر أدب الكتاب : ٥٩

٢ – في (ق) و (ر) عبد ، والصحيح ماذكرناه وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي (٢٢٦ – ٢٨٨هـ) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتمد والمعتضد ، وأبوه وزير وابنه وزير . الأعلام : ٣٤٩/٤

٣ – أصبح التوقيع : « هذا هذّاء » كأنه ينسب صاحب التوقيع إلى الهذيان

٤ – رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : إلى

قال له عبد الله : إن كان معك فأسٌ فاقطع حزم كتابك ثم ارجع إلى عملك ، وإن عدتَ إلى مثلها عُدنا إلى إشخاصك لقطعها .

وقد أوصى عبدُ الملك بن مروان أخاه عبد العزيز ، حين وجّهه إلى مصر فقال : تفقّد كاتبَك وحاجبَك وجليسَك ، فإن الغائب يُخبره عنك كاتبُك ، والمتوسّم يعرفك بحاجبك ، والخارج من عندك يذكرك بجليسك !

٣٣ ـ أبو بكر بن سليمان الزهري

[٣٩] || أراده زيادة[١] الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير إفريقية على كتابته ، وكان عالماً أديباً شاعراً مترسلاً ، مع دينٍ وصيانة ، فأبى عليه واستعفاه ، فلم يُعفه ، فاشترط عليه ثلاثة شروط ، قال زيادة الله : وما هي ؟ قال : لا أخلع ردائي ، وأجلس في مجلسك بغير إذنٍ ، أنا شيخٌ ومجلسُك لا يُجلس فيه إلا بإذنك ، ولا أكتبُ في دم أحدٍ ولا ماله ! قال : لك ذلك ، ووفى له بهذه الشروط .

وروي أنه قال له يوماً : يا زهري أصليبة أنت أم مولى؟ فقال : صلّبني القدم أعزّ الله الأمير ! فقال زيادة الله : إني لأسرّ بصدقه مني بعلمه .

ومر به زيادة الله [يوماً[٢]] وهو يصلي فناداه : يا زهري يا زهري ! فلم

---

١ ـ زيادة الله الأغلبي (١٧٢-٢٠٣ هـ) رابع الأغالبة من ولاة إفريقية وجاءه التقليد من قِبَل المأمون . الأعلام : ٣ / ٩٣ - ٩٤

٢ ـ ساقطة من (ق)

يُجبه ، وتمادى في صلاته ، فغضب عليه وعاتبه وقال : دعوتُك فلم تُجبني ! فقال : كنت بين يدي من هو أعظمُ منك ! قال : صدقتَ !

ويشبه هذا ما حدّث به عبدُ الصمد بن المُعذّل[1] قال : ركب أبي إلى الأمير عيسى بن جعفر[2] وكان على البصرة ، فوقف ينتظره ، فلما أبطأ عليه أقبل يُصلّي ، وكان المعذّلُ إذا دخل في الصلاة لم يقطعها ، فجعل عيسى يصيحُ : يا معذّلُ ! يا أبا عمرو .. والمعذّل على صلاته لم يعرّج عليه ، فغضب عيسى ومضى ، فلما أتمّ صلاته لحق عيسى وأنشأ يقول[3] :

قد قلتُ إذ هتف الأمير	يا أيُّها القمرُ المنير
حَرُمَ الكلامُ فلم أُجبْ	وأَجابَ دعوتَك الضمير
فلوَ أنّ نفسي طاوعتـ	ـني إذ دعوتَ ولا أُحير
لبّاكَ كلُّ جوارحي	بأناملٍ ولها السرور
شوقاً إليكَ وحُقَّ لي	ولَكِدْتُ من فرحٍ أطير

فرضي عنه عيسى ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . وروى هذه القصة أبو علي البغدادي في نوادره[4] عن أبي بكر الأنباري عن أبيه عن عبد الصمد بن المعذّل، وبينهما خلاف يسير .

١ – ابن المعذّل (– نحو ٢٤٠ هـ) من شعراء الدولة العباسية ، بصري هجّاء سكير خمّير . الأعلام : ١٣٤/٤

٢ – عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي (– نحو ١٨٥ هـ) قائد من أمراء بني العباس ، وهو ابن عم الرشيد وأخو زوجه زبيدة . الأعلام : ٢٨٥/٥

٣ – الأبيات من مجزوء الكامل ، وهي في أمالي القالي مع تغيير في بعض الكلمات

٤ – انظر كتاب الأمالي للقالي : ١٤٢/٢

٣٤ ـ الفضل بن مروان [1]

كان في أيام الرشيد على ديوان الخراج ، ثم كتب للمعتصم قبل خلافته ، وتولى أخذ البيعة له عند وفاة المأمون ، والمعتصم إذ ذاك غازٍ معه ، وكان الفضل في ذلك الوقت خليفةً على بغداد للمأمون ، فأعطى الجند رزق أربعة أشهر ، ثم ورد المعتصم || يوم السبت مستهلّ رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، فاستوزره [٤٠] يوم وروده ، وردّ الأمر كلّه إليه ، فغلب عليه لتربيته إياه .

ولما ظهر بين ابراهيم بن المهدي والفضل بن مروان من العداوة ما ظهر ، قصده العباس وعليّ ابنا المأمون ، وعبدُ الوهاب بن علي ، وأعلموه أنهم قد عملوا على ذكر مساوىء الفضل للمعتصم ، وسألوه معاونتهم والشهادة بتصديقهم ، فلم يستوف كلامهم ولا أجابهم ، حتى جاءهم رسول المعتصم فطلبهم ، فساروا إليه ، فابتدأ العباس بكل قبيح ، وتكلم عبد الوهاب وعلي بأقبح وأشنع منه ، وأقبل علي بن المأمون على ابراهيم ، فقال له : مالك ياعمّ لا تتكلم ، وما أحد ركبه الفضل بأكثر ممّا ركبك به ؟ فقال له ابراهيم : ليس كل ما ركبني به الفضلُ يُعرف ، وإنّ أياديه السود عندي لكثيرة ، إلاّ أن مجالس الملوك لا يُغضب فيها لغيرها .. ثم أقبل على المعتصم فقال له : يا أمير المؤمنين قد رفعتَ الفضلَ إلى مرتبة لم ترفع الخلفاء

---

١ ـ الفضل بن مروان (١٧٠ ـ ٢٥٠ هـ) استوزره المعتصم نحو ثلاث سنوات وخدم قبله وبعده عدداً من الخلفاء . الأعلام : ٥/٣٥٨ وابن خلكان : ٣/٢١٣ ـ ٢١٤

إليها أحداً ، ولا تكون محطته إلا لإحدى ثلاث خصال : إما خيانة [في[١]] نفس المملكة ، وإما خيانة في حرمة ، وإما خيانة في نفسه بإفشاء سر يعود بضرر ، ولا يَعتقد الفضل ذنباً يُعادي به بني العباس ، فيحاول نقل الخلافة منهم إلى غيرهم ، فقد سلم من الخيانة في المملكة ، وليس الفضل بمستهتر يجرّم نفسه بإفشاء سر يعود منه ضرر وهو آمنٌ منه ، لأن المعروف منه أن يؤثر دُنيا أمير المؤمنين على دنيا نفسه وعلى آخرته أيضاً ؛ فقال علي بن المأمون : فقد ظهرت خيانة الفضل في الأموال ! فقال ابراهيم : ليس من خان أمير المؤمنين مالاً يُعدّ عدواً ، لأن الناس كلهم — إلا من عصم الله — يرغبون في الأموال ، ويقوى بها على خدمة السلطان ، ومن بلغ منزلة الفضل لم يُسأ به الظن ! فاستحسن المعتصم ما كان من ابراهيم ، وشكره له الفضل بن مروان ، وندم على ما كان أسلفه من المكروه .

قول إبراهيم بن المهدي : «لا تكون محطته إلاّ [لـ[١]] إحدى ثلاث خصال» من قول المأمون : يحتمل الملوك كلّ شيء إلا ثلاثة : القدح في الملك وإفشاء السر والتعرّض للحرم .

ثم اتصلت مطالبة الفضل والسعاية به ، وقيل للمعتصم : إنه يفعل وأنت خليفة كما كان يفعل وأنت أمير ، لا يهابك ! فنكبه ، وكان يقول : عصى الله وأطاعني فسلّطني الله عليه ؛ ومما قيل في نكبته[٢] :

---

١ — ساقطة من (ق)

٢ — الأبيات من البسيط ، وقد ورد البيت الثالث منها في مروج الذهب للمسعودي (٢٨٠/٧) منسوباً إلى الحسين بن الضحّاك مع بيت آخر ، من قصيدة يرثي بها المتوكل والفتح بن خاقان :

إن الليالي لم تحسن . . . .

أما رأيتَ خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمي وبالفتح بن خاقان !

لا تَغبطنَّ أخا الدنيـا بمقدرةٍ فيها وإنْ كان ذا عزٍ وسلطانِ
يكفيكَ من غِيَرِ الأيّام ماصنعتْ حوادثُ الدهرِ بالفضلِ بنِ مروانِ
إنَّ الليالِيَ لم تُحسن إلىٰ أحـدٍ إلاَّ أساءتْ إليـهِ بعدَ إحسانِ
والعيشُ حلوٌ ومرٌّ لا بقـاءَ لهُ جميعُ ما النـاسُ فيه زائلٌ فـانِ

[٤١] || وندم المعتصمُ على عزله ، فكان يقول : إذا نُصر الهوى بطل الرأي ! وترك أمواله لم يُنفق منها شيئاً ، وقال: لا أستحلها! ثم استقل بعد ذلك وتصرّف للواثق والمتوكل وغيرهما ، وكان ابن الزيات [١] يُعاديه ، فوقف يوماً في وزارته الواثق على باب ديوان الخراج ، ودعا بالفضل وقال[له [٢]] : إن أمير المؤمنين يقول : يابن الفاعلة لأسفكنّ دمك ، وآخذنّ مالك ! قال : وأمركَ بسماع الجواب ؟ قال [له [٢]] : لا ، ولكن قله ! قال : لا .. ثم انصرف ، وأمر ونهى ما تبين منه شيء ، ثم بكّر إلى دار الخلافة ، فحُجب ، وفعل فعله بالأمس كذلك ثلاثة أيام ، ثم أُدخل بعدُ إلى الواثق ، فبكى وقال : الله في دمي وقد بلغت السبعين ، وما ذنبي غير حبي للمعتصم وغلمانه ، فضلاً عن ولده ! ومالك وَلِّ جَمْعَه غيري ،فقدسقطت هيبتي عمّن يحمله إليَّ ، فإنّ ابنَ الزيات قال كذاو كذا، قال له : أوَ كلّمكَ به على رؤوس الناس؟ قال : نعم ! قال : والله لأدفعنّه إليك فتستصفي ماله ! فانصرف الفضلُ إلى مكانه ما ظهر عليه شيء من السرور . وكان

١ - محمد بن عبد الملك الزيات : انظر الترجمة القادمة : ص ١٣٣ - ١٣٨

٢ - ساقطة من (ق)

الفضل عاقلاً داهياً جزلا ، يُذكر عنه أنه ما ظهر عليه سرور بفرح قط ولا حزن بمصيبة .

وتلاحى هو وأحمدُ بن المدبّر[1] يوماً بين يدي المتوكل — قال الصولي : وكان الخلفاء لا يُنكرون تنازع الكتّاب بين أيديهم — وابن المدبّر يلي في ذلك الوقت أمر دار المتوكل كله ، المطابخ والفرش وغير ذلك ، وفي المجلس مرفقة قد جعلت لأمر ولم تُرفع ، فضرب الفضل بيده على المرفقة ضرباً شديداً ، فقام منها غبار كثير ، فقال له أحمد : أتُغَبِّر بينَ يدي أمير المؤمنين ؟ أما لك أدبٌ ! أما خدمت الملوك ! فضحك الفضل وقال : من خدمتي للملوك فعلتُ هذا . ليرى أمير المؤمنين قلة كفايتك في فرشه ، وأنّك لا تهتم بنفضها ، ويعلم كيف يكون فيما يبعد عنه ، ولولا خوفي من سوء الأدبِ حقاً لضربتُ البساط فيرى ما هو أعظم من هذا ! فبُهِتَ أحمدُ ، وجعل يعتذرُ ، فما مضت إلا أيام حتى عُزِل عن الدار .

٣٥ — محمد بن عبد الملك الزيات[2]

كتب للمعتصم ووزر له ولابنه الواثق بعده خلافتَه كلها وأياماً يسيرة من خلافة المتوكل ، وهو أحد من رَأَسَ بعلمه وبيانه وبلاغته[3] . ولما استقصر المعتصم

---

١ — أحمد بن محمد بن المدبّر : انظر الترجمة ذات الرقم : ٤١

٢ — ابن الزيات (١٧٣ — ٢٣٣ هـ) وزير أديب كاتب شاعر ، نكبه المتوكل وعذبه إلى أن مات ببغداد . الأعلام : ٧ / ١٢٦ - ١٢٧ والمجلة الاسلامية : ٣/٧١٢ — ٧١٤ وأمراء البيان : ١/٢٧٨ - ٣٠٦

٣ — انظر العقد : ٤ / ٢٥٦

أحمد بن عمّار المزاري ، وسأله عن الكلأ فلم يعرفه ، قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! خليفةٌ أُمّي ، [٤٢] وكاتبٌ أُمّي !! فعرف مكانة ابن الزيّات من الأدب ، فأمر بإدخاله عليه ، وقال له : ما الكلأ ؟ فأجابه بما هو مشهور عنه[١] ، فاستحسن المعتصم ذلك ، وقال لابن عمّار : انظر في الدواوين والأعمال ، وهذا يَعْرِضُ عليّ [الكُتُب[٢]] ، فلم يرَ اطّراحَ ابنِ عمّار لقصوره ، ولا بَخْسَ ابنَ الزيات حق منظومه ومنثوره .

وحُكي أن المعتصم شاور بعض خاصته في محمد بن عبد الملك الزيات ، فأشار به ، فعزم عليه ، ثم ورد فتح بابك على المعتصم ، فسُرَّ به وأحب أن يُنشأ فيه كتاب يبقى ذكره ، فأشار ابنُ أبي دُوَاد[٣] عليه بتكليفه ابن الزيات ، ففعل ذلك ، فكتب فيه كتاباً مشهوراً ، أَبَرَّ فيه على كل نسخة عُملت في ذلك الفتح ، ثم قلّده وزارته ، وكان حاقداً عليه قبل إفضاء الخلافة إليه ، لقصةٍ ذكرها ابن عبدوس[٤] ، وهي أن المعتصم أمر محمد بن عبد الملك أن يعطي الواثق عشرة آلاف ألف درهم[٥] ، يستعين بها على أموره ويصلح بها ما يحتاج إلى إصلاحه ، فدافعه بذلك مدافعة متصلة ، أحوجت الواثق إلى أن شكاه إلى المعتصم ، فأنكر عليه تأخير المال عن

---

١ - انظر الفخري : ١٧٥ وابن خلكان : ٤/ ١٨٢

٢ - زيادة من الفخري .

٣ - أحمد بن أبي دُواد الإيادي (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) قاضي القضاة المعتزلي المشهور . الأعلام : ١ / ١٢٠ وابن خلكان : ١ / ٦٣ - ٧٥

٤ - في القسم الضائع من كتاب الجهشياري

٥ - انظر بعض الأخبار في سوء معاملة ابن الزيات للواثق قبل الخلافة في نشوار المحاضرة : ٨ / ١٤ - ١٥

الواثق، فقال : ياأمير المؤمنين، العدلُ أولى بك وأشبه بعقلك ، ولك عدةأولاد ، أنت في أمرهم بين خلتين : إمّا أن تسوي بينهم في العطية فتجحف ببيت المال ، وإمّا أن تخصّ بعضهم فتحيفَ على الباقي ! فقال له : قد رهنتُ لساني بشيء ، فماذا أصنع فيه ؟ قال : تأمر لباقي أولادك بأشياء أُخر من إقطاعات وصلات ، وتُطلق لهارون صدراً من المال وتُدافعه بباقيه ، وتتسع أنت قليلاً ، ونُدبر الأمرَ بعد ذلك بما يراه أمير المؤمنين ! قال : فقال له وفّقك الله ، فما زلت أتعرّف الخيراتِ في رأيك والسدادَ في مشورتك، وتَأدىٰ الخبر الى هارون ، فحلف بعتق عدة[1] من عبيده ، وبحبس عدة خيل ، وبوقف عدة ضياع ، وبصدقة مالٍ جليل ، أنّه إذاظفر بمحمدبن عبد الملك قتله، وكتب اليمين بخطه[2] في رقعة وجعلها فيدُرْجٍ ، وأودعه دايته ، فلما توفي المعتصم ، وأفضى الأمر إلى الواثق ، وكان ذا أناة ، كره أن يُعاجِله فيقول الناس إنه بادر بشفاء غيظه ، ثم عزم على الإيقاع به ، فتقدم بأن يُجمع له من وجوه كتّاب الدواوين من يصلح لولاية الدواوين والوزارة ، فجُمع له عشرة نفر ، فأثبت أسماءهم وجلس الواثق ودعا بواحد منهم ، وقال له : اكتب في كذا ، في أمر رسمه[3] له ، فاعتزل وكتب ، وعرض الكتاب عليه ، فلم يجده صنع شيئاً، ثم دعا بآخر وأمره أن يكتب كتاباً في معنى أمره به ، فاعتزل وكتب ، وعرض الكتاب [عليه[4]] ، فلم يرضه ، حتي امتحن العشرة ، فلم يرض

١ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : عبدة
٢ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : في خط
٣ — رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : سمه
٤ — زيادة من (س)

ما كتبه كل واحد منهم ، فأقبل على حاجبه فقال : أدخلْ مَن المُلْكُ مضطر إليه ، وهو محمد بن عبد الملك الزيات ، فجيء به وهو واجم متغيرٌ مضطربٌ ، فلما وقف بين يديه قال : اكتب إلى صاحب خراسان في كذا ‖ ، فأخرج من كُمه [٤٣] قصباً ومن خُفه دواةً ، وابتدأ فكتب بين يديه ، حتى فرغ من الكتاب وأصلحه ، وتقدم فناوله إياه ، وقد أتى فيه على جميع ما في نفسه ، فلما قرأه أُعجب به جداً ، وقال له : امضه ، فأخرج من الخريطة طيباً فوضعه عليه ، وناوله الخاتم ، فختمه وأنفذه من حضرته ووقف بين يديه ؛ فقال الواثق لخادم بين يديه : امضِ إلى دايتي وقلْ لها تُوَجِّه إليَّ بالدُرْج الفلانيّ ، فمضى الخادم ، فوافى به ، ففتحه وأخرج الرقعة ، فدفعها إلى محمد فقرأها وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا عبدٌ من عبيدك ، فإن وفيت بيمينك فأنت محكم ، وإن عفوتَ وصفحتَ كان أشبهَ بك ! فقال : لا والله ، لا يمنعني من الوفاء بيميني إلا النفاسة أن يخلو المُلك من مثلك ! وأمر بعتق العبيد الذين حاف بعتقهم ، وبوقف الضياع وحبس الخيل وصدقة المال .

وكَثُرت في أيام الواثق نكباتُ الكتاب ، كسليمان بن وهب ، وأحمد ابن الخصيب[١] وغيرهما ، بسعاية ابن الزيات ، فقال ابراهيمُ بنُ العبّاس الصولي[٢] في ذلك يخاطبه من أبيات[٣] :

---

١ – أحمد بن الخصيب : وزر للمنتصر والمستعين إلى أن نفاه المستعين واستصفى أمواله ، وكان مقصراً في عمله ، مطعوناً عليه في عقله . الفخري : ١٧٨ – ١٨٠ والأغاني : ٢١ / ٢٥٣ والطبري : ٣ / ١٤٧١ – ١٤٧٣

٢ – انظر الترجمة ذات الرقم ٨ .

٣ – الأبيات من المنسرح ، وهي في الأغاني : ٢١ / ٢٥٥ وفي ديوانه : انظر الطرائف الأدبية : ١٥٩ – ١٦٠

إيهِ[1] أبا جعفرٍ وللدَّهرِ كَرّ م اتٌ وعما يَريبُ مُتَّسَعُ
أَرسلتَ ليثاً عَلَى فرائسهِ وأَنت منها فانظر متى تقعُ
لمَّظْتَهُ[2] قوتَه وفيكَ لـه إذا تَقَضَّتْ أَقواتُه شبعُ

وقد كان أحمد بن أبي دُواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات[3]، وأمر علي بن الجهم فقال فيه أرجوزة[4]:

هارونُ يا ابنَ سيدِ الساداتِ أَما ترىٰ الأُمورَ مهملاتِ
تشكو إليك عدمَ الكُفاةِ!

فهمّ الواثقُ بالقبض عليه وقال: لقد صدق قائلُ هذا الشعر، ما بقي لنا كاتبٌ! فطرح نفسه على إسحق بن إبراهيم، وكانا مجتمعَيْن على عداوة ابن أبي دُوَاد، فقال للواثق: أمثلُ ابن الزيات مع خدمته[5] وكفايته يُفعل به هذا، وما جنى عليك ولاخانك، وإنما دلّك على خونة أخذتَ ما اختانوه فهذا ذنبه! وبعدُ، فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً حتى تُعد لمكانه جماعة يقومون مقامه، فمن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجَع له.

---

١ – في الديوان والأغاني: إيهاً
٢ – رواية الديوان، ومعنى لمظته قوته: أذقته وأطعمته إياه، وما في الأصول قريب من هذا الرسم (هَجته قوته) ويُقال: لهج القومَ: أطعمهم اللُّهْجَة، أي ما يُتعلل به قبل الغداء، وفي الأغاني: لاكته قوتة!!
٣ – انظر الخبر في الأغاني: ٢١ / ٢٥٥
٤ – انظر ديوان علي بن الجهم: التكملة: ١١٩
٥ – رواية الأغاني، وفي الأصول: حرمته

وحُكي أنّ الواثق أصلحَ بين ابن الزيات وابن أبي دُوَاد ، فكف محمد عن ذكر ابن أبي دُوَاد ، وجعل هو يخلو بالواثق فيغريه ، وكان فيما أبلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه ، إلى أن قبض على ابن الزيات ، ثم أطلقه بعد مدة وأعاده إلى حاله ، وقبضُ || الواثق عليه ليس بمشهور ، لأنه من خلفاء العباسيين [٤٤] الذين لم ينكبوا وزيراً ، وهم قليلٌ كالهادي والأمين قبله ، والمعتضد والمكتفي بعده .

٣٦ — سليمان بن وهب[١]

لم يكن في دار المأمون حدثٌ أحسن خطاً من سليمان ، ولا آدب من أخيه الحسن[٢] ؛ وكتب لإيتاخ التركي في أيام المعتصم ، فكان السبب في عتقه ، فتبرّك به وفوّض إليه أمره كله . ومازال يعلو بعلوّه ، فسعى ابن الزيات إلى الواثق به وبأحمد بن الخصيب ، وكان يكتب لأشناس التركي ، ورفع قصيدة نسبها إلى بعض أهل العسكر ، وقيل إنه صنعها في الإغراء بهما ، من أبياتها[٣] :

---

١ — سليمان بن وهب : (- ٢٧٢ هـ) وزير من كبار الكتاب ، بغدادي ، كتب للمأمون وهو ابن أربعة عشر عاماً ، وولي الوزارة للمهتدي ثم للمعتمد . حبسه الموفق ومات في حبسه ، وكان من مفاخر عصره أدباً وعقلاً وعلماً ، وهو ممدوح أبي تمام والبحتري . الأعلام : ٣ / ٢٠١ وابن خلكان : ٢/ ١٤٤ — ١٤٧ والمملكة الاسلامية : ٤ / ٥٦٠

٢ — الحسن بن وهب (- نحو ٢٥٠ هـ) شاعر كاتب الخلفاء ، له أخبار مع أبي تمام والبحتري ، ولم يظفر ابن خلكان بتاريخ وفاته ليفرد له ترجمة . انظر ابن خلكان : ٢ / ١٤٥ وفوات الوفيات : ١/٢٦٧ - ٢٦٩ والأغاني : ٢٠ / ٥٤ — ٥٥ وأخبار أبي تمام : ١٨٣ — ٢١٠ والأعلام : ٢ / ٢٤١ وله ترجمة مفردة في آخر الجزء العشرين من معجم الأدباء (تراجم اضافية : ص ٣٤ — ٣٦) .

٣ — القصيدة من البسيط ، وهي في الأغاني : ٢٠ / ٢٠٤ ، وديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات المطبوع لايحويها .

وليّتَ أربعةً أمر العبادِ معاً ... وكلّهم حاطبٌ[1] في حبل مُحْتَبِلِ

كأنهم في الذي قسّمتَ بينهمُ ... بنو الرشيد زمانَ القسم للدولِ

حوى سليمانُ ما كان الأمينُ حوى ... من الخلافة والتبليغ للأملِ

وأحمد بنُ خصيبٍ في إمارتـه ... كالقاسم بن الرشيدِ الجامع السُّبُلِ

سُمّيت باسم الرشيد المرتضى فبه ... قسِ الأمورَ التي تُنجي من الزللِ

عِثْ فيهم مثل ما عاثتْ يَداهُ معاً ... عَلَى البرامكِ بالتّهديمِ للقللِ

فلما قرأ الواثق الشعرغاظه وبلغ منه ، ونظر بعقب ذلك إلى أحمد بن الخصيب يمشي في داره فتمثل[2] :

مِنَ الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما ... مَلِيّانِ[3] لو شاءا لَقَد[4] قَضَياني

خليليَّ أمّا أمُّ عمروٍ فمنهمـا ... وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني

فبلغ ذلك سليمانَ بنَ وهب فقـال : إنّا لله ، أحمدُ بنُ الخصيب واللهِ أمُّ عمرو ، وأنا الأخرى ! فنكبهما بعد أيام[5] ، والبيتان من أشعار الغناء ، وهما من قصيدةٍ طويلة لِكَعْب القَيْسي المعروف بالمُخَبَّل[6] ، ذكر ذلك أبو الفرج ، ومنها :

---

١ – يُقال : هو يحطب في حبل فلان أي يعينه وينصره ، والمحتبل من احتبل الصيد أي أخذه بالحبالة

٢ – البيتان من الطويل وهما في الأغاني : ٢١ / ٢٥٢ وابن خلكان : ٢ / ١٤٧

٣ – المليّ والمليء : الغني المقتدر

٤ – رواية (ق) و (س) وابن خلكان والأغاني ، وفي (ر) : قضا

٥ – يذكر التنوخي أن الواثق أطلق سليمان بن وهب من حبس ابن الزيات . انظر الفرج بعد الشدة : ١ / ٤٥ – ٤٦

٦ – كعب بن المخبّل من شعراء العصر الأموي ، من أهل الحجاز ، كان ممن اشتهروا بالعشق ، واسمه في الأصول (القيسي) وفي معجم الشعراء للمرزباني (القيني) انظر المرزباني : ٣٤٥ والأعلام : ٦ / ٨٦

أَفي كلِّ يومٍ أنتَ رامٍ بلادَها بعينينِ إنساناهُما غَرِقـانِ[١]

إذا اُغْرورَقت عيناي قالَ صَحابتي لَقَدْ أُولعتْ عيناكَ بالهَمَلانِ

وكتب الحسنُ بنُ وهب إلى أخيه في نكبته[٢] :

اصبرْ أَبا أَيوبَ صبراً يُرتضىٰ فإذا جَزِعتَ من الخُطوب فمن لَها

اللهُ يفرج بعد ضيقٍ كربَها ولعلَّها أنْ تنجلي ولعلَّها [٤٥]

وكان الحسن آلى ألاّ يذوق طعاماً طيباً ، ولا يشربَ شراباً حتى يتخلّص أخوه ، فوفى بذلك ، وقال سليمانُ في نكبته[٣] :

نوائبُ الدّهر أدَّبتني وإنّما يُوعَظُ الأَريبُ[٤]

قد ذقتُ حلواً وذقتُ مُرّاً كَذاكَ عَيْشُ الفتىٰ ضُروبُ

ما مَرَّ بُؤسٌ ولا نَعيمٌ إلاّ ولي منهما نَصيبُ

كذا قال الصولي وغيره . وقال أبو الحسن الماوردي[٥] ، عن ثعلب قال : دخلتُ على عُبيد الله بن سليمان بن وهب ، وعليه خِلَعُ الرضى بعد النكبة ، فلما مثلتُ بين يديه ، قال [لي[٦]] : يا أبا العبّاس [اسمع ما أقول[٦]] :

نوائبُ الدّهر أدَّبتـني ....

١ – يروى هذا البيت لعروة بن حزام : الأغاني : ٢١ / ٢٥٣

٢ – البيتان من الكامل ، وهما في أدب الدنيا والدين للماوردي : ٢٣٤

٣ – الأبيات من مخلع البسيط ، وقد وردت في (الفخري) : ص ١٨٦ معزوّة لسليمان بن وهب أيضاً .

٤ – رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) والفخري والماوردي : الأديب

٥ – أدب الدنيا والدين : ٢٣١

٦ – زيادة من أدب الدنيا والدين

وذكر الأبيات ، وزاد رابعاً في آخرها :

كذاكَ مَنْ صاحبَ الليالي تغزُوهُ في مرّها الخُطوبُ[١]

قلتُ : لِمَن هذه الأبياتُ ؟ قال : لي .

ثم استقلّ سليمانُ وخلص من اعتقاله ، وتناهى بعد ذلك ارتقاء حاله ، فتقلّد الأعمال الجليلة ، وكتب لعظماء[٢] الدولة ، وولاّه المتوكل مناظرة ابن الزيات لما سخط عليه ، ثم وزر للمهدي في خلافته ، ثم المعتمد ، وذكر البحتري في رثائه أنه أقام سبعين حولاً في التدبير[٣].

واستقل ابنُ الخطيب أيضاً ، فكتب للمنتصر في حياة أبيه المتوكل ، ثم وزر له لما تقلّد الخلافة ، ووزر للمستعين بعده .

ومن عجيب ما اتفق لسليمان في نكبته مع ابن الزيات ، ما حكاه محمد بن داود ابن الجرّاح ، صاحب كتاب (الورقة)[٤] ، قال[٥] : جلس عبيد الله بن سليمان يوماً

---

١ — في (أدب الدنيا والدين) : تغذوه من درّها الخطوب

٢ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : لعلماء

٣ — يشير إلى قول البحتري : (الديوان : ٢ / ٩٤ من الكامل)

هذا سليمانُ بن وهبٍ بعدما طالت مساعيه النجوم سُموكا

وتنصّف الدنيا يُدبّر أهلها سبعين حولاً قد تمّمن دكيكا

أغرت به الأقدار بغتَ ملمّة ما كان رسم حديثها مأفوكا

والحول الدكيك : التام .

٤ — طبع كتاب (الورقة) في سلسلة ذخائر العرب بدار المعارف بمصر ، ولا يحوي المطبوع هذا النص ، ولعله من كتاب آخر لابن الجرّاح اسمه (أخبار الوزراء) إذا لم يكن كتاب الورقة المطبوع كاملاً . انظر مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام : ص ١٠ ، ١٦

٥ — انظر الفرج بعد الشدة : ١ / ١٠٧ وما بعدها

للمظالم — يعني في وزارته للمعتضد — فقام إليه عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات متظلماً من أحمد بن اسرائيل في ضيعة، فنظر في أمره، وقال: أنت عُمرُ بن محمد؟ قال له: نعم! قال: أنت ابن سُكران[1] — يعني أمه — فأين كنتَ؟ فقص عليه أمره وخبره؛ فلمّا كان في عشيّ ذلك اليوم، جلس ابناه وابن الجراح بين يديه، فتحدث عبيد الله واستروح وقال: سبحان الله العظيم، ما أعجب شيئاً كنتُ فيه اليوم! قال ابن الجراح: فلم أسأله إجلالاً، ثم قال: قال لي أبو أيوب — يعني أباه — إنه كان في أيام الواثق في ذلك البلاء والضرب والقيد، وإنه حمل يوماً إلى محمد بن عبد الملك ليناظره ويُردّ إلى محبسه، فوُضع بين يديه على تلك الحال، فجعل يناظره، والحسن بن وهب كاتبه، ودواته بين يديه، فربما تكلم يرقّقه عليه، وربما أمسك، ومحمد دائمٌ في الغلظة على أبي أيوب والتشفي منه، إذ مر بعض خدم محمد، [٤٦] ومعه صبي يحمله وعليه لباس مثله من أولاد الملوك، فلما رآه محمد صاح بالغلام، فأتاه به، فقرّبه وقبّله، وترشّفه وضمه إليه وجعل يُداعبه، وحانت منه التفاتة إلى أبي أيوب، وإذا دمعته قد سبقته وهو يمسح عينيه بجبة الصوف التي كانت عليه، فقال له: ما الذي أبكاك؟ فقال: خيرٌ أصلحك الله! فقال له: لا تبرح أو تخبرَني بالأمر على جهته! فلما رأى ذلك الحسنُ بن وهب قال له: أنا أصدقك أعزك الله، لما رأى أبا محمد — أمتعَكَ الله ببقائه وجعلنا جميعاً فداءه — ذكر بُنَيّاً له، وُلد وهو

---

١ — صاحب الأغاني يسمي أم عمر هذه: سكرانة، وابن رشيق يسميها: سلوانة. الأغاني: ٢٠ / ٤٩ والعمدة: ٢ / ١٠٣

في وقت واحد ، وهو في مثل سنه ! قال : وما اسمه ؟ قال : عبيد الله ، قال: فالتفت محمد إليه كالهازىء به ، ثم قال : يُقدِّر أن يكون ابنُه هذا وزيراً ! قال الحسن : فلما أمر بحمله إلى محبسه ، التفت إليّ ثم قال : لولا أن هذا من أمور السلطان التي لا سبيل إلى التقصير فيها ما سؤتُك فيه ، ولو أعانني على نفسه لخلّصته ؛ فقال له أبو عليّ : والله ما رأيته ، فإن رأيت أن تأمر به إلى بعض المجالس ، وتأذن لي في القيام إليه والخلوة به ، فأشير عليه بامتثال أمرك فعلت ! فأمر بذلك ؛ قال : فقمتُ إلى أبي أيوب ، فتعانقنا وبكينا ، فقال لي : أعجب من بغيه وقوله بالهزء والتطانز[1] : « أتراه يُقدر أن يكون ابنه هذا وزيراً » والله إني لأرجو أن يُبلّغه الله الوزارة ويتقدم إليه عمر متظلماً ، فلما كان في يومنا هذا تقدّم إليّ عمرُ يتظلّم كما رأيتم ، فذكرتُ ذلك الحديثَ وقولَ أبي أيوب ما قال ، وما كنتُ رأيته قبل ذلك . وقال الصولي في هذه الحكاية : جلس عبيد الله يوماً للمظالم ، فوقعت بيده رُقعة ، فقال: عمرُ بن محمد بن عبد الملك ! فأدخل إليه ، فقال: أنت عمر؟ قال : نعم ! ثم جعل[2] ينظر إليه ويفكر ، ثم وقّع له بجائزة[3] ونزل ؛ فلما تفرق الناس حدّث من يأنس به قال : رأيتم فكرتي في الرجل وما فعلتُ ؟ قالوا : رأينا ! فقال : حدثني أبو أيوب أبي قال : كنتُ في يديْ محمد بن عبد الملك

١ – التطانز : السخر ، وتطانز القوم : سخر بعضهم من بعض

٢ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) جلس

٣ – رواية (س) : له بجائزة ، وفي (ق) و (ر : الجائزة

الزيات ، وهو يطالبني بمال ، وأنا مقيد منكوب بين يديه ، في جبة صوف ، وكان أخي الحسن يكتب له ، ولم يكن يتهيأ له شيءٌ في أمر ، إلاّ أنه كان إذا رآني مقبلاً استقبلني ، وإذا رآني قد رجعتُ إلى موضعي شيّعني ، إذ أقبل خادمٌ له ومعه ابنٌ له صغير ، فقام إليه كل من في المجلس ، وجعلوا يقبّلونه ويدعون له ، ولم أتحرك أنا لِما كنتُ فيه ، فقال لي يا أبا سليمان لِمَ لَمْ تفعل بهذا الصبي ما فعله من كان في المجلس ؟ فقلت له : لِشغُلي ببلائي ! فقال : لا ولكن لعداوتك له ولأبيه ، وكأني بك وقد أمّلت في ابنك عُبيد الله الآمال ، واللهِ لا رأيتَ ما تؤمّله فيه أبداً ! وزاد في الحمل عليّ والدعاء بما [٤٧] يسوءني ، فقلتُ في نفسي : إنه قد بغى عليّ [1] ، وإني أثق بالله ! فلم يمض إلا قليل حتى سخط عليه المتوكل ، وقلّدني مناظرته وإحصاء متاعه ، فوافيتُ داره ، ورأيتُ ذلك الصبي مع ذلك الخادم بعينه ، والصبي يبكي ، فقلتُ للخادم : ما خبره ؟ فقال : قد مُنع من جميع ماله ! فقلت : لا بأس عليه ، ودخلت فسلّمت إليه كل ما كان باسمه ، ثم قال لي : يا بنيّ إن تهيأت لك حال ورأيت ذلك الصبيّ فأحسن إليه لتقابل نعمة الله عندي وعندك [2] ، فلما رأيته تذكرتُ ما قال أبو أيوبَ ، وامتثلتُ فيه أمره ، ثم صرفه عبيدُ الله وأقبل عليه إلى أن استخلفه في دار بدر [3] .

١ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) عليك

٢ – رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : وعنده

٣ – بدر غلام المعتضد : انظر مروج الذهب : ٨ / ٢٢٠

٣٧ – إبراهيم بن رياح

كان على ديوان الضياع فعزله الواثق، ودفعه إلى عمر بن فرج الرُّخَّجي فحبسه، وكان جواداً مُمَدَّحاً، وفيه يقول عبد الصمد [١] بن المُعَذَّل [٢]:

قد تركتَ الرياحَ يا بنَ رياحٍ ... وَهيَ حَسْرى إنْ هبَّ منها نسيمُ

نهكتْ مالَك الحقوقُ فأضحى ... لك مالٌ نِضْوٌ وفِعلٌ جسيمُ

وصنع أبو العيناء خبراً [٣] في إبراهيم هذا وجماعة من رجال السلطان رجاءَ أن ينتهي إلى الواثق فينتفع به، ومن ألفاظه: «قلت [٤]: ما عندك من خبر إبراهيم ابن رياح؟ قال: ذلك رجل أوثقه كرمه، وإن يفُز للكرام قِدح فأحْرِ بمنجاته، ومعه رجاءٌ لا يخذله، وربٌّ لا يسلمه، وفوقه خليفة لا يظلمه!» فلما قُرِىء على الواثق ضحك واستظرفه وقال: ما صنع هذا كله أبو العيناء إلا في سبب إبراهيم ابن رياح، وأمر بتخليته.

---

١ – رواية (س) و (ر)، وفي (ق) الرحمن بن عبد.

٢ – البيتان من الخفيف.

٣ – ورد الخبر معزواً إلى أبي تمام في (أخبار أبي تمام) للصولي: ٨٩ – ٩٢.

٤ – رواية أبي تمام: «قلت: فما تقول في ابراهيم بن رياح؟ قال: أوبقه كرمه، وأسلمه حسبه، وله معروف لا يسلمه، ورب لا يخذله، وخليفة لا يظلمه»

٣٨ — إبراهيم بن العباس الصولى[١]

ولي الأهواز في أيام الواثق ، فطالبه ابنُ الزيات وقصده بكل مكروه ، حتى صُرف [عنها][٢] وكان قبل ذلك أشد الناس اتصالاً به وصداقةً له ، ثم تغير عليه لأن رآه مع ابن أبي دُوَاد[٣] ، فكتب إليه إبراهيم[٤] :

إني متى أحقِـد بحقـ ـدك[٥] لا أضرّ به سواكا

[٤٨] ومتى أطعتك في أخيـ ـك أطعتُ فيكَ[٦] غداً أخاكا

حـتى أرىٰ متقسّمـا يوماً[٧] لذا وغـداً لذاكا

---

١ – كاتب العراق في عصره (١٧٦ – ٢٤٣ هـ) ، أصله من خراسان ، نشأ في بغداد وكتب للمعتصم والواثق والمتوكل ، جمع الشعر إلى الكتابة ، وكان دعبل الخزاعي يقول : لو تكسّب ابراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء . له ديوان شعر صغير عني بتحقيقه عبد العزيز الميمني ونشره في مجموعة (الطرائف الأدبية) انظر مصادر ترجمته في الطرائف : ١١٨ والأعلام : ١ / ٣٨ وأمراء البيان : ١ / ٢٤٤ – ٢٧٧ .

٢ – زيادة من (س) و (ر)

٣ – يعلل أبو بكر الصولي – وهو حفيد أخي ابراهيم – سبب المداوة بين عم والده والوزير ابن الزيات بأن الوزير نقص ابراهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة ، فعاتبه في ذلك فلم يعتبه ، فألهب له نار هجاء لا يطفئها الدهر ! انظر (أدب الكتاب) : ١٥٩ – ١٦٠

٤ – الأبيات من مجزوء الكامل ، وهي في ديوان الصولي (الطرائف الأدبية) : ١٦٢ .

٥ – في الديوان : لحقدك .

٦ – في الديوان : فيه .

٧ – في الديوان : يومي لذا وغدي لذاكا .

وحُكي عن حاجب محمد بن عبد الملك الزيات قال : لما انصرف إبراهيم ابن العباس معزولاً عن الأهواز،وقف بباب عبد الملك يطلب الإذنَ،فاستأذنتُ له ثلاثَ مرات ، فلم يأذن ، فخرجت إليه فقلت : يا أبا إسحق قد حملتُ نفسي على سوء الأدب بأن كرّرتُ الاستئذان على الوزير فلم يأذن ! فسألني إيصالَ رقعة إليه ، فقلت : هاتِها ، فثنى رجله على سرجه و كتب : « من كان واحدك إذ جعلتَ لنفسكَ واحداً ، وواحدي إذْ خفتُ من زماني نبوة ؟ أما والله[1] لو أمنتُك لقلتُ ، ولكني أخاف منك عتباً لا تُنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي ، وما قُدِّرَ فقد كان ويكون وكائن ، وعن كل حادثة أُحدوثة ، وما أقول إني تبدّلتُ بحالةٍ كنتُ بها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها ، بل أقول إني قُهرت ، فلما فزعتُ إلى ناصري ، وجدتُ مَن ظلمني أخفَّ نيّةً[2] فيَّ ممن استنصرتُ به ، وأحمد الله كثيراً وأشكره ! » وكتب في آخر الرقعة[3] :

وكنتَ أخي بإخاء الزمانِ فلما نبا صرتَ حَرْباً عوانا
وكنتُ إليكَ أذم[4] الزمانَ فأصبحتُ فيك أذمُّ الزمانا

---

١ - انظر معجم الأدباء : ١ / ١٧١ والأغاني : ٩ / ٢٧ .

٢ - رواية معجم الأدباء ، وفي الأصول : منه .

٣ - الأبيات من المتقارب ، وهي في الديوان : (الطرائف الأدبية) : ١٦٦ - ١٦٧ وانظر الأغاني : ٩ / ٢٧ ومعجم الأدباء : ١ / ١٧١ وابن خلكان : ١ / ٢٩ .

٤ - في المصادر الأخرى : وكنت أذم إليك . .

وكنتُ أُعدُّك للنائبـــاتِ   فهأنا أطلبُ منك الأَمانا

قال : فأوصلت الرقعة ، فقرأها وفكّر ساعة ثم وقّع في آخرها : « ارجع مذموماً ، لا حاجة بنا إلى أُخوّتك ولا صداقتك ولا الاستعانة بك [1] :

إذا ما بدأْتَ امرأً جاهلاً   بِبِرٍّ فقصَّرَ عن حملِهِ

ولم تُلفه قـائلاً بالجميل   ولا عارفَ العزّ من ذلِّـهِ

فَسُمْـهُ الهوانَ فإنَّ الهوانَ   دواء لذي الجهل من جهلِهِ

ــ كذا في رســائل باح الأصبهاني [2] ــ وحسبُك ما أخلدتَ إليه ضعةً ونقصاً ، وفي كفاية الله غنى عنك ! » قال : فلما قرأ إبراهيم التوقيع جعل يتحرّق على دابته ساعة وقال لي : إنّ انقطاعي [اليومَ] [3] إلى الله ثم إليك ! فقلت : قل ما شئت ! قال : تُوصل لي رقعةً أُخرى ؟ قلتُ : قد رأيتَ التوقيع ! قـــال : أَكتبُ الرقعة وتكونُ في يدك فإنه سيسأل ما فعل إبراهيم ؛ فقلت: أُكتب ؛ فثنى رجله على سرجه وكتب : « من شكرك على درجةٍ رفعتها ، أو نعمةٍ أوليتَها ، أو زيادةٍ مننتَ بها، فإني أشكرك على مُهجةٍ أحييتَها، وحُشاشةٍ أبقيتَها ، ورمقٍ

---

١ – الأبيات من المتقارب ، وليست في ديوان ابن الزيات المطبوع ، فلعلّها لغيره وهو يستشهد بها .

٢ – لم اهتد إلى حقيقة الاسم ، وفي (وفيات الأعيان) ترجمة لرجل يسمى (أبا عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني ، توفي عام ٢٤٦ ، ويعده ابن خلكان من فضلاء الكتاب ، ويذكر له « ديوان رسائل » ويقص شيئاً من أخباره مع ابراهيم بن العباس الصولي ! ! انظر ابن خلكان : ٤ / ٤١٩ – ٤٢٣

٣ – زيادة من (س)

قمتَ به ، وحُلتَ بين التلف وبينه ، فلا تُسقطنّي عندك هَنَةٌ [١] إن كانت ، فإني والله واحدك بالأسباب [٤٩] التي تجتمع فيك ولك ، ولا تجتمع لك في غيري من أخ ولا صاحب ، وكنت أَعِدُك الوفاء، فقد والله فعلتُ ،وكنت تَعِدُني ألاّ أُضامَ في دولتك وأيامك، فلا تخذلني في حال إن أخليتني فيها من نصرتك لم يلحقني مقدار في نفسي ومودتي إلا لَحِقَك مثلُه والسلام ! » وقال في آخره [٢] :

أَبا جعفرٍ عرِّج عَلَى خُلَطائكا	وأَقْصِر قليلاً من مدى غُلَوائكا
فإن كنتَ قد أُوتيتَ في اليوم رِفْعةً	فإنَّ رَجائي في غَدٍ كرجائكا

فلما قرأ الرقعة أذن له في الدخول ، وقرّب مجلسه ، ونادمه يومه ، وصرفه محبوّاً [٣] مكرماً .

وقال الصولي : لم يزل محمد بن عبد الملك بالواثق إلى أن وجّه أحمد بن سيف للنظر في عمل إبراهيم ، فكتب إبراهيم إلى الواثق : أتقبل عليّ قول رجل كافر قال كذا ... وذكر شعراً يخاطب ملك الموت به عند موت غلامه ،

---

١ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) هنات .

٢ – البيتان من الطويل ، وقد سقطا من (س) و (ر) ، وهما في الديوان (الطرائف الأدبية : ١٦١ – ١٦٢) ومعجم الأدباء: ١/ ١٧٢ وابن خلكان : ٤ / ١٨٥ مع اختلاف في رواية الشطر الأول من كل بيت ، ورواية الديوان :

أبا جعفر خف نبوةً بعد صولةٍ	وقصّر قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن يك هذا اليوم يوماً حويته	فان رجائي في غد كرجائكا

٣ – رواية (س) و (ق) ، وفي (ر) محبوباً .

فوجه الواثق من يحقق له الخبر ، وعلم سعي محمد بن عبد الملك بإبراهيم ، فحسن مذهبه فيه .

وسعى أحمد بن المدبّر إلى المتوكل بإبراهيم بن العباس ، وكان بينهما تباعد[١] ، فقال للمتوكل : قلّدتَ إبراهيم ديوان الضِّيـاع وهو متخلف آية[٢] من الآيات ما يحسن قليلاً ولا كثيراً ، وطعن عليه طعناً قبيحاً ، فقال له المتوكل : في غد أجمع بينكما ، واتصل الخبر بإبراهيم فأيقن بحلول البلاء ، وعلم أنه لا يفي بأحمد بن المدبر في صناعته ، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته ، وحضر أحمد فقال المتوكل : قد حضر إبراهيمُ وحضرتَ ، ومن أجلكما قعدتُ ، فهات واذكر ما كنتَ فيه أمسِ ! فقال أحمد : أيَّ شيء أذكر عنه ، وما أقول فيه ! أول ما أذكر ما لا يذهب على أحد ، أنه لا يعرف أسماء عُمّاله في النواحي ، ولا يعلم ما يثبت في ديوانه من تقديراتهم وحُزورهم وكُفولهم[٣] ، ولا يحفظ أسماء النواحي التي يتقلدها .. ومرّ في أبواب بعدَها فاحشةٍ سمجةٍ منكرة ، فالتفتَ المتوكلُ إلى إبراهيم فقال : ما سكوتُك ؟ تكلم ! فقال يا أمير [المؤمنين[٤]] : جوابي في بيتين ، إن أذن أمير المؤمنين أن أذكرهما فعلت ! قال : اذكرهما ، فأنشأ يقول[٥] :

---

١ – الخبر في معجم الأدباء : ١ / ١٩٤ – ١٩٦

٢ – في معجم الأدباء و (س) و (ر) : آية من الآيات ، وفي (ق) : آية من الآداب ، ولعل الكلام يستقيم هكذا : وهو متخلف في آية من الآداب إلخ . .

٣ – في معجم الأدباء : ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم .

٤ – زيادة من (س) و (ر) ومعجم الأدباء

٥ – البيتان من الخفيف ، وهما في الديوان (الطرائف الأدبية) : ١٤٩ والأغاني : ٩ / ٢٨ ومعجم الأدباء : ١٧٩

رَدَّ قولي وصدّقَ الأَقوالا وأَطـاعَ الوُشاة والعذّالا

أتراه يكون شهرَ صُدودٍ وعَلَى وَجْهِـهِ رأَيتُ الهِلالا

فقال المتوكل : زه زه أحسنتَ والله [أحسنت [1]] ! إئتوني بمن يعمل في هذا لحناً وهاتوا ما نأكل، وأتوني بالندماء والمغنين، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخلعوا على إبراهيم بن العباس ! فخُلع عليه، وانصرف إلى منزله . قال الحسن [٥٠] ابن مخلد – وكان يخلف إبراهيم على ديوان الضياع –: فمكث يومه مفكراً مغموماً ساهياً ، فقلت : يا سيدي هـــذا يوم سرور وجذل بما جدّده الله لك وعندك من نعمه ، وخصّك من كفايته ، فما هذا الغمّ؟ فقال: يا بنيّ ، الحق أولى بمثلي وأشبه ، إني لم أدفع أحمد بن المدبر بحجة ، ولا كَذَبَ في شيء مما ذكرني به ، ولا أنا ممن يَعْشُره [2] في الخراج ، كما أنه لا يَعْشُرني في البلاغة ، وإنما فَلَجْتُ [3] بِمَخْرَقَةٍ وهزل ، أفلا أبكي ـــ فضلاً عن أن أغتم ـــ من زمانٍ يُدفع فيه ذلك الحق كله بما دفعته من الباطل ، وسيكون لهذا وشبهه نبأ بعد !

وجلّت حال إبراهيم عند المتوكل ، واختص بكتابته ، وله عنه الرســالة الغريبة في تأخير النيروز [4] ، ولما قرأها عليه أعجب بها كلُّ من حضر ، فكان

١ – زيادة من (س) و (ر) ومعجم الأدباء
٢ – يعشره : يبلغ معشاره .
٣ – ظفرت وفزت .
٤ – النيروز اسم معرب معناه اليوم الجديد ، وهو أعظم أعياد الفرس وفيه يفتتح الخراج ، وتأخير النيروز إصلاح زراعي كبير أراد المتوكل أن يقوم به ليؤخر موعد الجباية ، فلا يجبى الخراج قبل نضج الزرع. انظر أخبار البحتري : ٩٥ والطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٢٤٥ .

الفتح بن خاقان يقول للمتوكل : إبراهيم فضيلة خَبَّأها الله لك [١] ! وكان إبراهيم إذا دخل على المتوكل أمر ألاّ يهزأ أحد بين يديه [٢] حتى يقوم .

٣٩ ــ محمد بن الفضل الجرجرائي [٣]

كتب للفضل بن مروان ، ثم وزر للمتوكل [٤] بعد ابن الزيات [٥] ، وكان يسمع الفضل يقول : نجاح بن سلمة [٦] أشد الناس إقداماً على إهلاك الأموال ! فلما ولي خافه نجاح ، فاعتذر إليه يوماً من شيء بلغه فقال له الجرجرائي [٧] :

إنّ من الإخوان من وُدُّهُ آلٌ على دَيمومــةٍ يلمعُ

يخالُـه الظمـآن ماءً ولا .ماء به من ظماٍ ينقعُ

---

١ ـ في معجم الأدباء (١/ ١٨٨) أن وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان يقول له : « يا أمير المؤمنين إن ابراهيم فضيلة خبأها الله لك ، واحتبسها على أيامك » .

٢ ـ يريد ألا يهزل أحدٌ . يقول المسعودي : « ولم يكن أحدٌ ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه العبث والهزل والمضاحك . . . إلا المتوكل (مروج الذهب : ٧ / ١٩٧) ويقول الحصري : « كان أصحاب المتوكل يسخفون ويسفّون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء » (زهر الآداب : ١ / ٢٠٣) وانظر خبر المتوكل مع أصحاب السماجة والهزل : الدارات للشابشتي : ٢٦

٣ ـ مات سنة ٢٥٠ . انظر ابن الأثير ٧ / ٨٩ والفخري : ١٧٧

٤ ـ انظر تاريخ الطبري : ٣ / ١٣٧٩ ومروج الذهب : ٧ / ١٩٧ .

٥ ـ بعد مقتل ابن الزيات استكتب المتوكل أحد كتابه واسمه أبو الوزير من غير أن يسميه بالوزارة ، فكتب له مــديدة ثم نكبه واستوزر الجرجرائي . تاريخ الطبري : ٣ / ١٣٧٨ وابن الأثير : ٧ / ٢٧ والفخري : ١٧٧ .

٦ ـ انظر تاريخ الطبري : ٣ / ١٤٤٠ ـ ١٤٤٧

٧ ـ الأبيات من السريع .

وأَنت منهم غيرَ شك فلا ترجعُ عن غَيٍّ ولا تُقلعُ

ولم يزل نجاح يطالبه حتى عزل، وأسلم إليه ليحاسبه، فكتب إلى صديق له :

« أنا مع أمير المؤمنين وتسليمه إياي لنجاح كما قال أبو تمام [1] :

رأَيتُك من مُحِبّك ذا بعاد وممن لا يُحبك ذا دُنوِّ

ومع نجاح كما قال في البيت الآخر :

وحَسبُك حسرةً لك من صديقٍ يكون زمامه بيدي عدوِّ

وكتب إلى المتوكل [2] :

[٥١] يا ملكاً أملكَ بي منّي اصفحْ فدتْك النفسُ [لي[3]] عنّي

واللهُ ما خنتُك في حالةٍ عالمُ ما أُبدي وما أُكني

ففيمَ سُلِّمتُ إلى حاسدٍ مُنْيَتُهُ راحتُه منّي

فأمر المتوكل أن يصالح فيما كان يُطالب به، تخفيفاً عنه، وكان صالح الرأي فيه. ويُذكر أنه قال له قبل عزله : بلغني أنك تتشاغل بالغناء عن الأمور! فقال : ما أُنكر يا أمير المؤمنين أني أستعين بهزلٍ على جد، وبراحة على تعب، وأما الإضاعة فلو لم أقض حقك وحق الله لقضيت حق نفسي فيما يلزمني من ذلك!

---

١ - البيتان من الوافر : ديوان أبي تمام: ٢٦٧ وعن الشاعر انظر المعلة الاسلامية: ١ / ١١١ - ١١٢

٢ - الأبيات من السريع .

٣ - زيادة من (س) .

ثم كتب إليه أسماء جواريه العوامل ، وعرضها عليه ، فأبى أن يقبلهنّ ، ووصله بعشرة آلاف دينار ، ثم صرفه في تلك السنة .

وقال أبو محمد بن السيد البطليوسي [١] في شرح [قول [٢]] ابن قتيبة [٣] : « وأيّ موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب » قال ابن القوطيّة : هذا الرجل هو محمد بن الفضل [وهذا غلط لأن محمد بن الفضل [٤]] إنما وزر للمتوكل ، وكان شاعراً كاتباً حلو الشمائل ، عالماً بالغناء .

وولي الوزارة أيضاً في أيام المستعين [٥] .

٤٠ – عمرو بن بحر الجاحظ [٦]

كان مائلاً إلى ابن الزيات ، مُنْحطاً في هواه ، فلما نكبه المتوكل أُدخل الجاحظ على أحمد بن أبي دواد مقيداً ، فقال له [٧] : والله ما أعلمُك إلا مُتناسياً

---

١ – انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي : ٢٥ .

٢ – زيادة من (س) .

٣ – قول ابن قتيبة هو : « وأي موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره ، فقرأ عليه يوماً كتاباً ، وفي الكتاب : ومُطرنا مطراً كثر عنه الكلأ ، فقال له الخليفة ممتحناً له : وما الكلأ ؟ فتردد في الجواب وتعثّر لسانه ثم قال : لا أدري! فقال : سل عنه » انظر : أدب الكاتب لابن قتيبة : ٧ .

٤ – زيادة من (س) و (ر) والاقتضاب

٥ – انظر تاريخ الطبري : ٣ / ١٥١٤

٦ – الجاحظ (– ٢٥٥ هـ) انظر المعلمة الاسلامية : ١ / ١٠٢٨ – ١٠٢٩ وأمراء البيان : ٢ / ٣١١ – ٤٨٧ .

٧ – انظر زهر الآداب : ٢ / ١٠٠ – ١٠١ والفرج بعد الشدة : ١ / ٧٩

للنعمة كفوراً للصنيعة ، معدداً للمساوئ ، وما فُتّني باستصلاحي لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويّتك ، ورداءة جبلّتك[1] ، وسوء اختيارك ، وتكالب طباعك ! فقال الجاحظ : خَفِّضْ عليكَ أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر عليّ خيرٌ من أن يكون [لي[2]] عليك ، ولأن أسيء وتُحسن أحسنُ في الأُحدوثة من أن أُحسن فتسيء ، ولأن تعفو عني في حال قدرتك [عليّ[3]] ، أجملُ بك من الانتقام مني ! .. فعفا عنه .

وأرق من هذا الاستعطاف — على أن بلاغة الجاحظ في رسائله وخطبه لا يتعاطاها الفحول ذوو الإدراك — ما كتب به بعضُ الكتّاب إلى أبي غالب ، ابن أخي ابراهيم بن المدبر وهو : « وجدتُ استصغارَك لعظيم ذنبي أعظم لقدر تجاوزك عني ، ولعمري ما جَلّ ذنبٌ يُقاس إلى فضلك ، ولا عظم جرم يُقاس إلى صفحك ، ويُعوّل فيه على كرم عفوك ، ولئن كان قد وسعه حلمك فأصبح [٥٢] جليلهُ عندك محتقراً وعظيمه لديك مستصغراً ، إنه عندي لفي أقبح صور الذنوب ، وأعلى رتب العيوب ؛ غير أنه لولا بوادر الجهلاء لم يُعرف فضل الحلماء ، ولولا ظهور نقص الأتباع لم يبن كمال الرؤساء ، ولولا إلمام الملمّين بالذنب لبطل تطوّل المتطوّلين بالصفح ، وإني لأرجو أن يمنحك الله السلامة بطلبك منها ، ويُقيلك

---

١ – في زهر الآداب : دخيلتك .

٢ – زيادة من زهر الآداب .

٣ – ساقطة من (ق) وهي في بقية الأصول وزهر الآداب .

العثرات بإقالتك لها ، وما علمتُ أني وقفتُ على نعمة أتدبرها إلاّ وجدتُها تشتمل على عائدة فضل ، معها فائدة عقل فيها ؛ إني وجدتني قد وصلت إلى تفضلك من غير مسألة ، ودخلت إلى إحسانك من بابه ، ووصلت إلى تقلّد عملك بمن أشركته في الشكر معك ، إن لم أكن جعلته دونك ، فنقلتني بما استكرهتُك عليه ، إلى ما تطوعتَ لي به ، ومما كان لي فيه سبب إليك ، إلى مالا سبب لي فيه غيرك ، ومما يطالبني بالشكر عليه سواك ، إلى ما تنفرد معه بشكري إياك ، ثم جعلت ما نقلتني إليه أجلّ قدراً ، وأخصّ من خدمتك محلاً مما نقلتني عنه ، كنت في ذلك كما قال الشاعر (١) :

لا أظأرُ(٢) النفسَ إكراهاً إلى أحدٍ وشرُّ ودّك ما يأتي وقد نُهِكا
من مجّهُ(٣) فوك لم تنفعه آصرةٌ والنفسُ مجّاجةٌ ما مجّهُ فكا

ولم أر تأديباً ألطف ولا فعلاً أشرفَ ، ولا تقويماً أنفعَ ، ولا استصلاحاً أنجعَ ، ولا كرماً أبرعَ مما توصلتَ إليه فيّ ، وتغلغلتَ في الإنعام به عليّ ، وإني لأرجو بمنّ الله وسترهِ ألاّ تقفَ مني على أختٍ لهذه الفعلة ، ولا نظيرٍ لهذه الزلّة ما اختلف الجديدان ، وتجاور الفرقدان .

---

١ – البيتان من البسيط .
٢ – ظأره إلى كذا : عطفه عليه .
٣ – مجّه : قذفه ورمى به واستكرهه .

٤١ — أحمد بن محمد بن المدبّر [1]

حُكي عنه أنه قال : كنت [أكتب [2]] لمحمد بن عبد الملك الزيات على الجيش ، واحتيج إلى توجيه بعض القواد في أمر مهم ، فعملت باستحقاقه ورجاله عملاً مفصلاً ، ثم أجملتُ التفصيل فغلطتُ فيه ، وصككتُ به ، وحُمل المال إلى القائد وقبضه وشخص ، ثم رجعتُ إلى العمل فتتبعتُه فوقعت على الغلط ، فاستحييتُ من محمد بن عبد الملك ، فجلست عنه ثلاثة أيام فوجّه إليّ فاستحضرني [3] ، فكتبت إليه أصدُقُه عن القصة ، وأعترف بالخطأ ، وأعلمتُه أن الحياء منعني من الحضور ، وأحكّمه على نفسي في العقوبة ، فوقّع إليّ : « لا جُرمَ لك فيما || لم تتعمّد فارجع [٥٣] إلى مكانك وتحرّز من وقوع ما كان منك » ، وقاصّ الرجلَ وأصحابه بما قبضوه عند استحقاقهم .

ثم تولى أيامَ المتوكل الأعمال الجليلة وكان له إدلالٌ : قال له يحيي بن أكثم [4] بحضرة المتوكل : أنت كاتبٌ تتفقّه ، وتذكر أنك لا تُلزم الناس إلا بحجج فقهية ، أو كما قال ، فمن كتب للنبي ﷺ ؟ فقال أحمد : ليس على الكاتب أن يعلم ذلك

---

١ — مات سنة ٢٧٠ هـ . انظر ابن خلكان في ترجمة يموت بن المزرّع (وفيات : ٦ / ٥٥) والأغاني : ٩ / ٩ ، ٣٤ ؛ ١٨ / ٤١ ؛ ١٩ / ١١٥ والفهرست : ١٢٣ .

٢ — زيادة من (س)

٣ — رواية (س) : فأحضرني

٤ — قاضي القضاة في عهدي المأمون والمتوكل . توفي سنة ٢٤٢ هـ . انظر ابن خلكان : ٥ / ١٩٧-٢١٤

ولا يتعلمه ، ولا على الفقيه أيضاً ، لأنه ليس مما يُحل حلالاً ولا يُحرّم حراماً ، ولا يزيد بصراً في صناعة ، وقد روى الناس أن عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وحنظلة ومعاوية وغيرهم كتبوا للنبي ﷺ ، [ولكن أخبرني[1]] من عمل عند النبي ﷺ عملك [ف[1]] أمر النبي ﷺ بقتله ؟ يُعرّض له باللواط ، فأفحم يحيي واستغرب[2] المتوكل عليه ضحكاً .

واحتال الفضل بن مروان في تغيير المتوكل عليه حتى عزله عن قهرمة الدار ، وادعى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان[3] عليه مالاً جليلاً تسبّب من أجله إلى أخيه ابراهيم حتى نُكب[4] ، وكان أحمد أسنّ منه وأعلم بالأعمال ، إلا أن سعده أقلُّ من سعد ابراهيم ، وهما من جلة الكتّاب . قال ابن عبد ربه[5] ، وسمّى جماعة ممن نبه بالكتابة بعد الخمول فيهم أحمد بن محمد بن المدبر : فهؤلاء نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

ولأحمد يخاطب أخاه إبراهيم في نكبته وقد أهدى إليه شعره مجموعاً ، فقرأه وكتب عليه بخطه[6] :

---

١ – زيادة من (س) .

٢ – استغرب في الضحك : بالغ فيه .

٣ – وزير المتوكل والمعتمد . انظر الفخري : ١٧٧ – ١٧٨ ، ١٨٧ وتاريخ اليعقوبي : ٢ / ٥٩٧ .

٤ – يذكر التنوخي أن نجاح بن سلمة سجن ابراهيم في عهد المتوكل مكايدة لأخيه . انظر الفرج بعد الشدة : ١ / ١١٧ – ١١٨ .

٥ – انظر العقد : ٤ / ٢٥٦ .

٦ – البيتان من الوافر . انظر الأغاني : ١٩ / ١٢٣ .

أبا إسحقَ إن تكنِ اللّيـــالي عطفنَ عليكَ بالخطب الجسيمِ
فلم أرَ صرفَ هذا الدهرِ يجري بمكروهٍ عَلَى غير الـكريمِ

وولي أحمد هـــذا خراج دمشق ، وامتدحه البحتري[١] وديك الجن[٢] ، وغيرهما ، فقال فيه رجل من بني هاشم[٣] :

يا بنَ المدَبّر أنتَ أكرمُ ماجدٍ عاذَتْ بهِ السادات عندَ عثارِ
إنّي أمتدحتكَ مدحةً شرّفتُهـا شرفينِ من أَصلي ومن أَشعاري

فاحتمل عنه ما مبلغه مائة ألف درهم .

٤٢ ـ إبراهيم[٤] [بن محمد بن المدبّر] أخوه

قال الصولي : كان إبراهيم بن المدبر رجلاً جليلاً عالماً شاعراً ، لا يُدانيه في ذلك كله أحدٌ ، وخدم المتوكل وكانت له عنده حظوة .

وقال أبو الفرج الأصبهاني[٥] : سعى به عبيد الله || بن يحيى لانحرافه عنـه ، [٥٤]

١ ـ انظر ديوان البحتري : ١ / ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٤٨ - ١٥٠ .
٢ ـ لقب الشاعر الحمصي عبد السلام بن رغبان ، من شعراء الدولة العباسية (- ٢٣٥ هـ) انظر ابن خلكان : ٢ / ٣٥٦ - ٣٦٠ والأعلام : ٤ / ١٢٨ .
٣ ـ البيتان من الكامل .
٤ ـ ابراهيم بن المدبر (- ٢٧٩ هـ) من وجوه كتاب العراق ، تولى الولايات الجليلة في أيام المتوكل والمعتمد والمعتضد . وصل إلينا من إنشائه (الرسالة العذراء) . أخباره في الأغاني : ١٩ / ١١٤ - ١٢٧ ومعجم الأدباء : ١ / ٢٢٦ - ٢٣٢ والفهرست : ١٢٣ والأعلام : ١ / ٥٦ .
٥ ـ انظر الأغاني : ١٩ / ١١٥ .

ونفاسته عليه ومخالفته فيه رأي المتوكل، فادّعى على أخيه أحمد بن المدبر مالاً جليلاً، ذكر أنه عند إبراهيم، وأوغر صدر المتوكل عليه، حتى أذن له في حبسه، وكان من وجوه كُتّاب العراق ومتقدميهم، فقال من قصيدة يخاطب بها أبا عبدالله ابن حمدون [١] ويستنهضه لتذكير الفتح بن خاقان بأمره [٢]:

يا بن حمدونٍ فتى الجود الذي	أنا منه في جَنى وردٍ جني
ما الذي ترقبه أم ما ترى	في أخٍ مضطهدٍ مرتهنِ
وأبو عمرانَ موسى [٣] حَنِقٌ	حاقدٌ يطلبني بالإحنِ
وعبيد الله أيضاً مثلُه	ونجاحٌ [٤] فمُجِدٌّ لا يني
ليس يشفيه سوى سفك دمي	أو يراني مُدرجاً في كفنِ
والأمير الفتحُ إن أذكرته	حُرمتي قام بأمري وعُني
فألُ صدقٍ حينَ أدعو باسمه	وسرورٍ حينَ يعرو حَزَني
ظَفِرَ الأعداءُ بي عن حيلةٍ	ولعل الله أنْ يُظفرَني

١ - أبو عبد الله أحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم (- نحو ٢٥٠ هـ) عالم بالأدب والأخبار، نادم المتوكل واختص به، ثم نادم المستعين انظر معجم الأدباء: ٢ / ٢٠٤ - ٢١٨ والأعلام: ١ / ٨١.

٢ - الأبيات من الرمل وهي في الأغاني: ١٩ / ١١٩ - ١٢٠.

٣ - أبو عمران هو موسى بن عبد الملك وكان على ديوان الخراج في عهد المتوكل. انظر الفرج بعد الشدة: ١ / ٥٠ وابن خلكان: ٤ / ٤١٩ - ٤٢٣ وانظر ما تقدم ص: ١٤٨ حاشية: ٢.

٤ - هو نجاح بن سلمة الذي تقدم ذكره: انظر ص: ١٥٢.

ولجّ عبيدُ الله فلم يكن لأحد في خلاصه معه حيلة حتى استغاث بمحمد بن عبد الله بن طاهر ، وقال فيه من قصيدة (١) :

دعوتُكَ في كربٍ فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تَعترِضني إذ دعوتُ المعاذرُ

إليك ـ وقد حُلِّئتُ (٢) ـ أوردتُ همّتي ... وقد أعجزتني عن همومي المصادرُ

نمى بك عبدُ الله في العز والعلا ... وحاز لك المجدَ المؤثّـلَ طاهرُ

فأنتم بنو الدنيا وأملاكُ شرقها (٣) ... وساستُها والأعظمونَ الأكابرُ

مآثرُ كانت للحسينِ ومصعبٍ ... وطلحة لا يحوي مداها المفاخرُ

إذا بذلوا قيلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غضبوا قيل الليوثُ الهواصرُ

تُعظِّمكم (٤) يومَ اللّـقاء البواترُ ... وتُزهى بكم يومَ المقال المنابرُ

فما لكمُ غيرَ الأسرَّة مجلسٌ ... وما لكم غيرَ السيوف مخاصرُ (٥)

[إلى أن (٦)] يقول فيها :

ولي حاجةٌ إن شئتَ أحرزتَ مجدَها ... وسرَّك منهـا أوّلٌ ثم آخرُ

---

١ ـ الأبيات من الطويل ، وهي في الأغاني : ١٩ / ١١٦ .

٢ ـ حُلّئت عن الماء : طُردت ومنعت من وروده .

٣ ـ يريد خراسان ، وفي الأغاني : جوّها .

٤ ـ في الأغاني : تطيعكمُ .

٥ ـ جمع مخصرة : ما يتوكأ عليه من عصا وما يحمله الملك بيده ليشير به إذا خاطب .

٦ ـ زيادة من (ر)

كلام أَمير المؤمنين وعطفُـه فمالي بعدَ الله غـيرَك نـاصرُ
فإن ساعد المقدار[١] فالصفحُ واقع وإلاّ فإني مخلص الودّ شاكرُ

فعزم على تخليصه، ولم يلتفت إلى عُبيد الله، وبذل أن يتحمّل في ماله كل ما يطالب، فأعفاه || المتوكل من ذلك ووهبه له. وكان إبراهيم يقول: نُـكبنـا [٥٥] نكبةً من نكباتنا، فسقط من إخواننا من كنا نجعلُ من أهل الود، فكتبتُ إلى بعضهم[٢]:

وصديقٍ تراه حلواً أنيقـا مؤنساً ملطفاً حفيًّا شفيقـا
ثم لمّا رماني الدهر بالغلـ ـظة منه صار البعيدَ السحيقا

وولي إبراهيم بعد ذلك البصرةَ والأهواز، وأَسَرَه صاحبُ الزنج، فهرب منه[٣]، ووزر للمعتمد، ثم طُلب، واستخفى، فظفر بـه وحُبس، إلى أن رضي الموفق عنه؛ وكان المعتمد يقول: ما استوزرت بعد عبيـــد الله بن يحيى وزيراً أرضاه غيرَ الحسن بن مخلد[٤] وإبراهيم بن المدبّر.

وقصتُه مع المتوكل تشبه قصة عثمان بن عمـارة بن خريم المرّي، خرج عليه

---

١ – في الأغاني: المقدور.
٢ – البيتان من الخفيف.
٣ – انظر خبر هربه من سجن صاحب الزنج في الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٢٥٧ وانظر أخبار البحتري: ١١٣ – ١١٤.
٤ – تقدم ذكره في ترجمة ابراهيم بن العباس الصولي، وانظر عنه الفخري: ١٨٧ والمسعودي: ٧ / ٢٤٥ – ٢٤٦ وابن الأثير: ٧ / ٢١٥.

خمس مائة ألف وسبعون ألفاً ، فحُبس ، فدخل عليه يزيد بن مزيد فقال : أحملها إليك ؟ فقال : يعدل حملها إليّ أبياتَ شعر تحملها إلى أمير المؤمنين الرشيد عني ! فقال : وما هي ؟ فأنشده [١] :

أغثني أَميرَ المؤمنين بنظرةٍ تزول بها عني المخافةُ والأَزْلُ [٢]

فعفوك أَرجو لا البراعةَ جاهداً أَبى اللهُ إلاّ أن يكون لك الفضلُ

فإلاَّ أَكن أَهلاً لما أَنـا طالبٌ فأَنتَ أَميرَ المؤمنين له أَهلُ

قال : فعرضها على الرشيد ، فأسقط ما كان عليه .

٤٣ ـــ أبو الجهم الكاتب

كان من صنائع ابن الزيات ، وعادى من أجله إبراهيم بن العباس الصولي وأضرَّ به [٣] ، فلما ولي الحسن بن مخلد بعض الأعمال ، أشار عليه إبراهيم [بطلب أبي الجهم في عمل كان يتولاه بالتشدد [٤] عليه فيه ، وكان الحسن كاتب إبراهيم [٥]] والغالب عليه ، فكتب أبو الجهم إلى المتوكل أبياتاً منها [٦] :

١ ـــ الأبيات من الطويل .

٢ ـــ الأزل : الضيق والشدة .

٣ ـــ رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : وأضرابه .

٤ ـــ رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : بالتشديد .

٥ ـــ زيادة من (س) و (ر) .

٦ ـــ البيتان من الطويل .

فـلا تُسلِمَنّي يا ابنَ عمٍّ محمدٍ   إلى حسنٍ أعدى العداةِ ابنِ مخلدِ
ومالِيَ ذنبٌ عنده غيرَ أنّني   عليمٌ بما يختان في اليوم والغدِ

فوصلت الأبيات إلى الحسن قبل وصولها إلى المتوكل ، فأحضر عليها أبا الجهم فأنكرها ، ثم تقاربا وعمل الحسن في ذلك بمقتضى قوله[١] :

من صادر الناسَ صادروه   وأعنتوه ومـاكروه[٢]
وجاحدوه[٣] الحقوقَ بُهْتاً   وبالأباطيــل نـاظروه
ومثلَ[٤] ما راح من قبيحٍ   أو حَسَنٍ منهُ باكروه   [٥٦]

ولأبي الجهم يُخاطب نجاح بن سلمة معتذراً وهو محبوس — وقد تمثل بهذا الشعر سهلُ بن هارون[٥] في كتابه إلى صاحبٍ له وجد عليه —[٦] :

إنْ تعفُ عن عبدك المسيء ففي   عفوك مأوى الفضل والمننِ
أتيتُ ما أستحقُّ من خطإٍ   فجُدْ بما تستحق من حسنِ

١ – الأبيات من مخلع البسيط وهي في نشوار المحاضرة : ٨ / ٨٥ .
٢ – الشطر الثاني في نشوار المحاضرة : وكابر الناس كابروه .
٣ – رواية الأصول ، وفي نشوار المحاضرة : وباهتوه .
٤ – رواية الأصول ، « « « : بمثل .
٥ – تقدمت ترجمته : انظر ص : ٨٥ .
٦ – البيتان من المنسرح .

٤٤ ــ عبد الله بن محمد بن يزداد [١]

كتب أبوه [٢] للمأمون ووزر له ، وكان هو أيضاً كاتباً ، لكن يغلب عليه القصور ، ولأبيه الشفوف المَعروف خطاً وبياناً ، يَملأان السمع والبصر حسناً وإحساناً .

حكى الصولي قال : جلس المأمون للمظالم ، ومحمد بن يزداد بين يديه ، فأحب بعض من عنده أن يغضّ منه ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أمرت محمداً أن يكتب | كتاباً [٣] | في أمر الزكاة ، يُقرأ على الناس ، فكتب من غير فكرة : « أما بعد فإن الله جعلَ عمودَ الدّين إقامَ الصلاة وإيتاء الزكاة ، وَصَوْمَ شهر رمضان ، فسن رسول الله ﷺ أنه لا شيء في الفضة حتى تبلغ مائتي درهم ، فحينئذ يكون فيها خمسة دراهم ، وما زاد فبحساب ذلك ، وأن لا شيء في الذهب حتى يبلغ عشرين ديناراً ، ففيها نصف دينار ، ثم إذا بلغ الأربعين ففيها دينار ، ثم ما زاد فبحساب ذلك ، ولا زكاة على أحد في ماله حتى يحول عليه الحَوْلُ ، فإن ملك بعضه ، وكمل ما ذكرناه في وقت كان ابتداء الحول من يوم كمل فيه ما حُدّ ، ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكم أنْ تَضِلوا واللهُ بكل شيء عليم [٤] ﴾ » وكتب ذلك بأحسن

---

١ ــ انظر الفخري : ١٨٠ والفهرست : ١٢٤ .

٢ ــ أبوه محمد بن يزداد (ــ ٢٣٠ هـ) توفي المأمون وهو على وزارته ، وكان كاتباً شاعراً . انظر معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢٤ والأعلام : ٨ / ١٤ .

٣ ــ زيادة من (س) و (ر) .

٤ ــ الآية : ١٧٥ من سورة النساء .

خط ، فقال المأمون : يا محمد إنّا [إنْ [1]] شرِكناك في اللفظ فقد فارقناك في الخط ! فقال : يا أمير المؤمنين إنّك أقرب الناس برسول الله ﷺ ، والمتقلد لأمره ، فمن هناك جاءت المشابهة . وعن غير الصولي أنه قال له : يا أمير المؤمنين إن من أعظم آيات النبي ﷺ أنه أدى عن الله رسالته ، وحفظ عنه وحيه ، وهو أميّ لا يعرف من فنون الخط فناً ، ولا يقرأ من سائره حرفاً ، فبقي عمود ذلك [٥٧] في أهله فهم يشرفون || بالشبه الكريم في نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله ﷺ والوارث موضعه والمتقلد لأمره ونهيه ، فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة ! فقال المأمون : يا محمد لقد تركتني لا آسى على الكتابة ولو كنتُ أُمياً !

وسُعي بعبد الله إلى المتوكل وقد ولاه عملا ، وذُكر له أنه اختان مائة ألف ؛ فلم يطلبه بها ولم يزل بعدُ يُصرّفه [2] ؛ وكان بفارس إذ ولي المستعين الخلافة فاستقدمه ابن الخصيب وزيره ، فاختاره المستعين لوزارته ، وصرف ابنَ الخصيب فضبطَ الأموالَ واشتد على الموالي ، ثم خافهم ، فهرب إلى بغداد ، وولي شجاع ابن القاسم [3] الوزارة ، ثم أُعيد إليها عبد الله بن محمد ثانية .

١ - زيادة من (س) و (ر) .

٢ - صرّفه في الأمر : فوضه إليه .

٣ - شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركي ، قتله الأتراك مع سيده سنة ٢٤٩ هـ انظر اليعقوبي : ٢ / ٦٠٦ والفرج بعد الشدة : ١ / ١٥٠ - ١٥٢ والاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ٢٧ - ٢٨ .

٤٥ ـ أحمد بن محمد بن ثوابة [١]

خاف من المهتدي لِمَا اتُّهم به من اعتقاد الرفض ، وكان يكتب لبعض رؤساء الأتراك [٢] ، فاستتر ونُودي عليه ، ثم شُفع فيه ، فرضي المهتدي عنه ، وخلع عليه أربع خلع ، وقلده سيفاً ، ورجع إلى حاله .

وجرى بين ابن ثوابه وبين أبي الصقر [٣] اسماعيل بن بلبل كلام [٤] في دار صاعد بن مخلد الوزير [٥] ، فقال اسماعيل لابن ثوابه : حُكمك واللهِ ان تُشَدَّ وتُحَدَّ ، فقال له : يا جاهل أما علمتَ أنه من يُشدُّ لا يُحدّ ، ومن يُحدّ لا يُشدّ ! وجرى له معه أيضاً غير هذا ، فحمي أبو العيناء لاسماعيل وانتصر له من ابن ثوابة فقال : ما استبّ اثنان إلا غلب ألأمُهما ! فقال أبو العيناء : فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر [٦] ! فلما ولي الوزارة أبو الصقر ، دخل عليـه ابن ثوابة ووقف بين يديه،

---

١ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب (ـ ٢٧٧ هـ) تولى كتابة الإنشاء في دار الخلافة ببغداد سنين كثيرة : انظر معجم الأدباء : ٤ / ١٤٤ – ١٧٤

٢ ـ هو بايكباك التركي وانظر معجم الأدباء : ٤ / ١٤٧ – ١٤٩ .

٣ ـ اسماعيل بن بلبل الشيباني : استوزره الموفق لأخيه المعتمد سنة ٢٦٥ ، ومدحه البحتري وابن الرومي ، وانتهى أمره بأن حبسه المعتمد وقتله . انظر الفخري : ١٨٨ – ١٨٩ .

٤ ـ انظر الخبر في زهر الآداب : ٣ / ٩٠ – ٩١ ومعجم الأدباء : ٤ / ١٥٠ – ١٥١ .

٥ ـ صاعد بن مخلد (ـ ٢٧٦ هـ) من مشاهير الوزراء في الدولة العباسية مات في حبس الموفق . انظر المسعودي : ٨ / ٦٣ والشابشتي : ١٧٥ – ١٧٦ والمنتظم : ٥ / ٦٦ و ١٠١ وثمار القلوب للثعالبي : ٢٣٣ – ٢٣٤ .

٦ ـ انظر معجم الأدباء : ٤ / ١٠٢ .

وجعل يقول[١]: أيها الوزير ﴿ تالله لَقَدْ آثرَكَ الله علينا وإنْ كنا لخَاطِئين[٢] ﴾ فقال أبو الصقر ﴿ لا تثريب عليكم اليوم[٣] ﴾ — أبا العباس — يغفر الله لكم ! ثم رفع محلّه وولاه، وما قصّر في الإحسان إليه والإبقاء عليه مدة وزارته .

٤٦ — الحسن بن رجاء [٤]

كان من جلّة[٥] الكتّاب، ونشأ في خلافة المأمون، فدخل يوماً بعض الدواوين فنظر إليه وهو غـلام [جميل[٦]] وعلى أذنه قلم، فقال : من أنت يا غـلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين، || الناشيء في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّلُ [٥٨] لخدمتك الحسنُ بن رجاء، خادمُك وعبدُك ! فقال المأمون : أحسنتَ يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ؛ وأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .

وحكى الصولي في (كتاب الأخبار المنثورة[٧])، من تأليفه، قال : كان الحسن بن رجاء الكاتب يهوى جارية من القيان، وكان اسماعيلُ بن بلبل يهواها،

١ — انظر الخبر في معجم الأدباء : ٤ / ١٥١ .

٢ — الآية : ٩١ من سورة يوسف .

٣ — الآية : ٩٢ من سورة يوسف .

٤ — الحسن بن رجاء (انظر ما تقدم : ص ٩١ الحاشية : ٥) وانظر الطبري : ٣ / ١٣١٤ والأغاني : ٦ / ١٩٨ — ١٩٩ والفهرست ١٦٦ وأخبار أبي تمام : ١٦٧ — ١٨٢ .

٥ — رواية (س) و (ق)، وفي (ر) : جلة .

٦ — زيادة من (س) و (ر)

٧ — لم يصل هذا الكتاب إلينا، ولم يذكره ابن النديم في ثبت مؤلفاته . انظر الفهرست : ١٥٠ — ١٥١

فكانا يتنافسان فيها ، فلما تقلّد اسماعيل الوزارة ملك الجارية وأحسن إليها ، ثم سألها يوماً : هل في نفسك شيء لم تبلغيه ؟ فقالت : قد بلغتُ كل ما أُحب وزيادة ، ولم يبق في نفسي إلا قدح بلّور مصنوع مورّد كان عند الحسن بن رجاء ، فكنت إذا زرتُه ناولَنيه ، فتقدّم أبو الصقر إلى أبي بكر ابن أُخته بإحضار الحسن ومطالبته بالقدح عفواً أو عسفاً ، فركب أبو بكر إليه ، وجلس عنده ، فحادثه ثم قال له : قد جئتُك في حاجةٍ وما أحسبك تردني عنها ، فقال له : كل ما عندي فلك ! قال : قدح البلور المورّد تمنحني إياه . قال : قد انكسر ! قال: فأعطني كسره! فقال : ماظننت أني أُطالب بزجاج قد انكسر فأحتفظ به ! فقال : إنّ هذا الرجل قد صارت له يد وسلطان ، ولأنْ تُهديه إليه وتمتنّ عليه أحسنُ من أن تكاشفه وتعاديه ! فقال : أمّا لسؤالك فأفعلُ ، ولكن على شريطةٍ ، توصل لي معه أبياتاً ، فقال : أفعلُ ، فأنفذ إليه القدح ومعه رقعةٌ فيها أبيات[1] :

سلّم عَلَى أربُعٍ بالكرخ تَقْلاها — من أَجلِ جاريةٍ فيهنَّ أَهواها

تمكنتْ نُوَبُ الأيّام منكَ بها — والدهرُ إنْ أسلفَ الحسنىٰ تقاضاها

يا بؤسَ قلبكَ ما أقصىٰ مراميَه — وَشَجْوَ نفسك ما أدنى بلاياها

وطيبَ عيشٍ مضىٰ ما كان أحسنَه — لو أنّ أيامنا منه نُمَلّاها

إليكَ أشكو أبا بكرٍ هوىً بجوىً — أطعتُه مُرْضياً نفسي فعاصاها

ه — الأبيات من البسيط .

فَأَسْعِدِ الصبَّ إنْ كنت امرأً غزلا | واعطف على ذي البلا إن كنت أوّاها
قد جاءك القدحُ المسلوبُ بهجتُه | مُذ حِيلَ دون التي أدنتْ له فاها
خذه إليكَ عزيزاً أن يُجادَ به | لو أن إحدى ليالينا كأولاها

فلما قرأ اسماعيلُ الأبيات وأخذ القدح رقّ له ، فقلّده أصبهان [وأخرجه إليها[1]] .

٤٧ – عيسى بن الفاسي

[٥٩] كتب لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل في وزارته للمعتمد ، وكان قد امتُحن بصاعد بن مخلد الوزير قبل أبي الصقر ، ورجا الحسنَ بنَ مخلد ، فلما ولي لقي [منه أكثر مما لقي[2]] من صاعد فقال في ذلك[3] .

أَقيك بنفسي سوءَ عاقبةِ الدهرِ | أَلستَ ترى صرفَ الزمان بما يَجْري
يُصاب الفتىٰ في اليوم يأمَنُ نحسَه | وتُسعدهُ الأيامُ من حيثُ لا يدري
وقد كنت أبكي من تحاملِ صاعدِ | وأشكو أموراً منه ضاق بها صدري
فلمّا انقضت أيّامه وتبدلتْ | بأيّامِ ميمونِ النقيبةِ والذكرِ

١ – زيادة من (س) و (ر) .
٢ – زيادة من (س) و (ر) .
٣ – الأبيات من الطويل .

سَرَتْ أَسهُمٌ منه إليَّ أَمنتُهـــا ... ولو خِفتُها داريتُها قبل أَنْ تسرِي

وذكَّرني بيتاً من الشعرِ سائراً ... وقد تُضرَبُ الأَمثال في سائر الشعرِ

عتبتُ عَلَى عمرو فلمّا فقدْتُهُ ... وجرَّبتُ أقواماً بكَيْت عَلَى عمرو

وقال أيضاً في صاعد وقد قرأ كتاباً على الموفّق فلم يفهم [بعض [1]] ما فيه ، وفهمه الموفق [2] :

أَرىٰ الدهر يمنعُ من جانبهْ ... ويُهدي الحظوظَ إلى عائبهْ

ومن عَجَبِ الدهر أنَّ الأَميـــرَ ... أَصبحَ أَكتبَ من كاتبهْ

كذا في كتاب ابن عبدوس [3] ، وفي (اليتيمة) لأبي منصور الثعالبي : أن أبا بكر الخوارزمي نسب هذا الشعر الى البحتري [4] في محاورة جرت بينه وبين الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عبّاد أثناء مسامرة ، فقال الصاحب للخوارزمي وقد أعجبه تنظيره [بذلك [1]] : جوّدتَ وأحسنتَ ، هكذا يكون الحفظ !

وروى يموتُ بن المزرّع عن أبيه قال : كان عيسى بن الفاسي يكتب لأبي الصقر اسماعيل بن بلبل ، وكانت له جارية يُحبها ، فاصطبح معها ذات يوم فهو في

١ – زيادة من (س) و (ر) .

٢ – البيتان من المتقارب وهما في ديوان البحتري : ٢ / ١٧٩ وفي اليتيمة : ٣ / ٢٥٦ .

٣ – ليس الخبر فيما طبع من كتاب الجهشياري .

٤ – البيتان من قصيدة في ديوان البحتري يهجو بها أبا غانم : ٢ / ١٧٩ .

صَبوحه حتى وافاه رسول اسماعيل في مُهِمّ له ، فكتب إليه [١] :

هبني لجاريتي وأرحم تفرُّدَها	بالوجدِ إنْ غبتُ عنها أيها الملكُ
فقد غدونا وسترُ الله مُنسَدِلٌ	والتامَ ما بيننا وانحلَّتِ التكك

فحلف اسماعيل أنه يقيمُ عندها ثلاثةَ أيام ، ووجّه إليه بطيبٍ ومالٍ وكسوة .

٤٨ — عبد الله بن محمد الزّجالى [٢]

قال أبو مروان بن حيّان بن خلف بن حيّان في كتابه (المقتبس من أنباء أهل الأندلس [٣]) : [٦٠] كان الأمير [عبد الله [٤] يعني] عبد الله بن محمد [٥] بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، قد عزَل عبد الله بن محمد الزجّالي عن خُطّتي الوزارة والكتابة في بعض أوقاته لموجدة وجدها عليه ، ثم أقاله بعد مُدَيْدة ، وأعاده إلى خطته ، وكان محبّباً في الناس فأبدوا فرحاً لرجعته ، وقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر من أبيات [٦] :

١ — البيتان من البسيط .

٢ — مات سنة ٣٠١ هـ . انظر البيان المغرب : ٢ / ١٦٥ ،

٣ — طبع من الكتاب الجزء الثالث ، وهو لا يحوي هذا الخبر .

٤ — زيادة من (س) و (ر) .

٥ — انظر سيرته وأخباره في البيان المغرب : ٢ / ١٢٠ — ١٥٦ .

٦ — الأبيات من المنسرح .

يا ملكاً يزدهي بـه المنبرْ — والمسجد الجامع الذي عمَّرْ

خليفـةُ الله في بريتـه — يُسِرُّ للنـــاس مثل ما يجْهَرْ

ياقمرَ الأَرضِ إن تَغِبْ فلقد — أقمتَ للناسِ كوكباً يُزْهِرْ

ما فرح النـاسُ مثلَ فرحتهم — لمّـا أُقيل الاديبُ واستُوزِرْ

وابتهج المُلكُ حين دبَّره — عينُ الإمام التي بهـا يُبْصِرْ

قطبٌ عليه المدارُ أَجمعُـهُ — في الأَمرِ والرأيِ كلما دبَّرْ

لم يزل البيتُ طولَ غيبتــهِ — أعمىٰ فلمّـا استوى به أَبصرْ

وقال ابنُ عبد ربه في ذلك أيضاً مما لم يذكره ابنُ حيان [١] :

تجددَتِ الدنيا وأَبدَتْ جمالَهَـا — وردَّت إلينا شمسها وهلالهَــا

عشيةَ يومِ السبتِ جاءت بنعمةٍ [٢] — منَ اللهِ لا يرجو العدوّ زوالها

بها جبر الله الـكسير منَ العلا — وأَدركَ منهُ عثرَةَ فأقالهــا

فأَشرقتِ الآفاقُ نوراً وبهجةً — ومدت علينا بالنعيمِ ظلالها

بتجديدِ عبد اللهِ أَعظمَ دولةٍ — لمولاهُ عبدِ اللهِ كان أزالها [٣]

ولمّا تولت نضرة العيشِ ردَّها — فآلت إلى العبد القديمِ مآلهـا

---

١ — الأبيات من الطويل .

٢ — رواية (س) و (ر) : ببيمة .

٣ — رواية (س) و (ق) ؛ وفي (ر) : أناالها .

فتىً نشأت من كفه دِيَمُ الندى فظلت سِجالُ الرزق تجري خلالها
ترى الجودَ يجري من فريدِ عينِهِ كصفحة هنديٍّ أَرتْكَ صِقالها
ولو نيطَ من نجم السماء فضيلةٌ لمَدَّ إليها الكفَّ حتى ينالها

ومحمد بن سعيد الزجّالي والدُ عبد الله هذا هو أول من رأس من هذا البيت وجَلَّ بالكتابة وأورثها عقِبَه ، وكانت نباهتُه ورياستُه بعلمه وبيانه [١] ، كأحمد بن يوسف وابن الزيات وطبقتهما ، ويُعرف بالأصمعي لعنايته بالأدب وحفظ اللغة .

ويُذكر في سبب اتصاله بالسلطان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم [٢] عثرت [٦] به || دابتُه ، وهو في غزاة ، فأنشد متمثلاً [٣] :

وما لا ترى مما يقي اللهُ أكبرُ

وطلبَ صدرَ البيت فعزب عنه ، فسأل أصحابه عنه فأضلّوه ، وأمر بسؤال كل من اتّسم بمعرفة في عسكره ، فلم يُلفَ أحدٌ يقِفُ عليه غير محمد بن سعيد هذا ، فقال : أصلح الله الأمير ، أول البيت :

نرى الشيءَ ممّا نتّقي [٤] فنهابُه

فأعجب الأميرَ عبدَ الرحمن ما كان منه ، وراقه بيانه ، فاستخدمه .

---

١ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : ولسانه .
٢ – انظر البيان المغرب : ٢ / ٨٠ – ٩٣ .
٣ – شطر بيت من الطويل .
٤ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : يُتّقى .

٤٩ ـ عبيد الله بن سليمان بن وهب [1]

لما تقلد المعتضدُ أبو العباس أحمد ولاية العهد بعد وفاة أبيه الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل ، وذلك يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين في آخر خلافة المعتمد بن المتوكل ، أقرّ أبا الصقر اسماعيلَ بن بلبل على ما كان عليه من الوزارة والتدبير ، إلى يوم الاثنين بعده ، ثم قبض عليه وعلى أبنائه [2] وحاشيته ، وانتُهبت منازلُهم ، وطلب ابنَ الفرات [3] ، فاستتر ، وبعث إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، وكان قبل ذلك بمدة منكوباً من قبل المعتمد ، وأمره بالانصراف إلى منزله والبكور إليه ، ليخلَعَ عليه ، فانصرف في طيّاره [4] ، وبكّر من الغد إلى المعتضد ، فخلع عليه ، وانصرف وبين يديه جميع القوّاد والغلمان .

ولما توفي المعتمد في آخر رجب من سنة تسع وسبعين [5] أخذ البيعة للمعتضد عبيدُ الله بن سليمان على الناس ، فأحسن التدبير ، ونظّم سياسة الأمور ، واستكتب

---

١ ـ انظر ما تقدم : ص ١٢٧ الحاشية : ٢ وهو وزير من أكابر الكتاب (ـ ٢٨٨ هـ) . انظر المطلة الاسلامية : ٤ / ٥٦٠ والمسعودي : ٨ / ١٦٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ .

٢ ـ رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : أسبابه .

٣ ـ انظر خبر ذلك في الترجمة رقم : ٥١ .

٤ ـ الطيّار : نوع من قوارب الركوب السريعة ، كان كثير الاستعمال في دجلة .

٥ ـ مات المعتمد سنة ٢٧٩ .

ابنَه القاسم[1] بن عبيد الله لبدر المعتضد [ي[2]] ، وجلّت حاله ، فاستنابه في العَرْض على المعتضد ، وسعى به بعضُ حسدته ، فلم يقبل المعتضد سعايته ، وحضر عبيد الله ، فدفع إليه السعاية ، فأنشده[3] :

كفايةُ اللهِ خيرٌ من توقّينا ... وعادةُ اللهِ بالإحسانِ تُغنينا

كادَ الوشاةُ ولا واللهِ ما تركوا ... قولاً وفعلاً وَبأساءَ وَتَهجينا

فلم نَزِدْ نحنُ في سِرٍ وفي عَلَنٍ ... عَلَى مقالتنا اللهُ يكفينا

وحُكي أن المعتضد تقدم إليه بأن يوعز إلى القواد وسائر الجند بالخروج إلى الصيد || معه ، وذلك في فصل الشتاء ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لِهؤلاء القوم [٦٢] استحقاقٌ والمالُ عزيزٌ ، ومتى أُمروا بذلك طالبونا بما يُجدّدون به التهم ! فأمسك عنه إلى أن خرج من حضرته ، ثم تقدم إلى خفيف السمرقندي حاجبه بالقبض عليه وأخذ سيفه ومنطقته ، ففعل ذلك . وانصرف القاسم بن عبيد الله من دار بدر فسأل عن أبيه ، فعرف الخبر ، فعاد من وقته إلى بدر ، فتلطّف في الوصول إليه ، وبكى بين يديه ، فركب بدر إلى الدار ، فاستأذن على المعتضد ، فتبسم وعلم ما جاء به ، فوجّه إليه : « لي شُغل مع الحرم[4] » ، فقال بدر : إن معي خبراً

---

١ – يخصص له ابن الأبار الترجمة ذات الرقم : ٥٢ .

٢ – زيادة من (ر) . وتقدم ذكر بدر غلام المعتضد هذا انظر : ص ١٤٤ .

٣ – الأبيات من البسيط .

٤ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : الحريم .

لا يجوز تأخيره ، فوجه إليه : « قد عرفت الخبر فانصرف » فوجّه إليه : إني قد استعملت في هذه الحال مالا يُحَبُّ من الأدب ، ولا بدّ أن أُخاطبه ! فأذن له ، فلما مثل بين يديه حل سيفه وقال : يا أمير المؤمنين ، دمي معقودٌ بدم عبيد الله ، فمتى هممت في أمره بشيء ، أمرتَ فيَّ بمثله ! فقال المعتضد : يبلغُ من مِقداره أن آمره بأمرٍ فيعارضني [فيه [1]] ، ما أنا محتاجٌ إلى رأيه ، وإنما مجراه مجرى من ينفّذ ما آمره به ؛ فقال بدر : ليس يُعاود ولا يجاوز ما تأمره به ؛ فقال : امض فخذه ! فخرج بدر ، فكسر غَلَقَ الحجرة وأخذه ، وتقدّم إليه بترك المعارضة فيما يأمره به .

وكان المعتضد يصف عبيد الله بالدهاء والرُّجْلَة ، فلما أشار إليه بإخراجه مع بدر إلى الجبل ، وقعَ له أنه إنما أراد التخلص والبعد منه ، فقال لبدر : قد استوحشتُ من عبيد الله لالتماسه الخروجَ ، وقد عزمتُ على أن أقبضَ عليه ، وأقلدك خراجها مكانه ؛ فدافعه عن ذلك وراجعه ، وكان أحمد بن الطيّب قريباً منهما ، وكان المعتضد يأنس به ؛ فوقف على كلامهما ، فمضى من فوره فعرّف عبيد الله ما جرى ، بعد أن أحلفه أن يستره ، فقلق عبيد الله ، ولم تسمح نفسه بكتمانه ، فصار من غد إلى المعتضد ومعه ثُلثُ جميع ما يملك من ضيعةٍ وعَقار ومال ، فوضعه بين يديه وقال له : قد جعلتُ لك يا أمير المؤمنين جميعَ ملكي حلالاً طيباً

---

١ – زيادة من (ر) .

وتؤمّنني على نفسي وولدي! فأنكر المعتضد ذلك وسأل عن سبب ما بلغه، فدافعه، فأمسك المعتضد وصرفه، وأحضر بدراً فأسمعه كل مكروه وقال: أنت أخبرتَ عبيد الله، ولم يحصل إلا على فسادنيّته لنا! فحلف له بدر بأيمان صدّقه فيها؛ ولمّا كان من غدٍ حضر عبيد الله، فخلا به وألح عليه أن يعرّفه من الذي رقى إليه ذلك؛ فقال: أخبرني به أحمد بن الطيب. فقال: كذب وإنّما أراد التشوق[1] عندك، فكن على ثقة، فليس لك عندي إلا ما تحبّه. ثم || قبض على أحمد بن الطيب وحبسه في المطامير إلى أن مات. [٦٣]

وقيل إن أحمد بن الطيب المذكور كان يقول للمعتضد: كثيرٌ من الأمور يخفى عليك ويُستر دونك! فقال له يوماً: فما الدواء؟ فقال: تُولّيني الخبر على بدر وعُبيد الله؛ فقال: قد فعلت! قال: فإذ قد فعلتَ فاكتب لي رقعة! فكتب له بذلك، فأخذ التوقيع وجاء به إلى عُبيد الله ليتقرّب إليه، فأخذه عُبيد الله، ثم وثب، فطلبه ابن الطيب فقال: أنا أخرجه إليك؛ ووكّل به في داره وركب إلى بدر، فأقرأه إياه، فدخلا إلى المعتضد، فرمى عبيد الله بنفسه بين يديه وقال له: أنت نعشتني وابتدأتني بما لم أؤمله، وكل نعمة لي منك وبك وتفعل هذا بفلان! فقال: إنه يسعى عليكما عندي فأكره [ذلك[2]] فاقتلاه وخذا ماله؛ فأُدخل في وقته إلى المطامير.

١ – التشوّق: إظهار الشوق.
٢ – زيادة من (س) و (ر).

٥٠ — علي بن محمد بن الفيّاض [١]

كتب للمعتضد، وكان يؤمل وزارته، فلمّا وجه المعتضد إلى عبيد الله وأمره بالبكور إليه ليخلع عليه ويقلّده الوزارة، دخل [٢] في انصرافه إلى عليّ هذا وأعلمه بما فَوّض إليه المعتضد، وسأله معاضدته ومشاركته في أمره، فأجابه إلى ذلك، وتعاهدا عليه، ثم فسد ما بينهما، فلاحاه عبيد الله بحضرة المعتضد وقال له: لمن كتبتَ حتى تدّعي الفصاحة ؟ فقال: ألي تقول هذا ؟ أنت كتبتَ لموسى بن بُغا، وأنا كتبتُ لأمير المؤمنين، فأيُّنا أولى بالفخر !

ويقال إن القواد قالوا لبدر: مولاك ـ رضي الله عنه ـ على ما تعرفه وما له في صدور الناس من الهيبة، وقد أحب أن تستوزر ابنَ الفيّاض، وهو من تعلم في جفائه، فلا يجد الناس بين الخليفة وكاتبه فرقاً [٣] ! فلم يزل بدر يلطف به حتى صرفه عن ذلك الرأي.

وكان لابن الفياض كاتب يكتب لأبي عيسى بن المتوكل، فلما حدثت الحادثة على أبي عيسى قُبض على كاتبه، فاستتر ابن الفياض، فدخل يوماً عبيد الله بن سليمان إلى المعتضد، وكره أن يهجم عليه من ابن الفياض بما يكره، ولا يدري ما يكون جوابه، ولا ما يجده عنده، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد استوحش

١ — أبو الحسن ممدوح البحتري، وهو من أصل فارسي. انظر أخبار البحتري: ١١٧

٢ — رواية (ق) و (س)، وفي (ر): فتوجه.

٣ — رواية (ق) و (ر)، وفي (س) فرجاً.

ابن الفياض لمّا اعتُقل كاتبُ أبي عيسى، لأنه كان يكتب له، وتأمل وجه المعتضد عند ذلك ، فقال له : ابعث إليه وآنسه وأزل وحشته ! فقال : السمع والطاعة ! وأحضره الدار ، فدخل والناس وقوف ينظرون إليه ، فقال المعتضد لما رآه : يا علي نأمر بحبس كاتبك ، لشيءٍ بيننا وبينه من غير || جهتك فتستوحش ! [٦٤] فقال ابن الفياض متمثلاً[١] :

وذلكَ من تلقاء مثلك رائعُ

فتبسّم المعتضد ، وألانَ خطابَه له رفقاً [به ، وإبقاءً[٢]] عليه .

٥١ ـ علي بن محمد بن الفرات[٣]

لما قبض المعتضد على أبي الصقر استتر عليٌّ هذا وأخوه أحمد[٤] وكانا من كتّابه ومتقدمين في الأعمال، ثم ظفر بهما وحبسا ، ودعا بعلي منهما يوماً عبيد الله ابن سليمان ، فجيء به وهو مقيدٌ وعليه جُبّةٌ دَنِسَةٌ[٥] ، فقال : اللهَ اللهَ أيها

---

١ ـ شطر من الطويل ، من بيت للنابغة الذبياني ، انظر ديوان النابغة : ٧٦ .

٢ ـ زيادة من (س) و (ر) .

٣ ـ ابن الفرات أبو الحسن (٢٤١ ـ ٣١٢ هـ) وزير من الدهاة الفصحاء الأدباء . ترجمته وأخباره في تحفة الأمراء للصابي : ٨ ـ ٢٦٥ وانظر المملكة الاسلامية : ٢/ ٤٠٠ والأعلام : ٥ / ١٤١ ـ ١٤٢

٤ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات كان أكتب أهل زمانه وأضبطهم للعلوم والأدب (ـ ٢٩١هـ) انظر ابن خلكان : ٣ / ١٠٠ والأعلام : ١ / ١٩٦ .

٥ ـ الخبر مع بعض الاختلاف في تحفة الأمراء : ٩

الوزير ! وجعل يشكو[١] ما لحقه وأخاه ، فهدّأه وسكّنه ، وأمره بالجلوس ، فلما زال عنه الروع أخذ معه في أمر العمل وما يحتاج إليه ، فاتصل كلامه وانبسط في ذكر الأموال والعمال انبساطَ رجل جالس في الصدر ، وجعل يقول: ناحية كذا مبلغ ما لها كذا ، وهي كذا ، وعاملها فلان من حاله كذا ، وناحية كذا عاملها فلان ينبغي أن يُشَدّ بمُشْرِف أو شريك ، حتى أتى على الآفاق .. فتهلّل وجه عبيد الله وقال له: اعتزل واعمل عملاً بما قلتَ به! فاعتزل عليّ ومعه أحد الكتّاب، فأملى عليه ما طلب وجاء بالعمل ، ثم كلّم الوزير في أمره وأمر أخيه ، فأمر بحل قيودهما والتوسعة عليهما ، وقال لهما : لن يبعد خلاصكما ، وأنا أسأل المعتضد في أمركما ، ارجعا إلى موضعكما ، والتفت إلى من حضر فقال : أرأيتم مثل هذا الفتى قطُّ — يعني ابن الفرات — والله لا فارقتُ الأمير أو استوهبهما منه ، فإني أعلم أن الملك لا يقوم إلا بهما ، فأطلقهما بعد أيام واستعملهما .

ويقال إن عبيد الله قيل له : إن أردتَ أن يتمشى أمرك فأطلق ابني الفرات واستعن بهما، فنهض إلى المعتضد وأعلمه أن هؤلاء القوم قد داسوا الدنيا وعلموا أعمالها ، قال : وكيف تصلح لنا نيّاتهم، وقد نكبناهم؟ فقال: إذا رددتَ ضياعهم واستخلصتَهم صلحوا ! فقال : إنهم غيرُ مأمونين في السعي عليك والإفساد بيني وبينك ، وأمرُهم إليك ، فخرج و [أ][٢] حضر أحمد بن محمد ، فأدناه وآنسه ،

---

١ — رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : يشكو ألماً .

٢ — زيادة من (س) و (ر) .

وقال له : قد استوهبتُك من المعتضد لأستعينَ بك ، وقصّ عليه القصة ، فقال : يتقدمُ الوزيرُ بإحضار الطائي وعليّ بن محمد أخي ؛ فقال : افعل ، فأحضرهما فأخذ دواة ، واعتزل بهما ، فلم يزل هو وأخوه يناظران الطائي على ضمان الكوفة وسوادها وما يتصل بها ، وعلى أن يحمل من مالها كلَّ شهر ستين ألف درهم[1] ، وفي كل يوم سبعة آلاف دينار ، ففعل ذلك وضمّناه ، وأخذا خطّه وجاءا به إلى عبيد الله فسرّه ، وكان ذلك سببَ ارتقائهما إلى أن ولي [عليّ[2]] منهما وزارة المقتدر ثلاث مرات بعد نكبات عظيمة[3] . ولما جلس للمظالم في وزارته الثانية رُميت إليه رقعة فيها[4] : [٦٥]

أَبا حسنٍ عزاءً واحتسابا ... إذا سهمٌ من الحدَثان صابا

فإنَّ اللهَ يأخذ ثمَّ يُعطي ... وإنْ أخذ الذي أعطى أثابا

٥٢ — القاسم بن عبيد الله[5]

عرض على المعتضد في حياة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب ، فلما توفي

١ – رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) : دينار .
٢ – زيادة من (س) و (ر) .
٣ – تفصيل ذلك في تحفة الأمراء : ٢٢ – ٣٨ وابن خلكان : ٣ / ٩٧ .
٤ – البيتان من الوافر .
٥ – القاسم بن عبيد الله (٢٥٨ - ٢٩١ هـ) وزير المعتضد والمكتفي . وهو من الكتّاب الشعراء . انظر المعلمة الإسلامية : ٤ / ٥٠٦ ومعجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٧ والأعلام : ٦ / ١١ .

عبيد الله كتب إلى المعتضد رقعة يُعرِّفه بذلك منها : « ولما أفقتُ[١] من هذه الصدمة التي وقعت عليّ ، لم آمن أن يدخل عليّ الخلل الواقع في أوائل الحوادث ، وكرهتُ أن أُحدثَ شيئاً من الأعمال دون علم رأي أمير المؤمنين سيدنا ، فتوقفتُ ليأتيني من أمره ما يكون عملي بحسبه ! » فأجابه المعتضد : « أستمتعُ اللهَ النعمة ببقائك ؛ وصلَ كتابُك بالحادث العظيم — واللهِ — عندي ، فأورد عليّ ما أقلقني وأرمضني وأبكاني وبلغ مني ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله أحتسب أبا القاسم ، وإياه أسألُ أن يغفر له ، وما مضى مَن مِثلُكَ وراءه ، ولستُ أشك فيما نزل بك ، وحقيق عليك ، ولست ممن يحتاج إلى وصية ، فبحياتي عليك لَما تعمل بنفسك عملاً يضر ببدنك[٢] ، وأَخْرِجِ اللوعةَ بالبكاء ، فإن فيه راحةً وفرجاً ، ودع تجاوز ذلك إلى غيره ؛ وأما الأعمال التي استأذنتنا فيها فتقلّدها ونفّذها ، وأجْرِ الأمورَ على ما كان أبوك يُجريها عليه ، وأحذُ حذوه ، واسلُك طريقه ، فإني أرجو زيادتك ، ولا أخشى إضاعتك إن شاء الله ! » .

وبعث المعتضد من صار إليه من خدمه بالقاسم في غد ذلك اليوم ، وكان نازلاً بالثريا ، فلما رآه عزّاه عن أبيه ، وبسطه[٣] وآنسه ، وقال : ثق بما لك عندي فإن الثقة[٤] بذلك تُوفي على المصيبة وإن عظمت ! ثم خلع عليه للوزارة ، فخرج معه

---

١ – رواية (ق) ، وفي (س) و (ر) : وقفت .
٢ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : بيديك .
٣ – بسطه : جرّأه وسرّه .
٤ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) النعمة .

بدر وجميع القواد والجيش حتى صار إلى منزله .

ولما توفي المعتضد في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين [ومائتين [1]] بعد سنة كاملة من وزارة القاسم ، أخذ البيعة للمكتفي ابن المعتضد على النـــاس ، واستقامت الأمور وعظمت هيبته وجلّ شأنه .

وكان من رأي بدر توليه عبد الواحد[2] بن الموفق ، فخالفه القاسم ، ثم خافه فأغرى به || المكتفي حتى قتله[3] . [٦٦]

وذُكر أن المعتضد أحب أن يستكتب أحمد بن محمد المعروف بجَرادة ، بعد وفاة عبيد الله بن سليمان ، فألح [عليه[4]] بدر يقبل الأرض بين يديه ويقول : تربيتُك وصنيعتُك القاسم ! فيقول له المعتضد : القـاسمُ حَدَث غِرٌ وجرادة شيخ مجرّب ! فلم يزل به إلى أن قال : اختر عشرة آلاف دينار أو القاسم ! فاختار أمر القاسم ؛ فقال له المعتضد : واللهِ لايقتلَك غيرُه ! فكان كما قال .

واستثقل المكتفي بعد ذلك القاسم ، وأنكر قلة وفائه لبدر ، وعزم على صرفه وتقليد غيره ، فبلغه ذلك ، فصار إلى المكتفي ، ورمى بنفسه بين يديه ، وقال : قد قمت ببيعتك وأنت غائب . . وذكر أشياء من خدمته توجب حرمته ،

---

١ - زيادة من (ر) .
٢ - في (ر) : عبد الرحمن بن الموفق وهو خطأ ، وانظر الطبري : ٣ / ٢٢١٦ .
٣ - انظر تفصيل خبر مقتل بدر غلام المعتضد في حوادث سنة ٢٨٩ في الطبري : ٣ / ٢٢٠٩ - ٢٢١٠
٤ - زيادة من (س) و (ر) .

ثم قال : وهذه رقعة بجميع ما أملك ، لك كله ، وأمنّي ، ولا تسلمني إلى عدوّي!
فقال المكتفي : وما السبب في هذا الكلام ؟ فأخبره بمن حكى عنه ذلك ،
فعرف صحته وغاظه وقال : ما من ذلك شيء ، وإنما أردتُ تولية الدواوين !
واحتال القاسم في إتلاف المرشح لمكانه [1] من كتّاب المكتفي ، فتم
له ذلك .

وقال الصولي : لعَهْدي بالقاسم قد حَلّ سيفه ومنطقته بين يدي المكتفي
وهو يتقلّب بالأرض ويقبّلها ، والمكتفي يطيّبُ نفسه ؛ قال : ثم مضى المكتفي
إلى حرب القرمطي والقاسم معه ، فكانت له في ذلك آراء مشهورة أدّت إلى الظفر
به . وركب مع المكتفي يوم دخولهم بالقرمطي ، وكان من أيام الدنيا ، وذلك
في سنة إحدى وتسعين ومائتين [2] . قال : وسأل القاسم المكتفي أن يشرفه
بتزويج ابنه محمد بنته [3] ، فأجابه ومهرها مائة ألف دينار ، فخلع عليه القاسم وعلى
أهل الدولة ، ولُقّب بوليّ الدولة ، وكان يكتب عن نفسه : « من وليّ الدولة أبي
الحسين القاسم بن عبيد الله » وأمر أن تُؤرّخ [4] الكتب عنه بأسماء أصحاب
الدواوين ، وهذا ما كان قط إلا لخليفة .

١ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : لذلك .
٢ – تفصيل الخبر في حوادث هذه السنة عند الطبري .
٣ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : لبنته .
٤ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : تروح .

علي بن عيسى بن الجرّاح[١]

كتب للقاسم بن عبيد الله هو والعباس بن الحسن[٢] ، وأشار القاسم وهو في آخر علّته على المكتفي باستكتاب أحدهما ، فقدّم العباس للوزارة ، وكان عليّ زاهداً متواضعاً حافظاً للقرآن ، عالماً بمعانيه وإعرابه ، وله في ذلك تأليف[٣] ، وقد حمَل عن أبيه الحديث ، وله بلاغات لا تُعرف لغيره من الكتّاب ، ثم وزر للمقتدر غير مرة في أول خلافته وآخرها ، ولم يكن يهوى ذلك ، بل كان يحب الاعتزال ، ويقول : ما كنت أحتسب بمقامي || في هذا الأمر إلاّ أني مجاهد [٦٧] في سبيل الله ، خوفاً من فتنة لا تُبقي ولا تذر .

ولما ضبط أمر الملك ، ومنع الأيدي من الظلم ، اشتد ذلك على من اعتاده[٤] ، فطولب ولم يعبه أعداؤه بشيء سوى قولهم : إن شغله بمحقرات الأمور تشغله عن جليلها ، لأن زمانه لا يفي بذلك ، إلى أن صُرف وحُبس حبساً كريماً ، فكتب في نكبته عدة مصاحف ، وكان يحمل في وزارته إلى بيت المال ما يرد عليه مما

---

١ - علي بن عيسى بن داود بن الجراح (٢٤٤ - ٣٣٤ هـ) وزير المقتدر والقاهر ، فارسي الأصل ، من أهل بغداد ، شهر بزهده وعفته وعلمه . انظر المملكة الاسلامية : ٢ / ٣٩٤ وتاريخ بغداد : ١٢ / ١٤ - ١٦ والأعلام : ٥ / ١٣٣ - ١٣٤ .

٢ - العباس بن الحسن (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) أديب بليغ ، وزر للمكتفي بعد وفاة القاسم بن عبيد الله . انظر الأعلام : ٤ / ٣٢ والفخري : ١٩٢ .

٣ - له كتاب « معاني القرآن » أعانه عليه ابن مجاهد المقرىء . انظر الأعلام: ٥ / ١٣٣

٤ - رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : اعتاد .

كان الوزراء قبله يرتفقون به ؛ فقال المقتدر : قد استحييت من الله في مال عليّ ابن عيسى ، فإني أخذته ظلماً ، وأحاله به على مال مصر ، فاشترى به ضياعاً ووقفها على مكة والمدينة .

ولما استقدم من مكة بعد إخراجه إليها [١] ، والوزير إذ ذاك أبو عليّ محمد ابن عبيد الله بن يحيى بن خاقان [٢] ، وقد تُبين عجزه ، خُلع عليه وقُدّم للوزارة ، وأُمر بالقبض على محمد وابنيه عبيد الله وعبد الواحد ، وكانوا قد ركبوا إلى دار الخلافة وَوُعدوا أن يُسلَّم إليهم فسلموا إليه ، فأطلق عبد الواحد وقال : إنه مظلوم ؛ وعامل محمداً وعبيد الله أحسن معاملة ، ورفق بهما ، وكانا قد أرادا قتله في طريق مكة ، فلم يمكنهما فيه حيلة .

وَرُفع إليه أنّ رجلاً من جلساء عبيد الله قال : إن علي بن أبي طالب قُتل ، فَمَنْ علي بن عيسى حتى لا يُقتل ! فما زاد علي أن قال : أما اتقى الله ولا خافه !! ثم كان يقضي حوائج ذلك الرجل ويُثني عليه ؛ فلما جلس للنــــاس ورأى تكاثرهم تمثّل [٣] :

ما الناسُ إلاّ مع الدنيا وصاحبها ... فكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا

يُعظّمون أخا الدنيا فإن وثبت ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

---

١ - انظر بعض أخباره في فترة نفيه إلى مكة في تاريخ بغداد : ١٢ / ١٤ - ١٥ .

٢ - انظر أخباره في تاريخ الوزراء للصابي : ٢٦١ - ٢٨٠ .

٣ - البيتان من البسيط .

وكان عليّ بن بسّام (١) قد هجاه لما نُفي إلى مكة ، فلما رُدت إليه الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت به في جُملة القِصص رقعةٌ مكتوبٌ فيها (٢) :

وافى ابنُ عيسى وكنت أَضْغَنُهُ أَشدُّ شيءٍ عليَّ أَهونُهُ

ما قدَّر اللهُ ليسَ يدفعه وما سواه فليس يمكنُهُ

فقال علي بن عيسى ، صدق هذا ابنُ بسّام ، والله لا نالَه مني مكروهٌ أبداً .

وأنشد الصولي مما هُجي به عليُّ بنُ عيسى في نكبته (٣) :

أَيّامكم يا بني الجرّاح قد جرحتْ كلَّ القلوب ففيها منكمُ نارُ

لا متّع اللهُ بالإِقبالِ دولتكم فإِنَّ إقبالكم للنّاسِ إدبارُ

وذكر أنه استُشير بعد عزله في حامد بن العباس (٤) فقال : حاذقٌ بالعمل لا يصلح للوزارة ! فقيل له : قُدِّمَ ! فقال : بارك الله لأمير المؤمنين فيما أمضاه ! ثم عزم عليه || أن يتقلّدها فأبى ، لِما نصح [فيها (٥)] ، فلم ينفعه ذلك ، فقيل له : فاخرُجْ تُعاونْ حامداً ، فيكون له الاسم ولك العمل ! فأجاب بعد امتناع طويل. وقيل لحامد : إنّا جعلنا عليّ بن عيسى عوناً لك ، فشكر ذلك ، وذكره بخير ، ومشى أمر المملكة على هذا خمسة أعوام في حسن سيرة وإنصاف من ظالم ، وعليٌّ [٦٨]

---

١ – علي بن محمد بن بسام (– ٣٠٢ هـ) وأخباره في معجم الأدباء : ١٤ / ١٣٩ – ١٥٢ .

٢ – البيتان من المنسرح وهما مع خبرهما في معجم الأدباء : ١٤ / ١٤١ .

٣ – البيتان من البسيط .

٤ – انظر الفخري : ١٩٩ .

٥ – زيادة من (س) .

ابن عيسى يدبّر ذلك كله . وطمع حامد في الاستبداد ، وتضمّن علياً بمال عظيم فلم يقدر على ذلك .

٥٤ ـ أبو جعفر البغدادي [١]

لحق بالمهدي عبيد الله الشيعي [٢] في أول تغلّبه على إفريقية وإثْرَ البيعة له برقّادة [٣] ، فولاّه أموراً خفيفة ، ثم صار البريدُ وكتابةُ السلطان إليه ، وفسد ما بينه وبين عروبة الكتامي ، وهو حينئذ المستولي على المملكة العُبيدية ، وأغراه به جماعةٌ ، فصار البغدادي إلى خوف شديد ، وكان يتوقع الموت في كل يوم ، إلى أن قُتل الكتامي منافقاً ، وجيء برأسه إلى رقّادة ، وقُتل أخوه وأهل بيته [٣] ، وتمكن البغدادي من أعدائه ، وجلّت حاله عند عُبيد الله حين انتقاله إلى المهديّة ، وانقطعت السعاية به ، وتمادت حُظوته إلى آخر أيامه ، وولي ابنه القائم [٤] ، فأبقاه على حاله مدة .

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن أحمد البغدادي . انظر البيان المغرب : ١ / ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ .

٢ ـ عبيد الله بن محمد من ولد جعفر الصادق (٢٥٩ - ٣٢٢ ﻫ) مؤسس دولة العلويين في المغرب ، وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر ، وأحد الدهاة . انظر الأعلام : ٤ / ٣٥٣ والبيان المغرب : ١ / ١٥٨ - ١٥٩ .

٣ ـ رقّادة : عاصمة أواخر ملوك الأغالبة ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، وسكنها المهدي سنة ٢٩٧ إلى أن انتقل بدولته إلى المهدية سنة ٣٠٨ ﻫ . انظر معجم البلدان : ٣ / ٥٥ ، ٥٦ .

٤ ـ انظر تفصيل ذلك في البيان المغرب : ١ / ١٧٢ .

٥ ـ القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله الفاطمي (٢٧٨ ـ ٣٣٤ ﻫ) بويع بعد موت أبيه سنة ٣٢٢ ﻫ وهو ثاني ملوك الدولة الفاطمية العبيدية . الأعلام : ٧ / ١٤٠ والبيان المغرب : ١ / ٢٠٨ - ٢١٠ .

٥٥ ـ عيسى بن فُطَيْس[١]

كان عبد الرحمن بن محمد الناصر[٢] أميرُ الأندلس قد ولاّه الكتابة العليا في حياة أبيه فُطَيْس[٣]، وأبوه إذ ذاك صدرٌ في وزرائه، فلما عزَل الناصرُ للنصف من شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثلاثمائة جميع وزرائه بسببٍ أنكره عليهم، إلا رجلين منهم: أحمدَ بن عبد الملك بن شُهَيد[٤] ذا الوزارتين[٥]، وهو أول من ثُنِّيت له بالأندلس، وأحمدَ بن محمد بن إلياس القائد، ولّى في آخر هذه السنة عيسى بن فطيس الوزارة مكانَ أبيه، مُضافةً إلى الكتابة، ثم عزله عنهما جميعاً بعد خمسة أيام من جمعهما له. وولّى الكتابةَ عبدَ الرحمن بن محمد الزجّالي، ثم وَجّه فيه — وقد برز مع الناس لشهود الاستسقاء، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأخرى سنة ثلاثين — فجيء به من المصلّى، وأُقعد في بيت الوزارة، وتمادى || له ذلك مع زيادة الحُظوة إلى آخر خلافة الناصر. [٦٩]

---

١ – عيسى بن فُطَيْس بن أصبغ، وبنو فطيس أسرة مشهورة وليت الكتابة والوزارة بالأندلس. انظر الأعلام: ٥ / ٣٦١.

٢ – الناصر الأموي (٢٧٧ – ٣٥٠ ﻫ) أول من تلقب بالخلافة في الأندلس. حكم خمسين سنة وستة أشهر. انظر الأعلام: ٤ / ٩٩ – ١٠٠ والحلة السيراء: ٩٩ والبيان المغرب: ٢ / ١٥٦ – ٢٣٣

٣ – انظر البيان المغرب: ٢ / ١٩٥، ١٩٧.

٤ – يخصص له ابن الأبار الترجمة ذات الرقم: ٦٢.

٥ – رواية (س) و (ر)، وفي (ق): ذو الوزارتين.

٥٦ ــ أحمد بن سعيد بن حزم [١]

ذكر أبو مروان بن حيان أن المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر [٢] استوزره قبل سائر أصحابه في سنة إحدى وثمانين — يعني وثلاثمائة — في خلافة هشام المؤيد [٣] بالأندلس، واستخلفه أوقاتَ مغيبه على المملكة، وصيّر في يده خاتمه، فلما تناهت حاله في الجلالة، وأمّلته الخاصة والعامة، اتّهمه المنصور بأنه قد زُهي عليه برأيه، وأنِسَ منه عُجْباً بشأنه، فصرفه عن الوزارة وأقصاه عن الخدمة، دون أن يُغيّر عليه نعمة، وكان يقول: والله إن ابن حزم لَلنّصيحُ جيباً، الأمين غيباً، ولكنه زُهي برأيه، وظن أن سلطاني مضطر إلى تدبيره! فتردد في نكبته مدة، ثم أخرجه لينظر في كُوَر الغرب باسم الأمانة، فرَئِمَ [٤] المذلّة وتبرأ من الدالّة، فلما زَكِنَ [٥] المنصور ذلك منه، أعاده إلى حسن رأيه فيه، وصرفه إلى خطته.

---

١ ــ وزير الدولة العامرية (ــ ٤٠٢ هـ) من أهل العلم والأدب والخير، وهو والد الفقيه المشهور أبي محمد علي ابن أحمد، وللأب ذكر في ترجمة ابنه في المعلمة الاسلامية: ٢ / ٤٠٥ وابن خلكان: ٣ / ١٥ - ١٦

٢ ــ الحاجب المنصور ابن أبي عامر (٣٢٦ ــ ٣٩٢ هـ) أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي. انظر الحلة السيراء: ١٤٨ والذخيرة: المجلد الأول من القسم الرابع: ٣٩ ــ ٥٨ والبيان المغرب: ٢ / ٣٠١ والأعلام: ٧ / ٩٩ ــ ١٠٠.

٣ ــ هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر. انظر تفصيل أخباره والحديث عن حركة المنصور الحاجب في البيان المغرب: ٢ / ٢٥٣ ــ ٢٨٣.

٤ ــ رئم المذلة: ألفها، ويقال هو رؤوم للضيم أي أليف له، ذليلٌ راضٍ بالخسف.

٥ ــ زكِنه: علمه وفطن إليه.

وذكر أبو عبيد الله الحميدي [1] وقال فيه: والدُ الفقيه أبي محمد، كان وزيراً في الدولة العامرية ومن أهل العلم والأدب والخير، وكان له في البلاغة يد قوية، وحدّث عن ابنه أبي محمد علي بن أحمد الفقيه قال [2]: أخبرني هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المعروف بابن البَشْتِنِّي [3] من آل الوزير أبي الحسن جعفر ابن عثمان المصحفي عن الوزير أبي — رحمة الله عليه —، أنه كان بين يدي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه للعامة، فَرُفعت له رقعة استعطاف لأمّ رجل مسجون كان ابن أبي عامر حنقاً عليه لجرم استعظمه منه، فلما قرأها اشتد غضبه وقال: ذكّرَتني والله به! وأخذ القلم يوقّع، وأراد أن يكتب: «يُصلب» فكتب: «يُطلق» ورمى الكتاب إلى الوزير، قال: فأخذ أبوك القلم وتناول رقعةً وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة، فقال له ابن أبي عامر: ما هذا الذي تكتب؟ قال: بإطلاق فلان إلى صاحب الشرطة؛ قال: فحَرِدَ [4] وقال: من أمرك [5] بهذا؟ فناوله التوقيع، فلما رآه قال: وهمتُ! والله ليصلبنّ! ثم خطّ على ما كتب، وأراد أن يكتب «يُصلب» فكتب «يُطلق»

١ — صاحب كتاب (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس) وترجمة الحميدي (— ٤٨٨ هـ) في بغية الملتمس رقم ٢٥٧ ص ١١٣ ونفح الطيب: ٢ / ٣١٤ - ٣١٦.

٢ — الخبر في جذوة المقتبس: ١١٧ — ١١٩ وفي بغية الملتمس في ترجمة ابن حزم رقم ٤١١ ص ١٦٩ — ١٧١ وفي وفيات الأعيان: ٣ / ١٦ نقلاً عن جذوة المقتبس.

٣ — انظر ترجمته في بغية الملتمس رقم ١٤٢٤ ص ٤٧٠ والبَشْتِني نسبة إلى قرية بشْتين.

٤ — رواية المصادر، ومعناها: غضب، وفي (ق) و (ر): فخرج، وهو تصحيف.

٥ — في الأصول: أمر.

قال : وأخذ والدك الرقعة فلما رأى التوقيع تمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه ، ونظر إليه المنصور متمادياً على الكتابة ، فقال : ما تكتب ؟ قال : || بإطلاق [٧٠] الرجل ، فغضب غضباً شديداً أشدَّ من الأول ، وقال : من أمرك[١] بهذا ؟ فناوله الرقعة ، فرأى خطه ، فخط على ما كتب ، وأراد أن يكتب « يُصلب » فكتب « يُطلق » فأخذ والدك الكتاب فنظر ما وقّع به ، ثم تمادى على ما كان بدأ به ، فقال له : ماذا تكتب ؟ قال : بإطلاق الرجل ، وهذا الخطُّ ثالثاً ، فلما رآه عجب وقال : نعم يُطلق على رغمي[٢] ، فمن أراد الله إطلاقه لا أقدر أنا على منعه ! أو كما قال .

٥٧ ــ عبد الملك بن إدريس الجزيري[٣]

عتب عليه المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر ، وكان في الغاية من البيان والخطابة ، فصرفه عن الكتابة ، ثم أخرجه من قرطبة واعتقله بإحدى القلاع المنيعة بشرق الأندلس ، فقال في ذلك[٤] :

---

١ ــ في الأصول وجذوة المقتبس : أمر .

٢ ــ في (ر) : على رغم أنفي .

٣ ــ أبو مروان الجزيري (ــ ٣٩٤) وزير أندلسي من الكتاب ، اعتقله المظفر بن أبي عامر حتى مات ؛ انظر الذخيرة (القسم الرابع من المجلد الأول : ٣١ ــ ٣٧) والمطمح : ١٣ ــ ١٤ والصلة لابن بشكوال رقم ٧٥٧ : ١ / ٣٥٠ وجذوة المقتبس : ٢٦١ وبغية الملتمس رقم ١٠٥٨ ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣ ونفح الطيب : ٢ / ١١٩ ــ ١٢١ والأعلام : ٤ / ٣٠١ .

٤ ــ الأبيات من البسيط .

قالوا جفاه ثلاثاً ثم غرَّبه ... فليسَ يرجو لديه حُظوةً أبدا

جاروا وما عدلوا في القولِ بل حكموا ... عَلَى المقاديرِ جَهْلاً لاهُدوا رشدا

أليس يوقِدُ نصلَ السيفِ ضاربُه ... قبل الصِّقالِ مِراراً جمَّةً عددا

حتى إذا ما سقى حدَّيه ربُّهما ... واهتزّ لدنّاً دعاه الصارمَ الفَرَدا

وما المهذَّبُ إلاّ من تعرَّقَهُ ... زمانُه مخطئاً طوراً ومعتمِدا

من لم يذُق طعم بؤساه وشدتها[1] ... لم يدرِ لذَّةَ نعماهُ ولا وجدا

ودون هذا الذي قالوه أقضيةٌ ... لله في حكمه لم يؤتِها أحدا

لابد للقدرِ المقدور من أمدٍ ... يلقاكَ فيه على حتمٍ وإن بَعُدا

وكتب من معتقله قصيدته المشهورة في الناس وأوّلها[2] :

ألوى بعزم تجلُّدي وتصبُّري ... نأيُ الأحبةِ واعتيادُ[3] تذكُّرِ

يقول فيها[4] :

واُعلمْ بأن العلمَ أفضل رُتبةٍ ... وأجل مكتسبٍ وأسنى مفخرِ

فاسلكْ سبيلَ المقتنينَ لهُ تَسُدْ ... إنَّ السيادةَ تُقتنى بالدفترِ

وَبِضُمَّرِ الأقلامِ يبلغُ أهلُها ... ما ليسَ يُبلغُ بالجياد[5] الضُّمَّرِ

---

١ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : وشقوتها .

٢ – القصيدة من الكامل ، ومطلعها وأبيات منها موجودة في صفة جزيرة الأندلس للحميري : ١٢٥ .

٣ – رواية الأصول ، وعند الحميري : واعتاد .

٤ – الأبيات الثلاثة في بغية الملتمس : ٣٦٢ .

٥ – رواية الأصول ، وفي بغية الملتمس : بالعتاق .

وفيها يقول أيضاً يصف المعقل الذي حُبس فيه[١] :

في رأس أجرد شاهقٍ عالي الذرى ما بعده لموَحِّدٍ من مَعْمَرِ[٢]

يأوي إليه كل أعورَ ناعبٍ[٣] وتهبُّ فيه كلُّ ريح صرصرِ [٧١]

ويكادُ من يرقى إليه مرةً في عمره يشكو انقطاعَ الأبهرِ

وفي آخرها يخاطب بنيه :

لا تسأموا إحضارَه رغَباتِكُمْ فهِباتُه مبسوطةٌ لم تُحظرِ

وعسى رضى المنصورِ يُسْفِرُ وجهُه فيديلَ من وجهِ الفراقِ الأغبرِ

فرقّ له المنصور لمّا سمع هذا البيت، وكان سبباً إلى العفو عنه والإحسان إليه .

وقال ابنُ حيان ، وذكر قصة ابن حزم الوزير مع ابن أبي عامر في إدلاله المُفْضي به إلى إذلاله : وفي مثل هذا[٤] السبيل كان غضبه على كاتبه عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري وإقصاؤه له مرةً بعد مرة وتسييرُه له إلى طُرْطُوشة[٥] وكان أكثر من يشركه أعطالاً من الآداب العربية لتوفّرهم على علم العدد ، وانهماكهم في التعاليم الديوانية التي استدرّوا بها الجباية وحصّلوا بها المراتب العالية ، فكان

---

١ – الأبيات الثلاثة التالية عند الحميري : ١٢٥

٢ – اسم المكان من عَمَّر : عمر ربّه : عبده وصلى وصام . وعند الحميري : لمؤمّل من معصر !

٣ – هذا البيت والذي يليه هما أيضاً في المطمح : ١٣ ونفح الطيب : ٢ / ١٢٠ ، وفي الأصول : ناعب ، وفي المصادر الأخرى كلها : ناعق .

٤ – في (س) و (ر) : هذه ، والسبيل يذكر ويؤنث

٥ – بلدة في شرق الأندلس ، بينها وبين بلنسية مسيرة أربعة أيام . الحميري : ١٢٤ – ١٢٥ .

الجزيري يُزري بهم ويحب الاشتمال على ابن [أبي] عامر ، ويتصور فرط حاجته إليه في الإنشاء ، ولم يكن من شأنهم [١] ، فسخط عليه المنصور ، وأقصاه عن حضرته على فرط حاجته إلى خدمته ، وقلّد كاتبه على الحشم ديوان الرسائل ، فاستجزأ [٢] به لذهاب مشيخة كُتّاب الرسائل في الوقت ، ورضي بعد ذلك عن عبد الملك لمّا حمِد حاله في الرياضة ، ولم يزل يتولى له ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور [٣] .

ويقال [٤] : إن المنصور سجنه في مُطْبِق [٥] الزاهرة مدة ، فاستعطفه من الرسائل والأشعار بما أثمر تسريحه ، فكتب إليه [٦] :

عجبتُ من عفو [٧] أبي عامر ... لا بدَّ أنْ تَتبَعَهُ مِنَّهْ

كذلك اللهُ إذا ما عفا ... عن عبده أدخله الجنَّهْ

فسُرَّ المنصورُ بذلك ، وأعاده إلى حاله ، وأطلق له ما اعتقل من ماله ، ثم استوزره بعده المظفرُ [٨] عبدُ الملك بن محمد بن أبي عامر .

---

١ – رواية (س) و (د) ، وفي (ق) : مثلهم .
٢ – اكتفى .
٣ – صاحب المعجب يعده كاتباً ووزيراً للحاجب المنصور . انظر ص ١٩ .
٤ – انظر الخبر في الذخيرة : القسم الرابع من المجلد الأول ص ٣٢ .
٥ – المطبق : السجن تحت الأرض .
٦ – البيتان من السريع ، وهما في نفح الطيب : ١ / ٣٩٥ ، ٥ / ٢٠٧ .
٧ – رواية الأصول ، وفي نفح الطيب : أما ترى عفو ...
٨ – انظر ترجمته في بغية الملتمس رقم ١٠٣٣ ص ٣٦١ .

٥٨ — عيسى بن سعيد القطاع [١]

قال ابن حيـان [٢] : اختلف عيسى إلى الديوان ، وصحب محمد بن أبي عامر وقت حركته في دولة الحكم ، فبلغ به المنـازل الجليلة ، وكان مشهوراً عنـده بيمن النقيبة .

[٧٢] || وحُكي أن ابن أبي عامر كان في مجالس أُنسه بما يعمله من كيده ويُبرمه من رأيه أكلفَ به مما يُدار عليه من طيّب العُقار ويُعلّل به من سحر الأوتار ، ولقد أكثر في ذلك ليلة على كاتبه الأخص عيسى بن سعيد ، وكان أولَ كاتب كتب له قبل ملكه ، فكان ينبسط عليه بسالف [٣] حرمته وقديم صحبته ، فلما باعد بينه وبين شهوته ، وقطع به مدة الليلة عن لذته قال : اللهم غُفْراً ! إما شرابٌ ولذةٌ وإما خدمة ومشقة ، فإذا قد عزمتَ على صلة النهار بالليل ، فأسكتِ المُسْمِعَةَ ولتحضر الخريطة ، ثم أمُرْ بما شئت نقم به على الحقيقة ، فخلطُ الجـد بالهزل مفسدة ، وإنما نستجم بهـذه الساعة الضيّقه لقطع الأوقات الطويلة ! فضحك المنصور وقال : أضجَرْنا عيسى ، وليس منا في شيء ، ومن عدل بالأمر والنهي لذة فقد انتفى من الذكورة ! ثم توفر بقية الوقت على المنادمة .

---

١ — قتله المظفر عبد الملك بن أبي عامر سنة ٣٩٧ هـ . انظر أخباره في الذخيرة : القسم الأول من المجلد الأول : ١٠٢ — ١٠٨ .

٢ — الخبر في الذخيرة ينقله ابن بسّام عن ابن حيان أيضاً . انظر القسم الأول من المجـلد الأول من الذخيرة : ١٠٣ .

٣ — رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) لسالف .

٥٩ ـ خلف بن حسين بن حيان

كان من كُتّاب المنصور [ابن] أبي عامر ، وهو والد أبي مروان حيّان بن خلف[1] صاحب التاريخ ، وأخبر عن نفسه قال : بكّتني المنصور يوماً على بعض ما أنكره مني تبكيتاً بعث من فزعي ما اضطربتُ منه ، فأشفق عليَّ وخفّف عني ، وأنفذني للوجه الذي استنكر فيه بُطئي ، فعُدتُ بتمامه بعد أيام[2] ، فاستوقفني وأخلى مجلسه ، ثم أدناني فقال : رأيتُ من ذعرك ما استنكرت ، ومن وثق بالله بريءٌ من الحَوْل والقوة لله ، وإنما أنا آلةٌ من آلاته ، أسطو بقدرته وأعفو عن إذنه ، ولا أملك لنفسي إلا ما أملك من نفسي لسواي ، فطامِنْ جأشَك فإنما أنا ابن امرأة من تميم ، طالما تقوّتت من غزلها ، أغدو به إلى السوق وأنا أفرح الناس بمكانه ، ثم جاء من أمر الله ما تراه ، ومن أنا عند الله لولا عطفي على المستضعف المظلوم ، وقهري للجبار الطاغي ! ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في (أخبار الدولة العامرية[3]) من تأليفه ، وفي مناقب المنصور محمد بن أبي عامر وهيبته التي لا يُسامح في نقصانها أحداً من ولد ولا ذي خاصة ، حتى حُشيت أحشاءُ الناس ذعراً ، ثم يأتي من كرم الإعتاب بهذا العجب العجاب .

---

١ ـ مات سنة ٤٦٩ هـ . انظر الحلة الاسلامية : ٢ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

٢ ـ رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : تمام .

٣ ـ لم يصل إلينا ، وابن عذاري ينقل عنه في البيان المغرب (١ / ٢ ـ ٣) والمراكشي يذكر لابن حيّان كتاباً بعنوان (المآثر العامرية) انظر المعجب : ٣٦ .

٦٠ ــ أحمد بن علي الجرجرائي أبو القاسم (1)

[٧٣] نكبه الحاكم بن العزيز العبيدي (2) صاحب مصر وأمر به فقُطعت يداه جميعاً لجناية جناها أو تجنّاها هو عليه ، فما ارتاع لما أصابه . وحُكي (3) عنه أنه عصب يديه إثْرَ قطعهما وانصرف إلى ديوانه فجلس لخدمته على عادته وقال : إن أمير المؤمنين لم يعزلني وإنما عاقبني لجنايتي (4) ! فجعل الناس يعجبون منه ، وكان جلداً حازماً ضابطاً داهيةً فصيحاً ، فلمّا بلغ ذلك الحاكم [استعظمه (5)] له ، وشرُفَ به لديه ، ورق على فظاظته لما نزَل به ، فرقاه إلى الوزارة ، وإنما كان قبلُ في أحد الدواوين ، فوزر له بقية أيامه ، ثم لابنه الظاهر (6) مدة [ولايته (5)] ثم لابنه المستنصر (7) ابن الظاهر نحواً من ثماني سنين .

وأراد المعز بن باديس الصنهاجي (8) صاحب القيروان مكايدته ، فجعل يكاتبه

---

١ ــ الجرجرائي (ــ ٤٣٦ هـ) واسمه في الأعلام : علي بن أحمد أبو القاسم أصله من جرجرايا بالعراق وسكن مصر ، ووزر للحاكم الفاطمي والظاهر والمستنصر . الأعلام : ٥ / ٨٥ ، وانظر البيان المغرب : ١ / ٢٧٦ وفي أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لابن حماد وفاتة في ٤٨٦ . انظر ص ٥٧ .

٢ ــ انظر أخبار ملوك بني عبيد : ٤٩ ــ ٥٨ .

٣ ــ انظر المصدر السابق : ٥٧ .

٤ ــ رواية الأصول ، وفي أخبار ملوك بني عبيد : لخيانتي .

٥ ــ زيادة من (س) .

٦ ــ انظر سيرته في أخبار ملوك بني عبيد : ٥٨ .

٧ ــ انظر المصدر السابق : ٥٩ .

٨ ــ انظر أخباره في البيان المغرب : ١ / ٢٧٣ ــ ٢٩٦ .

مستميلاً له ومعرضاً بالتحدث معه على بني عبيد الله ، وكتب له بخطه قطعة يتمثل بها ، منها [١] :

وفيك صاحبتُ قوماً لا خلاقَ لهم ‏ ‏ لولاك ما كنت أدري انهم خُلقوا

فقال الجرجرائي : ألا تعجبون من هذا الأمر ؟ هذا صبيٌّ مغربي بربري يحب أن يخدع شيخاً بغدادياً عربياً ! وإنما اتهمه بفعل [٢] ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم إنْ عُثر على هذه الرموز ؛ ثم قال : والله لا جيّشتُ إليه جيشاً ، ولا تحمّلتُ في إهلاكه [٣] نصباً ، وأباح للعرب العبور بمجاز النيل من جهة قبائل الأعراب [٤] ، وكان ذلك محظوراً ممنوعاً ، وجعل لكل عابرٍ منهم فرواً وديناراً ، فأجاز منهم خلقاً عظيماً من غير أن يأمرهم بشيء لعلمه أنهم لا يحتاجون إلى وصاة ، وأقاموا بناحية بُرقة وما جاورها ، ولم يكن لهم أثرٌ أمداً طويلاً ، ثم قدم منهم مؤنس بن يحيي الرياحي إلى القيروان فسكنها أعواماً ، وآل أمرهم إلى أن هزموا المعز بن باديس ثاني عيد الأضحى سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة في ثلاثة آلاف فارس ، وهو في أعداد عظيمة وجموع كثيفة ، وأخربوا القيروان وتغلّبوا على نواحيها ، وتكاثروا بعد ذلك بإفريقية والمغرب إلى اليوم .

---

١ – البيت من البسيط .

٢ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : بعد .

٣ – رواية الأصول (املاكه) ولعل الصحيح ما أثبتناه .

٤ – انظر تفصيل ذلك في البيان المغرب : ١ / ٢٨٨ – ٢٩٣ وأعمال الأعلام : ٣٠ .

٦١ – محمد بن سعيد التاكُرُنّي أبو عامر [1]

ذكر أبو محمد بن حزم الفقيه [2] أنه كان أحــد القادمين مع المهدي [3] محمد ابن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن بن أبي عامر والساعين عليه ، قال : ثم [٧٤] ولي عبدَ العزيز [4] بن عبد الرحمن بلنسية ، فكان محمد بن سعيد من أخص الناس به ، ومتولي تدبير أموره إلى أن مات .

وقال ابن بسام وذكر أبا عامر هذا في الذخيرة [5] : لما انقرضت الدولة العامرية وانشقت عصاها ، وأدارت الفتنةُ المبيرةُ رحاها ، كان أحد من مرق من ظلمائها ، وآوى إلى جبل عصمه من مائها ، فاستقر في بلنسية وأميرها حينئذ [6] مظفّرٌ ومبارك [7] صاحبه وكانا من عبيد العامرية ، فانتظم في سلكهما ، وشاركهما

---

١ – التاكُرُنّي ترجمته في جذوة المقتبس : ٥٦ وبغية الملتمس : رقم ١٣٧ ص ٧٠ .

٢ – علي بن أحمد ، وتقدّمت الاشارة إليه : انظر ص ١٩١ حاشية : ١ وترجمته في المملة الاسلامية : ٢ / ٤٠٧ – ٤١٠ وابن خلكان : ٣ / ١٣ – ١٧ .

٣ – انظر أخباره في البيان المغرب : ٣ / ٥٠ – ١٠٠ والمعجب : ٢٨ – ٢٩ .

٤ – أخباره في البيان المغرب : ٣ / ١٦٤ – ١٦٥ وفيه أن ابن التاكرني كان كاتب رسائله ، ولم تزل حاله تسمو حتى اتصل بوزارته فنال جسيماً من دنياه .

٥ – أشار ابن بسّام في القسم الأول من المجلد الثاني (ص ١٦٥) إلى أن أخبار أبي عامر هـذا تأتي في القسم الثالث من هذا المجموع – يعني كتابه الذخيرة – ولم يطبع هذا القسم بعد .

٦ – رواية (ق) ، وفي (س) و (ر) : يومئذ .

٧ – أخبارهما في البيان المغرب : ٣ / ١٥٨ – ١٦٣ .

في مراتب ملكها ، إلى أن أجابا صوت المنادي ، وخلا منها النادي ؛ قال: وأفضى ملكها وملك من كان بهـذا الأفق الشرقي – يعني من الأندلس – من تلك الطائفة العِبِدّى[1] المجابيب[2] إلى عبد العزيز وهو الملقب بالمنصور ، فنهل أبو عامر في دولته وعلّ ، ونهض بأعباء مملكته واستقلّ .

وحُكي أن مجاهداً كتب يوماً إلى المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمّنها غير بيت الحطيئة حيث يقول[3] :

دعِ المكارمَ لا ترْحلْ لبُغْيَتِها واقْعدْ فإنّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي

فلما وردت على المنصور أقامته وأقعدته ، وكاد يمرق من إهابه فضلاً عن ثيابه ، واستحضر أبا عامرِ التاكرني ، فقال له : تَطأطأ لخطبك واسمع المراجعة عنه ؛ وعنونَ وبسمل وكتب هذا البيت[4] :

شتمت مواليَها عبيدُ نِزارها شِيَمُ العَبِيدِ شَتيمةُ[5] الأحرارِ

فسلا المنصورُ عما كان فيه ، وألحق أبا عامر بوزرائه ، فنال جسيماً من دنياه .

١ – العِبِدّى : اسم جمع لعبد .
٢ – المجابيب : الخصيان .
٣ – البيت من البسيط وانظر ديوان الحطيئة : ١٣٣ .
٤ – البيت من الكامل .
٥ – في (ق) : تشتية ، وهو تصحيف .

٦٢ - أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهيد[1]

سُعي به إلى المعتلي يحيى بن علي بن حمّود[2] في خـلافته بقرطبة ، فنكبه واعتقله ، فقال في ذلك ما أورده أبو مروان عبد الملك بن غصن الحجاري[3] في رسالته في صفة السجن والمسجون التي كتب بها إلى المأمون[4] يحيى بن ذي النون يستعطف ابنَ حمود ويعتذر إليه[5] :

قريبٌ بمحتلّ الهوانِ بعيدُ ... يجودُ بشكوى حُزنِهِ فيُجيدُ

بَغىٰ ضُرَّه عند الإمام فناله ... عدوٌّ لأبناء الكرام حسودُ

وما ضَرَّه إلا مزاحٌ ورقّةٌ ... ثَنَتْهُ سفيهَ الذكر وهو رشيدُ [٧٥]

جنى ما جنى في قبة الملك غيرُه ... وطُوِّقَ منه بالعظيمة جيدُ

١ - ابن شُهَيْد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وزير أديب كاتب شاعر ، من كبار الأندلسيين أدباً وعلماً . انظر فصلاً في أخباره في الذخيرة القسم الأول من المجلد الأول : ١٦١ - ٢١٠ ، وانظر نفح الطيب : ١ / ٣٣٣ - ٣٤٠ و ٢ / ١٥٠ - ١٥٢ والمطمح : ١٦ - ٢٢ والحلة السيراء : ١٢٧ - ١٢٨ وابن خلكان : ١ / ٩٨ - ٩٩ وجذوة المقتبس : ١٢٤-١٢٧ والأعلام : ١ / ١٥٧ .

٢ - انظر أخباره في البيان المغرب : ٣ / ١٣١-١٣٣ ، ١٤٣ - ١٤٥ ، ١٨٨ والمعجب : ٣٧-٣٨

٣ - عبد الملك بن غصن الخشني من أهل وادي الحجارة (- ٤٥٤ هـ) نكبه المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة وحبسه مدة صنّف فيها كتاب (السجن والمسجون والحزن والمحزون) وابن الأبار يخصص له الترجمة ذات الرقم : ٦٧ وانظر جذوة المقتبس : ٣٧٨ والأعلام : ٤ / ٣٠٧ .

٤ - أخباره في البيان المغرب : ٣ / ٢٧٧ - ٢٨٣ .

٥ - القصيدة من الطويل ، والأبيات السبعة الأول وغيرها في المطمح : ٢٠ - ٢١ .

وما بيَ إلاّ الشعرُ أَبْثَثْتُهُ الهوى ... فسار به في العالمين بَريدُ
أُفَوِّهُ بما لم آتِهِ مُتَعَرِّضاً ... لِحُسْنِ المعاني عندهم فأزيدُ
فإنْ طارَ ذِكري بالمُجون فإنني ... شقيٌّ بمنظومِ الكلامِ سعيدُ

يقول فيها :

إلى المُعتلي عالَيْتُ هَمّيَ طالباً ... لِكَرَّتِهِ إنّ الكريمَ يَعُودُ
هُمامٌ أَراه جُودُه سُبُلَ العُلا ... وعَلَّمَهُ الإحسانُ كيفَ يَسودُ
نفى الذَّمَّ عنه أَنْ طَي بُرُوده ... عفافٌ على سن الشباب وَجُودُ
تُؤَدّي إلينا أنه سِبْطُ أحمدٍ ... مَخايِلُ فيه للهُدَىٰ وشُهودُ

ومنهـــا :

حنانَيْكَ إن الماء قد بلغَ الزُّبىٰ ... وأَنْحَتْ رزايا ما لَهُنَّ عديدُ
ظَمِئْتُ إلى صافي الهواء وطَلْقِهِ ... فهل ليَ يوماً في رضاكَ وُرُودُ
ولي حُرمةٌ حاشا لِمِثْلِكَ أَنْ يُرىٰ ... مُضيعاً لها وهو الغداةَ شهيدُ
فلا يَعْرَ من رُحْما كُمُ مَنْ عليكُمُ ... مطارفُ مما حاكَهُ وبُرودُ
جواهرُ شعرٍ شاكَلَ المجدَ دُرُّها ... كما شاكلت جيدَ الفتاةِ عُقودُ

فصفح عنه وخلّى سبيله ، فقال من قصيدة يشكره ويهنئه بفتحٍ أولها [1] :

---

١ – القصيدة من الطويل وبعض أبياتها في الذخيرة (القسم الأول من المجلد الأول : ٢٧٣ – ٢٧٤) .

فَريقُ العِدا من حَدِّ عَزْمِكَ يَفْرَقُ وبالدهرِ مِمّا خافَ بَطْشَكَ أَوْلَقُ (١)
تَيَمّمَتْهُ والسعدُ حولكَ جَحْفَلٌ وقارعته والنصرُ دُونَكَ خَنْدَقُ

يقول فيها :

أدرتَ رحىٰ الحربِ الزَّبُونِ بِساحةٍ وغالبته والجوُّ بالبيضِ يَعْبَقُ
فلما حوتْ كفاكَ رِمَّةَ أمرِهِ وشُدَّ بكفِّ الحصرِ منهُ المُخَنَّقُ
وأسقيتَه من جَمَّةِ (٢) الأَمنِ صافياً إذا ذاقه من ذاقه يَتَمَطَّقُ (٣)
وكم لكَ مثلي مُسْتَرَقٌ مكارمٍ بِعفوكَ من رِقِّ المنيةِ يُعْتَقُ
كشفتُ سماءَ المجدِ عنكَ فلم أَجِدْ سوى كرمٍ عن طيبِ خِيمكَ يَنْطِقُ [٧٦]
وَرَدْتُ رياضَ العفوِ منكَ فجادني بأرجائها مِنْ مُزْنِ نُعماكَ مُغْدِقُ
فإنْ أنا لم أشكرْكَ أبيضَ مُعرِقاً فلا هزّني للمجد أبيضُ مُعْرِقُ

ثم خدم المستظهرَ أبا المطرّف عبد الرحمن بن هشام المرواني (٤) إذ بويع له بالخلافة بقرطبة بعد القاسم بن حمود ، وكان من كتّابه .

---

١ – الأولق : الجنون أو مسٌّ منه .
٢ – جمّة الماء : معظمه ، والمكان الذي يجتمع فيه الماء .
٣ – يقول الأعشى في وصف الخمرة :

تُريك القذى من دونها وهي دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطّقُ

انظر ديوانه : ١٤٧ .
٤ – ترجمته في الحلة السيراء : ١٦٤ – ١٦٦ .

٦٣ ـ أبو القاسم بن المغربي [1]

أوقع الحاكم العبيدي بوالده وأهلِ بيته ونَذَر دم أبي القاسم هذا ، فهرب إلى مكة ، وكان في الرتبة العالية من الأدب والعلم ، ثم صار إلى ميّافارقين [2] فتقلّد وزارةَ أميرها ، وانغمس في النعيم بعد إظهار الزهد ولُبْسِ [3] الصوف وفي ذلك يقولُ [4] :

تَبدَّلَ مِن مُرَقَّعةٍ ونُسْكٍ بأنواعِ المُمسَّكِ الشُفوفِ
وعَنَّ له غزالٌ ليس يحوي هَوَاهُ ولا رضاهُ بلُبْسِ صُوفِ
فعادَ أَشدَّ ما كان انتهاكاً كذاكَ الدهرُ مُختلفُ الصُروفِ

وبعد هذا راسله صاحبُ الموصل فصار إليه وتقلّد وزارته ، ومنها انتقل إلى وزارة بغداد في خلافة القائم بالله أبي جعفر عبد الله بن القادر ، وعنه كتب رسالته المشهورة في الرد على اليهود الجبابرة وإلزامهم الجزية ؛ ثم خاف من الأتراك

---

١ ـ الحسين بن علي بن الحسين ، أبو القاسم المغربي (٣٧٠ ـ ٤١٨ هـ) وزير من الدهاة العلماء الأدباء . قتل الحاكم الفاطمي أباه فهرب إلى الشام ، وتقلب في بلادها ، حتى استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد بعض السنة . له مؤلفات كثيرة وهو الذي وجه إليه أبو العلاء المعري « رسالة المنيح » . انظر الأعلام : ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وابن خلكان : ١ / ٤٢٨ ـ ٤٣٣ ومعجم الأدباء : ١٠ / ٧٩ ـ ٩٠

٢ ـ ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر ، قريبة من آمد . معجم البلدان : ٥ / ٢٣٥ ـ ٢٣٨ .

٣ ـ رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) : ولباس .

٤ ـ الأبيات من الوافر .

فخرج من بغداد مستتراً وقد لبس ثياباً رثّة ، ولف على وجهه منديلاً لئلا يمتاز من جُملة العامة ، وفي ذلك يقول(١) :

تمرّستْ مني العُلا بامرىءٍ قَدْ علّقَ المجدُ بأمراسهِ

أروَعَ لا يرجِعُ عن تيهِهِ والسيفُ مسلولٌ على رأسهِ(٢)

يستنجدُ النجدةَ من رأيه ويستقلُّ الكُثْرَ من بأسهِ

وسقط إلى الموصل ثانية ، ثم لحق بميّا فارقين وأقام بها إلى أن استدعي من بغداد إلى الوزارة ثانية .

٦٤ — أبو الوليد بن زيدون(٣)

قال ابن حيان(٤) : كان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة ، وبرع(٥) أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به العُجبُ كل مذهب ، || وهوّن عنده كلَّ مطلب ، وكان علَقه من عبد [٧٧]

١ — الأبيات من السريع .

٢ — هذا البيت ساقط من (ق) .

٣ — ابن زيدون أحمد بن عبد الله (٣٩٤ — ٤٦٣ هـ) أشهر شعراء الأندلس ، كاتب وزير . انظر ابن خلكان : ١ / ١٢٢ — ١٢٤ وأخباره في الذخيرة (القسم الأول من المجلد الأول : ٢٨٩ — ٣٧٩ وجذوة المقتبس : ١٢١ — ١٢٢ والأعلام : ١ / ١٥١ — ١٥٢ .

٤ — النص في الذخيرة : ٢٩٠ — ٢٩١ .

٥ — رواية الأصول ، وفي الذخيرة : وفرع .

الله بن أحمد المكوي أحد حكام قرطبة ظُفْرٌ أحجنُ أدّاه إلى السجن ، فألقى نفسه يومئذ على أبي الوليد [١] ابن جهور في حياة والده أبي الحزم [٢] ، فشفع له وانتشله من نكبته ، وصيّره في صنائعه .

وذكر غيرُه أنه خاطب ابن جهور من معتقله برسالة [٣] يقول فيها : « إن سلبتَني ــ أعزّكَ الله ــ لباسَ إنعامك ، وعطّلتَني من حَلْيِ إيناسِك، وغضضتَ عني طرف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحسّ الجماد باستنادي إليك ، فلا غرو فقد يَغَصّ بالماء شاربُه ، ويقتل الدواءُ المستشفي به ، ويؤتى الحــذرُ من مأمنه ، وإني لأتجلد فأقول : هل أنا إلا يدٌ أدماها سِوارها، وجبينٌ عَضّه إكليلُه ، ومشرفيٌّ ألصقه بالأرض صاقلُه ، وسمهري عرضه على النار مثقّفُه ، والعتب محمود عواقبه ، والنبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي ، والنكبة (سحابة صيف عن قريب تَقَشّعُ [٤]) ، وسيدي وإن أبطأ معذور [٥] :

وإن يَكُنِ الفعلُ الذي ساءَ واحداً ... فأفعالُه اللائي سررنَ أُلوفُ

وليتَ شعري ما الذنب الذي أذنبتُ ولم يسعه العفو ! ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ و [ما أراني [٦] إلا] لو أُمِرت

---

١ ــ أخباره في البيان المغرب : ٣ / ٢٣٢ ــ ٢٣٤ .
٢ ــ أخباره في المصدر السابق : ٣ / ١٨٥ ــ ١٨٧ والحلة السيراء : ١٦٨ ــ ١٧٢ .
٣ ــ هي (الرسالة الجدية) المشهورة وما ينقله ابن الأبار منها موجود في الذخيرة : ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .
٤ ــ شطر بيت من الطويل .
٥ ــ البيت من الطويل .
٦ ــ زيادة من الذخيرة .

بالسجود [لآدم فأبيتُ [1]] ، وعكفتُ على العجل ، واعتديتُ في السبت ، وتعاطيتُ فعقرتُ الناقة ، وشربتُ من النهر الذي ابتُلي به جنودُ طالوت ، وقدتُ الفيلَ لأبرهة ، وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأوّلتُ في بيعة العقبة ، ونفرتُ إلى العير ببدر ، وانخزلتُ بثُلثِ الناس يومَ أُحُد ، وتخلّفتُ عن صلاة العصر في [بني [1]] قُريظة ، وأنِفْتُ من إمارة أُسامة ، وزعمتُ أنّ خلافةَ الصدّيق فلتة ، (ورويّتُ رُمحي من كتيبة خالد [2]) ، وضحّيتُ بالأشمط الذي عُنوان السجودِ به [3] ، لكان فيما جرى عليّ ما يَحتَمِلُ أن يُسمّى نكالاً ، ويُدعى ولو على المجاز عِقاباً [4] :

وحسبُكَ من حادثٍ بامرئٍ ترى حاسديهِ له راحمينا

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق ! ووالله ما غششتُك بعدَ النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصاغية ، ولا نصبتُ لك بعد التشيّع [5] فيك ، ففيم عَبَثَ الجفاء بأذمّتي ، وعاث في مودتي ، وأنى غلبني

---

١ – زيادة من الذخيرة .

٢ – شطر بيت من الطويل .

٣ – اقتباس من قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان :

ضحوا بأشمط عنوانُ السجودِ به يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

انظر العقد : ٢٤٤/٤ .

٤ – بيت من المتقارب .

٥ – رواية (ر) والذخيرة ، وفي (ق) و (س) : التشييع .

المُغلَّبُ وفخر عليّ الضعيف (١)، ولطمتني غيرُ ذات سوار ! مالك لا تمنعني قبل أن أفترس، وتُدركُني ولمّا أُمَزَّقِ (٢)، وقد زانني اسمُ خدمتــك ، وأبليت الجميل (٣) في [سماطك، وقمتُ المقام المحمود في (٤)] بساطك (٥):

ألستُ المُوالي فيكَ نَظْمَ (٦) قصائدٍ هيَ الأنجمُ اقتادتْ مع الليل أنجما »

[٧٨] || ويشبه قوله « ولا ذنب إلا نميمة ...» ما كتب به بعضهم إلى أمير أحسّ منه تغيراً : «ما زال الحاسدُ لي عليك أيها السيد الأمير ينصب الحبائل، ويطلب الغوائل، حتى انتهز فرصة فأبلغك تشنيعاً زخرفَهُ ، وكذباً زوّره ، وكيف الاحتراس ممن يَحْضُرُ وأغيبُ ، ويقولُ وأُمسكُ ، مرتصدٌ لا يغفل، وماكر لا يفتر، وربما استُنْصِحَ الغاشُ ،وصُدِّقَ الكاذبُ ،والحُظوةُ لا تدرك بالحيلة ، ولا يجري أكثرها على حسب السبب و الوسيلة ؟» فأجابه الأمير مُعْتِباً : « حضورُ الثقة بك — أعزك الله — يُغني عن حضورك ، وصــدقُ حالك يحتج عنك ، وما تقرّر عندنا من نيّتك وطويّتك يغني عن اعتذارك » .

---

١ - اقتباس من البيت :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثلُ مُغَلَّب

انظر العقد : ٥ / ٦٧ .

٢ - من قول الممزّق العبدي لعمرو بن هند :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزّق

انظر العقد : ٣ / ٣٧ .

٣ - رواية الأصول ، وفي الذخيرة : وأنلتُ الجميع .

٤ - زيادة من (س) والذخيرة .

٥ - البيت من الطويل وهو من قصيدة للبحتري يمدح بها الفتح بن خاقان : انظر ديوانه : ١ / ٥٩ .

٦ - رواية الأصول ، وفي الديوان : غرّ .

وذكر الحصري في (زهر الآداب[1]) أن ابن المعتز كتب إلى بعض الوزراء بذلك ، وبينهما يسير خلاف .

ورسالة ابن زيدون طويلة جليلة ، وفي نكبته هذه يقول[2] :

يا للرزايا لقد شافهتُ مَنهلَها ... غَمْراً فما أشربُ المكروهَ بالغُمَرِ !

لا يَهْنَإِ الشامتَ المرتاحَ خاطرُهُ ... أنّي مُعَنّى الأماني ضائعُ الخطرِ

هل الرياحُ بنجمِ الأرض عاصفةٌ ... أم الكُسوفُ لغير الشمس والقمرِ

إن طال في السجن إيداعي فلا عجبٌ ... قد يُودع الجفنَ حدُّ الصارمِ الذَّكَرِ

وإنْ يُثبِّطْ أبا الحزم الرضا قدَرٌ ... عن كشف ضُرّي فلا عتبٌ على القدرِ

لا تَلْهُ عني فلم أسألكَ مُعتسِفاً ... رَدَّ الصِّبا غِبَّ إيفاءٍ على الكِبَرِ

وفيها يقول أيضاً من قصيدة فريدة[3] :

لَعَمْرُ الليالي إنْ يَكُنْ طالَ نَزْعُها ... لقد قرطَسَت بالنَّبْل في مَقتَلِ النُّبْلِ

تَحلَّتْ بآدابي وإنَّ مآربي ... لَسانِحَةٌ في عَرْضِ أُمْنِيَّةٍ عُطْلِ

أُخَصُّ لِفَهمي بالقِلَى وكأنَّما ... يَبيتُ لذي الفهم الزمانُ على دَخْلِ[4]

١ - انظر زهر الآداب : ٣ / ١٩٥ - ١٩٦ .

٢ - الأبيات من البسيط ، وهي في ديوان ابن زيدون : ٩٢ - ٩٨ والذخيرة : ٢٩٨ - ٢٩٩ ونفح الطيب : ٢ / ١٥٧ - ١٥٨ .

٣ - الأبيات من الطويل وهي في ديوان ابن زيدون : ١١٢ - ١١٧ والذخيرة : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

٤ - رواية الأصول ، وفي الديوان والذخيرة : ذحل ، والدخل : الخديعة ، والذحل : العداوة والحقد .

وأُجْفَى على نظمي لكل قِلادةٍ مُفصّلة السِّمْطَيْن بالمنطق الفَصْلِ
ولو أنني أسطيعُ كي أُرضي العِدا شَرَيْتُ ببعض العلمِ حظّاً من الجهلِ
أبا الحزم إني في عتابك مائلٌ إلى جانبٍ تأوي إليه العُلا سهلِ
حمائمُ شُكري[1] صبّحتك هوادِلاً تُناديك من أفنان آدابيَ الهُدْلِ
جوادٌ إذا استنّ الجيادُ إلى مدىً تَمَطّرَ فاستولى على أمدِ الخَصْلِ[2]
ثوى صافناً في مربطِ الهُون يشتكي بتَصهاله ما ناله من أذى الشُّكْلِ
أإن زعمَ الواشون ما ليس مَزْعماً تُعذِّرُ في نصري وتُعْذَرُ في خَذْلي!
[٧٩] ولم استَتِرْ حربَ الفِجار ولم أُطِعْ مسيلِمةً إذْ قال: إني من الرُّسْلِ
وإني لتَنْهاني نُهـــايَ عن الذي أشار به الواشي ويَعْقِلُني عقلي
هي النعلُ زَلَّتْ بي فهل أنتَ مُكْذِبٌ لِقيلِ الأعادي إنها زلّةُ الحِسْلِ[3]
ألا إنّ ظني بينَ فِعْلَيْكَ واقفٌ وُقوفَ الهوى بينَ القطيعة والوصل!

ثم تهيّأ له الفرار من السجن إلى أن شفع فيه كما تقدم فظهر!

ولمّا ولي أمرَ قرطبةَ أبو الوليد بن جهور بعـد أبيه أبي الحزم نوّه به، وأسنى خُطّتَه وقدّمه في الذين اصطنع لدولته، وأوسع راتبه[4]، وعيّنه للنظر

١ - رواية الأصول والذخيرة، وفي الديوان: شكوي.
٢ - استنّ الجواد: عدا إقبالاً وإدباراً، وتمطّر: جرى يعدو بشدة كصوب المطر، والخصل: ما يُتقامر عليه.
٣ - الحسل: ابن الضب.
٤ - انظر الذخيرة: ٢٩١.

على أهل الذمة في بعض الأمور المعترضة ، وقَصَره بعدُ على مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك.

واتّفق أن عَنّ له مطالب بحضرة إدريس بن يحيى بن علي الحسني[1] بمالَقَة[2] فأطال الثَّواءَ هنالك ، واقتربَ من إدريس خفّ على نفسه ، وأحضره مجالس أُنسه ، فعتب عليه ابنُ جهور ، وصرفه عن ذلك التصرف قبل قُفوله ، ثم عاد إلى حسن رأيه فيه .

واجتذبه المعتضد[3] عباد بن محمد ، فهاجر عن وطنه إليه ، ونزل في كنفه ، وصار من خواصّه ، يجالسه في خلواته ، ويَسْفِرُ له في مُهِمّ رسائله[4] ، لفضل ما أُوتيه من اللَّسَن والعارضة ؛ ثم كتب له بعد أبي محمد بن عبد البرّ[5] فكانت الكتب تفد من إنشائه إلى شرق الأندلس ، فيُقال : تأتي من إشبيلية كتبٌ هي بالمنظوم أشبه منها بالمنثور ! وهلك المعتضد ، فأقرّه ابنه المعتمد[6] محمد بن عبّاد على حاله ، وزاد في تكرمته ، وأعرض عن الساعين به ، واستعمل بعد وفاته [ابنه[7]] أبا بكر محمد بن أبي الوليد .

---

١ – من ملوك الحموديين في مالقة وسبتة (– ٤٤٨ هـ) أخباره في البيان المغرب : ٣ / ٢١٨ والأعلام : ١ / ٢٦٩ .
٢ – رواية الذخيرة ، وفي الأصول : بمقالة !
٣ – المعتضد العبادي : أخباره في البيان المغرب : ٣ / ٢٠٤ – ٢١٥ والمعجب : ٦٦ – ٧١ .
٤ – أنظر الذخيرة : ٢٩١ .
٥ – يخصص ابن الأبار له الترجمة ذات الرقم ٦٨ ، انظر ما يأتي : ص ٢٢٠ .
٦ – أخباره في المعجب : ٧١ – ١١٣ .
٧ – زيادة من (س) .

٦٥ – محمود بن علي بن أبي الرجال

نكبه المُعز بن باديس الصنهاجي ، وكان هو وأبوه [١] وأهلُ بيته برامكة إفريقية ، وفي عليٍ منهم يقول أبو عبد الله محمد بن شرف [٢] :

جاورْ علياً ولا تحفلْ بحادثةٍ ... إذا ادرَعْتَ فلا تَسألْ عن الأسَلِ

إسْمٌ حكاه المُسمّى في الفَعال فقد ... حاز العَلِيّينِ من قولٍ ومن عملِ

فالماجدُ السيدُ الحرُّ الكريمُ له ... كالنعتِ والعطفِ والتوكيدِ والبَدَلِ

زان العُلا وسواه شانَهَا وكذا ... للشمس حالان في الميزان والحملِ [٣]

وربما عابه ما يعجزون به ... يُشْنَا من الخَصْرِ ما يُهوى من الكَفَلِ

[٨٠] سلْ عنهُ وانطِقْ به وانظرْ إليه تجدْ ... مِلءَ المسامعِ والأفواهِ والمُقَلِ

وتُوفي عليٌّ مستوراً ، وكان في حياته يُنذر بنكبة ابنه محمود هذا [في [٤]]

١ – أبو الحسن علي بن أبي الرجال وزير المعز بن باديس ، ربى المعز في حجره . انظر البيان المغرب : ١ / ٢٧٣ .

٢ – ابن شرف القيرواني (٣٩٠ – ٤٦٠ هـ) الكاتب الشاعر ، ألحقه المعز بن باديس بديوان حاشيته ثم جعله في ندمائه وخاصته ؛ انظر ترجمة له في معجم الأدباء : ١٩ / ٣٧ – ٤٣ وفوات الوفيات : ٢ / ٤١٠ – ٤١٢ والذخيرة (المجلد الأول من القسم الرابع) ١٣٣ – ١٨٥ والأعلام : ٧ / ١٠ والأبيات من البسيط وهي من قصيدة يمدح بها الشاعر شيخه أبا الحسن علي بن أبي الرجال ، والأبيات في معجم الأدباء (٧ / ٤١ – ٤٢) وبعضها في فوات الوفيات (٢ / ٤١١)

٣ – رواية الأصول ، وفي معجم الأدباء : تُمَيِّزُ الشمسُ في الميزان والحمل .

٤ – زيادة من (س) .

السن التي نُكب فيها ، فوافق ذلك ما قال ! ثم قال : شفَعت أُخت المعز فيه فعفا عنه وخلَع عليه وأُعطي للوقت بعضَ ضياع أبيه ، وفي هذه النكبة يقول محمود[١] :

وإخوانٍ تخِذتُهُمُ دُروعاً فكانوها ولكنْ للأعــادي
حسبتُهمُ سهاماً صـــائباتٍ فكانوها ولكنْ في فؤادي
وقالوا قد صَفَتْ منّا قلوبٌ لقد صَدَقوا ولكن مِن وِدادي

٦٦ — أبو المطرف عبدالرحمن بن أحمد بن مثنى[٢]

كتب للمنصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية ، وكان معه على بلاغته وبيانه وتقدّمه في غير ذلك من العلوم كما وصف في رسالته إليه عند انفصاله عنه ، يُرقّقه على أهله وأبنائه : « ولمّا تيقّنتُ أن حالي لا تُرمُّ ، وأن شَعْثي لا يُلمُّ ، أَبديتُ العَزْمةَ وأكّدتُ الرغبةَ ، وأَخلِق بمن نُبِذَ نَبْذَ النوى ، وطُرِحَ طَرْحَ القَذى ، أن يشتدَّ استيحاشُه ، ولا يطمئنَّ جأشه ، ووالله لولا اليأس ماتحركتُ ، ولولا انقطاعُ الرجاء لتماسكتُ ، وهو الذي تشهد لي به العقولُ ويقضي عليَّ به التحصيلُ ، (ولن ترى طارداً للحر كالياس[٣]) .

١ — الأبيات من الوافر ، وفي هامشها في (ق) : الأبيات الثلاثة لها رابع وهو :

وقالوا قد سَعَيْنا كل سَعْيٍ فقلتُ نعم ولكنْ في فَســادِ

٢ — ترجمته في جذوة المقتبس : ٢٥٢ وبغية الملتمس رقم ٩٩٥ ص : ٣٤٧ .

٣ — شطر من بيت مشهور للحطيئة ، من البسيط : أزمعت يأساً مبيناً من نوالكمُ ولن ترى ...
انظر ديوانه : ١٣٤ .

وقد قال الآخر [١] :

وإنّكَ لن ترى طَرْداً لِحُرٍّ كإلصاقٍ بهِ طَرَفَ الهَوانِ

وأيمُ الله لقد صبرتُ حتى عُذرتُ ، وأقمتُ حتى تهدّمتُ ، (ومُبْلِغُ نفس عُذْرَها مثل مُنْجِحِ [٢]) ، وأنا أستودعُ [٣] مولاي ودائعَ أقمنَ بحَرَمِه ، واعتصمنَ بِذِمَمِه ، وأوَيْنَ إلى ظله ، ولبسن أثوابَ فضله ، وأستودعه استيداعَ مَن عظُم وجدُه لبعاده ، وخلّف بين يديه فريقاً من فؤاده ، وإني حيث خيِّمتُ ، وأين يممتُ ، لَعَبْدٌ شاكرٌ ومعتقدُ نعمة ناشر ، لا أفترُ ولا أني ، ولا أرتدعُ ولا أنثني [٤] ، وحسبي بما سيُنْهى إلى مولاي عني ، ويُنمى إليه على قُرب الدار وبعدِها مني ، وكذلك يعلمُ اللهُ حسنُ ذكري لأكابره الجِلّة ، وخُلَصائه العِلْيَةِ ، وأسأل اللهَ قبلُ وبعدُ أن يجزي بالنيات ، ويُقارِضَ على المقامات ، وأقولُ قولَ المُوجَع : بُعْدُ الزمن قطع مني || عصمتي ، وأدال لديكَ حُرمتي ؛ وأولُ هذه الرسالة [٥] : [٨١]

قَدرُ اللهِ واردٌ حين يُقضى ورودُهُ

فأرِدْ ما يكونُ إنْ لم يكنْ ما تُريدُهُ

---

١ – البيت من الوافر وهو في زهر الآداب : ٢ / ٣٨ .

٢ – شطر بيت من الطويل .

٣ – رواية (ق) ، وفي (س) : أسترعى .

٤ – رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : أنثني .

٥ – البيتان من مجزوء الخفيف .

ومن فصولها : « وغيرُ ذاهب على مولاي جَلِيّةُ حالي وسوءُ مآلي ، وما مُنيتُ به من الجَدّ العاثر والتأخر الظاهر ، (وما قلتُ إلا بالذي علمت سعد [١]) وفي علمه الجليّ [وفهمه] [٢] الذكي أن الإناء إذا امتلأ يفيضُ ، و [أنّ [٢]] الصبر على المعضل يغيض ، وأن للاحتمال مـــدى ثم ينقطعُ ، وللتحمّل مُنتهى ثم يرتفع ، ومملوكُك لمّا غلبه جَلَدُه ، وتناهى بشأنه كَمَدُه ، وأظلم في عينيه ضوءُ النهار ، وسدّ عليه طريق الاختيار ، لم يجد بُدّاً من مضايقة العسرة من النفار ، خجلاً من الشّمات اللاحق له ، وتألّماً من الخَلَل المُلِمّ به [٣] :

ولَلْمَوتُ خيرٌ من حياةٍ يُرى لها على المرءِ ذي العلياء مَسٌّ هوانِ
متى يتكلمْ يُلْغَ حُسْنُ كلامهِ وإنْ لم يَقُلْ قالوا عـــديمُ بيَانِ»

وكان ارتحاله من بلنسية إلى طليطلة [٤] ، فاستوزره المـــأمون يحيى بن ذي النون ، وألقى إليه بأموره كلها ، فشُهر اكتفاؤه وشُكر غناؤه ؛ ولابن حيان في الثناء عليه إسهابٌ وإطناب ، وأعتبه المنصورُ في بنيه ، فلحقوا به على ما أحبّ ، وتزايدت حُظوته عند ابن ذي النون ، وظهرت كفايتُه ، فلما تُوفي المنصور عبد العزيز ببلنسية ، وقدم ابنه عبد الله ، أنفذه ابن ذي النون مع قائد من خاصته في جيش كثيف أمرهم بالمقام معه ، وشدّ ركنه ، فسكنت الدهماء عليه .

١ — شطر بيت من الطويل .
٢ — زيادة من (س) و (ر) .
٣ — البيتان من الطويل .
٤ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : طليطلة إلى بلنسية .

٦٧ ـ عبد الملك بن غصن الحجاري(١).

نكبه المأمون بن ذي النون ، واعتقله(٢) مع جماعة من النبهاء بوَبْذَةَ(٣) من أعمال حضرة طليطلة ، فكتب إليه رسالة (في صفة السجن والمسجون ، والحزن والمحزون) دلّت على مكانه من [العلم(٤) و] والأدب والحفظ ، وأودعها ألف بيت من شعره في الاستعطاف ، منها قوله(٥) :

أزاح الدهرُ حُلوَ الماء عني ... على ظَمَأٍ وأَسْقاني زُعاقَه(٦)

[٨٢] || وبالمرجُوِّ إنْ أظفَرْ به مِنْ ... رِضا المأمونِ يُحلي لي مَذاقَهْ

وناس لفّني بهمُ شقاءٌ ... ألمَّ فَزَمّ في ساقي سِباقَهْ(٧)

ولم يكُ لي بذاكَ العِيرِ عَيْرٌ ... ولا بِقَطيعِ ذاكَ الذّوْدِ ناقَهْ

ورُبّتما أُستحالَ السعدُ نَحْساً ... فَذاقَ المُعْتدي ممّا أذاقَهْ

---

١ ـ أبو مروان بن غصن الحجاري توفي سنة ٤٥٤ هـ . انظر ما تقدم : ٢٠٣ حاشية : ٣ .

٢ ـ سبب نقمة المأمون عليه صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة ، وبلغ المأمون أنه يقع فيه كثيراً ، فنكبه شرّ نكبة وحبسه . انظر نفح الطيب : ٤ / ٢٩٠ .

٣ ـ مدينة بالأندلس وهي حصن على وادٍ بقرب أقليش . انظر الحميري : ١٩٤ .

٤ ـ زيادة من (ر) .

٥ ـ الأبيات من الوافر .

٦ ـ في الأصول : وسقّاني زُعاقه ، والزعاق الماء المر الذي لايطاق شربه .

٧ ـ السباق : الرباط والقيد .

وأعمى عينِ أهدى من قَطاةٍ ... وشَدَّ بمثل مَفْحَصِها (١) وَثاقه
إذا صار الهـلالُ إلى كمالٍ ... وتمّ بهاؤه فارْقُبْ محـاقَهْ
وإنَّ عُبوسَ هـذا الدهر يأتي ... عَلَى أثْرِ البشاشة والطَّلاقَهْ
أضاع الدهرُ مني عِلْقَ فَهْمٍ ... إذا نظر المُمَيِّزُ منه راقَـهْ
وأيُّ فتى لتقديم الأيادي ... لديه وأيُّ عبدٍ للعتـاقَهْ !

وقـولُه (٢) :

وخِلٍّ يُسلّيني على بُعدِ داره ... ويكشفُ من كرب المشوق المُتيَّمِ
ودادِيَ موقوفٌ عليه وخُلّتي ... وفـكرِيَ مشغولٌ به وتوهمي
عَلَى أنني من ضيق سجني وحيلتي ... بُليت كما حُدِّثْتَ عن حِفْشِ (٣) أيِّمِ
أجانبُ فيه ذكرَ خلّي كرامةً ... وأخجلُ من طَيْفِ الخيالِ المُسلِّمِ
أرى نُوَبَ الدنيا تروح وتغتدي ... فمِنْ فَرحٍ ناءٍ وَهَمٍّ مُخيِّمِ
إذا شئتَ إسعافَ الزمانِ وعطفه ... فبادرْ بِدارَ المُسْرعِ المُتَغَنِّمِ
ونادِ بيا يحيي يحيّكَ بالمنى ... وثَنِّ بإسماعيلَ تَسْمُ وتَعْظُمِ
بعطفة ذي المجدين أرجو من الردى ... خلاصي ولو أُلقيتُ في شِدْقِ أرقمِ

---

١ — المفحص : الموضع الذي تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه .

٢ — الأبيات من الطويل .

٣ — الحفش : البيت الصغير ، وما أثبتناه هو أقرب صورة إلى ما في الأصول !

وقـــوله[١] :

نحنُ في حالةٍ لأَيسَرَ منها ... يَتلظّى الرديُ وتبكي الخُطوبُ
مالَنا في وَطْءِ[٢] البسيطةِ حَظٌّ ... لا ولا في نَشْقِ الهواءِ نصيبُ
في محلٍّ كأنه ظِلْفُ شاةٍ ... ليس فيه لِذي دبيبٍ دَبيبُ
وكأنَّ الـكبلَ الثقيلَ إِذا ما ... رنَّ في الساق للخُطوبِ خطيبُ
إنْ رمتنا يدُ الخطوب بقوسٍ ... طالما كان سهمُها لا يُصيبُ
أَو يـكن عَثَّرَ[٣] الزمان فمرجوٌّ ... لإنعاشِنا القَريبُ المُجيبُ
قـد أَجاب الإِلهُ دعوةَ نُوحٍ ... حينَ نادىٰ بأنه مغـلوبُ
[٨٣] وشفىٰ ذو الجلال عِلّة أيّو ... بَ وقد شارفَ الردىٰ أيوبُ
وانقضىٰ سَجْنُ يُوسفٍ وقد استيـ ... أَسَ وارتدَّ مُبْصِراً يَعقوبُ

فرقّ له المأمونُ لمّا وقف على هذه الرسالة وأطلقه وعفا عنه .

٦٨ ـ أبو محمد بن عبد البر[٤]

كتب للمعتضد عبّاد بن محمد بإشبيلية ، وله عنه الرسالة البديعة[٥] في قتل ابنه

١ ـ الأبيات من الخفيف .
٢ ـ رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : طي .
٣ ـ عثّره وأعثره : جعله يعثر .
٤ ـ انظر ترجمته في قلائد العقيان : ٢٠٦ - ٢٠٩ .
٥ ـ انظر فصولاً من هذه الرسالة في البيان المغرب : ٣ / ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ، وانظر تفصيلاً في خبر قتل المعتضد لولده إسماعيل ولي عهده في قلائد العقيان : ٢٠٦ - ٢٠٩ والمعجب : ٦٧ .

إسماعيل ، ويقال إنه كتبها دون رويّة ؛ ثم سُعي به إليه حتى غُير عليه ، فاحتال للخلاص من يديه . سمعتُ بعض شيوخي يحكي أن أباه [الإمام[1]] أبا عمر بن عبد البر[2] سار في أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذٍ يترددُ بين بلنسية وشاطبة ، فلأول دخوله على عبّاد نادى رافعاً صوته : ابني يا معتضد [ابني يا معتضد[3]] : فشفّعه [فيه[3]] ، وانصرفا عنه محفوفَيْن بالإكرام ، ومكنوفَيْن بالاحترام .

وقال ابن بسام في الذخيرة[4] : لمّـا شأى أبو محمد بالأندلس الحَلْبَةَ[5] ، وتبحبح صدر الرتبة ، تهادته الآفاق ، وامتدت إليه الأعناق ، ففاز به قِدح عَبّاد بعد طول خصام والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط في حباله ، وغص أبو الوليد بن زيدون بمقدمه ، فجهد — زعموا — كلَّ جهد في إراقة دمه ، ولما رأى أبو محمد أنه قد باء بصفقة خسران ، وأن العَشاء قدسقط بهعلى سِرْحان ، أدار الحيلةَ ، والتمس على الخلاص الوسيلة ؛ زعموا أنه لم يزل نافر النفس منقبض الأنس ، فلمّا استشعر الحذر وأحس بالتغيّر ، ألقى عصا التسيار ، وأخذ في اقتناء الضياع والديار ، حتى ظن عباد أنه قد رضي جوارَه ، واستوطن داره ، فاستنام

---

١ - زيادة من (س) و (ز) .

٢ - يوسف بن عبد الله (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) من كبار حفاظ الحديث . انظر جذوة المقتبس: ٣٤٤ - ٣٤٦ والأعلام : ٩ / ٣١٦ - ٣١٧ .

٣ - زيادة من (س) .

٤ - النص ليس في الأجزاء المطبوعة من الذخيرة .

٥ - شأى الحلبة : سبق الخيل المجموعة للسباق .

إليه [١] برسالة إلى بعض خلفائه من رؤساء الجزيرة ، فجعل أبو محمد يتفادى منها ويتثاقل عنها ؛ قال : ولما انسلّ من يد عباد انسلال الطيف ، ونجا وسلّه كيف ، رجع إلى مستقره من الشرق ، وأدار الحيلة على أبي عمر بن الحذّاء [٢] ، فعوّضه بضياعه وعقاره ، وزين له اللحاق بدار بواره وسوء قراره ؛ وقد كان عباد قبل ذلك يستهويه ويستدرجه ويُدَلّيه [٣] ، فلما طلع عليه لم يزد على أن أسره وقصره وأظهر من الزهد فيه أضعاف ما كان يَعِدُه ويُمنّيه ، وجعل أبو محمد بعد ذلك يتنقل في الدول ، كالبدر يترك منزلاً عن منزل ، وقد جمع التالد إلى الطارف ، وكتب عن [٤] أكثر ملوك الطوائف .

٦٩ - أبو بكر محمد بن سليمان ‖ بن القصيرة [٥]

[٨٤]

حكى ابن بسام أنه نشأ في دولة المعتضد ؛ قال : وشُهر بالعفاف فلزمه ، ويسّر للعلم فعَلِمه وعلّمه ، وكانت له نفس تأبى إلا مزاحمة الأعلام ، والخروجَ على الأيام ، وهو دائماً يغض من عنانها فتجمح ، ويُطأطيء من غُلَوائها فتتطاول وتطمح ، ممتنعاً

١ - استنام إليه : سكن إليه واستأنس به .
٢ - أحمد بن محمد ، المعروف بابن الحذاء ، كان قاضياً بالأندلس . انظر كتاب الصلة : رقم ١٣١ : ١ / ٦٥ - ٦٦ وجذوة المقتبس : ٣٧٥ وبغية الملتمس رقم ١٥٣٨ ص ٥١١ .
٣ - دلاّه بغرور : أوقعه فيما أراد من الغرور .
٤ - رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) : على .
٥ - توفي سنة ٥٠٨ هـ . انظر ترجمته في كتاب الصلة رقم ١١٣٧ : ٢ / ٥١٢ ، وانظر بعض رسائله في قلائد العقيان : ١١٧ - ١٢٠ .

من خدمة السلطان ، وقاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه[1] من الأعيان ، بين عفة تزهده ، وهيبة من المعتضد تُقعده ، وذُكر أن ابن زيدون نبّه عليه المعتضد آخر دولته ، فتصرّف فيها قليلاً إلى أن أفضى الأمر إلى المعتمد فأنهضه إلى مثنى الوزارة ، وأكثر ما عوّل عليه في السفارة ، فسفر غير ما مرة بينه وبين ملوك الطوائف بالأندلس حتى انصرفت وجوه آمالهم إلى يوسف بن تاشفين [2] أول ظهور اللمتونيين ، فسفر بينهما مراراً فكثر صوابه ، واشتهر في ذات الله مجيئُه وذَهابُه ، واضطر المعتمد إليه قريباً في آخر دولته ، فعظمت حاله ، واتّسع مجاله ، واستولى على دولته استيلاءً قصر عنه أشكالُه ، إلى أن كان من خلعه ما كان ، وذلك في رجب سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، فكان أبو بكر أحدَ من حُرِب [3] ، وفي جملة من نُكب ، وأقام على تلك الحال نحواً من ثلاثة أحوال ، حتى تذكر ابن تاشفين ما كان من حسن خليقته ، وسَداد طريقته ؛ ويقال إن سبب ذلك الذكر كتابٌ ورد عليه من صاحب مصر لم يكن بد منه في الجواب عنه ، فاستدعاه من حينه ، وولاه كتب دواوينه ، ورفع شأنه وأعلاه ، ووَلي بعده ابنُه عليّ بن يوسف [4] فأقرّه على ما كان يتولاه .

---

١ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : نظرائها .

٢ – يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني ملك الملثمين وسلطان المغرب الأقصى (٤١٠ – ٥٠٠ هـ) انظر الأعلام : ٩ / ٢٩٤ – ٢٩٥ .

٣ – سُلب ماله وتُرك بلا شيء فهو حريب .

٤ – علي بن يوسف بن تاشفين (٤٧٧ – ٥٣٧) ثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين . الأعلام : ٥ / ١٨٦

٧٠ – ابن الوكيل اليابُري

كان أبو بكر عيسى بن الوكيل الكاتب مستعملاً في غرناطة في الدولة اللمتونية ،فحكى[1] أنه أنكسر عليه مالٌ جليل يبلغ عشرة آلاف دينار ، فقُبِض عليه وأُشخص منكوباً إلى مَرّاكُش ، فلما بلغ المُوَكَّلُون به مدينة [سَلا[2]] وبها يومئذ بنو القاسم المعروفون ببني العَشَرة ، رباب السماح وأرباب الأمداح – ويُذكر أن جدهم الأكبر أحمد بن محمد بن المدبّر – قال قصيدته الشهيرة يمدح القاضي أبا الحسن ، ويستجير [به[3]] ، وسأل إيصالَها إليه ، فبادر عند الوقوف عليها إلى المخاطبة بتضمُّن المال وتحمُّله ، وسؤال الصفح عنه والإبقاء عليه بإعادته إلى ‖ عمله ، فصدر جوابه بالإسعاف والإسعاد ، وعاد ابن الوكيل إلى غرناطة أنبهَ معاد ، وأول القصيدة[4] : [٨٥]

سلِ البرقَ إذْ يَلْتاحُ من جانب البَلْقا
أقِرْطَيْ سُلَيْمَى أم فؤادي حَكى خَفْقا

١ – أكثر هذه الترجمة ينقلها الحميري في صفة جزيرة الأندلس : ١٩٧ – ١٩٨ .
٢ – ساقطة من (ق) ، وسلا مدينة بأقصى المغرب . معجم البلدان : ٣ / ٢٣١ .
٣ – رواية (ق) ، وفي (س) و (ر) والحميري : عشرة .
٤ – الأبيات من الطويل وهي كلها عند الحميري : ١٩٧ .

ولِمْ أَسْبلَتْ تلك الغمامةُ دمعهـــا
أَرِيعتْ لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ ذاقَتِ العِشْقا

يقول فيها :

غريبٌ بأَرضِ الغربِ فُرِّق قلبُه ... فآوت سَلا فَرْقاً ويابُرَةٌ (١) فَرْقا
إذا ما بكى أَو ناحَ لم يُلفِ مُسْعِداً ... عَلَى شجوه إلا الغمائمَ (٢) والوُرْقا

ومنها في المدح :

حياءٌ يغضُّ الطرفَ إلاّ عن العلا ... وعِرْضٌ كماءِ المُزنِ في الحَزْنِ بل أَنقى
وفضلٌ غيرُ الماءِ قد خَضَّلَ (٣) الرُبا ... وعدلٌ مُنيرُ النَّجْمِ قد نوَّرَ الأُفقا
بلغنا بِنُعماكَ الأَمانيَّ كلَّها ... فما بَقِيَتْ أُمْنِيَّةٌ غيرَ أَنْ تَبقى

٧١ – أبو جعفر أحمد بن عطية (٤)

صنيعة الإيالة الحفصية على الحقيقة ، ونشأة عنايتها الكريمة وهدايتها العتيقة ، بها بَهَر بهاؤه ، واشتهر ابتداؤه وانتهاؤه ، حتى ساق الأيام بل الأنام بعصاه ،

١ – مدينة من كورباجة بالأندلس . الحميري : ١٩٧ .

٢ – رواية المصادر الأخرى ، وفي (ق) : الحمائم .

٣ – رواية (س) ، وفي المصادر الأخرى : خفّر .

٤ – قتل سنة ٥٥٣ هـ . انظر ترجمات له في المعجب : ١٤٢ – ١٤٤ والاحاطة : ١ / ١٣٢ – ١٣٩ ونفح الطيب : ٧ / ١١٠ – ١١٥ وانظر عدداً كبيراً من الرسائل ، من إنشائه ، كتبها عن الخليفة عبد المؤمن ، في كتاب (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية)

واستوسق[1] له أدنى الشرف وأقصاه ، وهو أحد من سوّدته براعته ، ولم توجد[2] بدأ من اصطناعه صناعتُه ، وكان في أول أمره قد كتب لإسحق بن علي بن يوسف ابن تاشفين[3] فلما دُخلت مرّاكُش عنوة من جهة باب إيلان يوم السبت الثامن عشر لشوال سنة إحدى وأربعين وخمس مائة ، وقُتل إسحق وطائفة من أصحابه ، توارى أبو جعفر ودخل في غمار الناس ، وبلغ به الجِد في الاستخفاء والاستتار إلى أن ارتسم في المرتزقين من الرماة ليتبلّغ بما يُجرى عليه ، إلى أن ثار الدعيّ المعروف بالماسي واستفحل أمره ، فنهد إليه الأمير المعظم المجاهد المقدّس المبارك [الأرضى[4]] المرحوم أبو حفص ناصر دعاية التوحيد المحفوف[5] الراية بالظهور والتأييد ، الذي حُبيت بالمضاء صوارمُه وصرائمه[6] ، وسُبيت له من كل ذي كُفر وغيٍّ كرائمُه ، فقتله الله على يديه وانهزم أصحابه ، وذلك يوم الخميس [٨٦] السادس عشر لذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ، وأمر — رضوان الله عليه — بإحضار مخاطب عنه بذلك الفتح العظيم والمَنح الجسيم ، فنُبِّه على أبي جعفر وقد أخفى نفسه في رُماة العسكر ، وتنكّر جهده وهو المعروف غير المُنكَّر ، فدعا به لسعادته ، وأوعز إليه بإرادته ، فكتب رسالته التي أورثته تشريفاً

١ — اجتمع وانقاد وانتظم .
٢ — رواية (ق) و (س) ، وفي (د) : تجد .
٣ — آخر ملوك دولة الملثمين بالمغرب الأقصى (— ٥٤٢ هـ) الأعلام : ١ / ٢٨٧ .
٤ — زيادة من (س) .
٥ — رواية (س) و (د) ، وفي (ق) : المعروف .
٦ — جمع صريمة وهي العزيمة .

وتكريماً ، وصيرّته أغرّ محجّلاً بعد أن كان بهيماً ، وبسببها أُوثر بالكتابة [الكلّية[١]] والوزارة ، وهي عادة هذا البيت المعروف البركة والطهارة ، ما أُعتلق به مُعْتَلق إلا أمن من العوادي ، ولا ٱلتفت إلى عَجُز إلا لحق بالهوادي ، لا زالت أبواب معروفة [وسماحه[١]] لها كَظيظ[٢] من الزحام ، وما يصدر عن صفائحه[٣] وصفاحه يَعُول الأولياء بالإنعام ، ويَغُول الأعداء بالانتقام[٤] :

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدةٍ حتى أُضيفَ إليها ألف آمينا

ومن فصول هذه الرسالة المباركة[٥] : « كتابُنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصره المعهود المعلوم ﴿ وما النصرُ إلا من عِنْدِ الله العزيزِ الحكيم[٦] ﴾ ، فتحٌ بَهَرَ الأنوارَ إشراقاً ، وأحدق بنفوس المؤمنين إحْداقاً ، ونبّه من الأماني النائمة جُفوناً وأحداقاً ، واستغرق غايات الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسُنُ لِكُنْهِ وَصْفِهِ إدْراكاً ولا لَحاقاً ، جمع أشتاتَ الطلبِ والأرب ، وتقلّب في النعم أكرم مُنْقَلَب ، ومــلأ دِلاءَ الآمال إلى عَقْدِ الكَرَب[٧] :

---

١ — زيادة من (س) .
٢ — الكظيظ : الازدحام .
٣ — رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) : صحائفه .
٤ — البيت من البسيط .
٥ — بجد الفصول ذاتها في الاحاطة : ١ / ١٣٦ – ١٣٨ ونفح الطيب : ٧ / ١١٣ – ١١٥ .
٦ — الآية ١٢٦ من سورة آل عمران .
٧ — البيت من البسيط وهو لأبي تمام من قصيدته المشهورة في فتح عمورية ؛ ديوانه : ٦

فتحٌ تَفَتّحُ أبوابُ السماءِ له وتَبْرُزُ الأرض في أثوابها القُشُبِ

وقد تقدّمت بشارتنا به جملة ، حين لم تُعطِ الحالُ بشرحه مهلة ، كان أولئك الضالّون المرتدون قد بطروا عُدواناً وظلماً ، واقتطعوا الكفر مَعنى واسماً ، وأملى لهم الله ليزدادوا إثماً ، وكان مُقَدَّمُهم الشقيّ قد استمال النفوس بخُزَعْبلاته ، واستهوى القلوب بِهُوّلاته ، ونصب له الشيطان من حبالاته ، فأتته المخاطبات من بُعد وكَثَب ، ونَسَلَت إليه الرسل من كل حَدَب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ، وكان الذي قادهم إلى ذلك ، وأوردهم تلك المهالك ، وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام ، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام ، آناءَ الليل و [أطرافَ (1)] الأيام ، لبسوا للناس أثواباً ، وتدرّعوا للرياء جلباباً ، فلم يفتح الله لهم للتوفيق باباً » .

ومنها في ذكر الدعيّ : « فَصُرع بحمد الله لِحينه ، وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته وافدات الخطيّات [87] عن يساره ويمينه ، وقد كان يَدعي أنه بُشّر (2) بأن المنيّة في هذه الأعوام لا تُصيبه ، والنوائب لا تنوبه ، ويقول في سواده قولاً كثيراً ، ويختلق على الله إفكاً وزوراً ، فلما عاينوا هيئة اضطجاعه ، ورأوا ما خطته الأسنة على أضلاعه ، ونفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه ، انهزم ما كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم تساقط

---

١ – زيادة من الإحاطة .

٢ – رواية نفح الطيب ، وفي المصادر الأخرى : يبشر .

الذباب ، وأعطَوا عن بكرة أبيهم صفحاتِ الرقاب ، ولم تقطر كلومُهم إلاّ على الأعقاب ، فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم ، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم ، وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ، فلم يُعاين منهم إلا من خرّ صريعاً ، وسقى الأرض نجيعاً ، ولقي من الهنديات أمراً فظيعاً ، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادي ، فمن كان يؤمّل الفرار منهم ويرتجيه ، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ماينجيه ، اختطفته الأسنّة اختطافاً ، وأذاقته موتاً ذُعافاً ، ومن لجّ في الترامي على لُججه ، ورام البقاء في ثَبَجه ، قضى نَحْبَه[1] شَرَقَه ، وألوى بذقنه[2] غَرَقُه ، ودخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه يتناولون قتلهم طعناً وضرباً ، ويلقّونهم بأمر الله هُوناً عظيماً وكرباً ، حتى انبسطت مُراقات الدماء على صفحات الماء ، وحكت حمرتُها على زرقته [حمرةَ[3]] الشفقِ على زرقة السماء ، وظهرت العبرة للمعتبر ، في جرْي الدماءِ مجاري الأبحر » .

٧٢ ــ كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب

كان على ديوانه[4] كاتب له يعرف بصفيّ الدين ، فسُعي به إليه ، وقدّر

١ ــ رواية الأصول ، وفي الإحاطة ونفح الطيب : عليه .

٢ ــ رواية (س) والاحاطة ونفح الطيب ، وفي (ق) و (ر) : بدنسه .

٣ ــ زيادة من الإحاطة ونفح الطيب .

٤ ــ صلاح الدين الأيوبي (٥٢٢ ــ ٥٨٩ ه) الملك الناصر من أشهر ملوك الاسلام وقاهر الصليبيين . الأعلام : ٩ / ٢٩١ ــ ٢٩٢ .

عنده أنه أتلف مالاً كثيراً ، وحُمل على محاسبته فأمر بها فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار ، حكى الأصبهاني كاتبه المعروف بالعماد في (تاريخ فتوحه الشامية[1]) أنه ما طلبها ولا ذكرها ؛ قال : ثم لم يرض له العطلة فولاّه ديوان جيشه ، وأولاه ما دنت له به مجاني جاهه وعيشه !

٧٣ – أبو عبد الله محمد بن عياش[2]

[٨٨] || قُبض على مخدومه المُلقَّب بالرشيد[3] في سنة أربع وثمانين وخمس مائة ، واعتُقل برباط الفتح من سلا إلى أن قُتل هنالك ، واستتر هو مدةً ثم صُفح عنه ، فظهر واستُكتب بمراكش ، واتصلت نباهته وحُظوته أزيدَ من ثلاثين سنة واستُعمل أبناؤه معه وبعده ، وكان الداعي بعد نكبته إلى استعماله ما عُرف من

---

١ – هو الكتاب المسمى (الفتح القسي في الفتح القدسي) لعماد الدين الأصفهاني ، وانظر الخبر فيه (ص ٤٨١) والعماد لا يذكر اسم الكاتب في هذا الخبر ، ولكنه في مكان آخر من الكتاب يتحدث عن كاتب اسمه صفي الدين أبو الفتح القابض الذي عهد إليه صلاح الدين بأمور أموال مصر (انظر ص : ٤١٠ – ٤١١) .

٢ – محمد بن عبد الرحمن بن عياش (– ٦١٨ هـ) من أهل بُرشانة من أعمال المرية ، كتب لأبي يوسف يعقوب بن يوسف وولده وحفيده . انظر تكملة الصلة لابن الأبار رقم ٩٥٢ : ١ / ٣٢٠ – ٣٢١ والمعجب : ١٩٠ – ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ – ٢٣٩ وفي كتاب (مجموع رسائل موحدية) ثلاث رسائل من إنشائه رقمها : ٣٥ – ٣٧ .

٣ – هو أبو حفص عمر أخو المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن . المعجب : ٢٠٠ – ٢٠١ .

كفايته واستقلاله ،ورسالته [في غزو بلاد الروم [١]] سنة اثنتين وتسعين [٢] هي جذبت بضبعه ، وحكمت في نصبه للاشتغال برفعه ، حتى رسا في الرياسة [٣] أركاناً ، وسما على أهل عصره مكاناً ، ومن فصولها [٤] : « وأن تعلموا أن الجيوش وإن كثرت جُنودها ، وانتشرت ذات اليمين والشمال بنودُها ، فلا ثقة [٥] إلا بالواحد الذي يغلب والكتائبُ [الباغية [٦]] كثيرةُ الأعداد ، ولا استظهار إلا بسيفه [الذي يضرب والسيوف [٦]] في مضاجع الأغماد ، وإلا فما يُؤثر الخميس العرمرم إذا لم يكن السعد من نَفَره ، وما يُغني شجرُ القنا [٧] إذا لم يكن العون من شَرْيِه [٨] والفتح من ثمره ، وما تُفيد عيونه الزرق إذا كان صنع الله محجوباً عن بصره ! » .

ومنها يصف معقلاً [٩] : « وهو حصن يتلفّع بالعَنان [١٠] ،ويقتنص الطائر بالسنان ، وينفث الشجاعة في رُوع الجبان الهِدان [١١] ، على طودٍ قد سافر في الجو

١ ـ زيادة من (س) و (ر) .
٢ ـ رسالة ابن عياش في غزو بلاد الروم كتبها عن الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلى طلبة فاس في التاسع من رمضان سنة ٥٩٢ يخبرهم بغزوته للروم في ثغر الأندلس الشمالي . الرسالة في مجموع رسائل موحديه : ٢٢٨ – ٢٤١
٣ ـ رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : الرسالة .
٤ ـ انظر مجموع رسائل موحدية : ٢٣٠ .
٥ ـ رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : تُعدّ .
٦ ـ زيادة من (س) ومجموع رسائل موحدية .
٧ ـ القنا : العِذْق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
٨ ـ الشري : النخل ينبتُ من النواة .
٩ ـ انظر مجموع رسائل موحدية : ٢٣١ .
١٠ ـ العنان : السحاب ، وفي هامش (ق) : يعني عنان السماء .
١١ ـ الثقيل في الحرب الجبان المسترخي .

مُغترباً[١] ، ولم يرض بالجبال أكفاء ولا بالبسيطة مُنْتَسباً ، ينظر إلى ما يجاوره نظر الجارح المحلّق في السماء ، أو الشهاب الراجم في حِنْدس الظلماء ، فَفَتَحه الله وحدَه قبل الخلوص إليه من العروج ، والنزول عليه من السروج ، فتحاً تفاءل به التوحيدُ فيما يؤمله ، وقال أهله : اللهم اجعله مفتاح كل باب نستقبله ! » .

ومنها[٢] : « صوّبنا على طليطلة قاعدة الصُفر وأم بلاد الكفر ، وجئناها من جهات [أبواب[٣]] قشتالة [وهي الجهات[٣]] التي كانوا يأمنون من أُفقها ، ولا يسدون باباً يُفضي إلى طُرقها ، فأخذهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون ، وعَرفوا التخاذل من حيث كانوا يُنصرون ، واستقبلتهم العِبَر أفواجاً [أفواجاً[٤]] ، وجاءتهم [النُذُرُ[٤]] تأويباً وإدلاجاً ، إلى أن نزلنا بظاهرها الشمالي وكَم لجيوش الإسلام[٥] لم توقع بصراً على حدودها ، ولا جُرّت صَعْدَة في صعيدها ، فرُدّ ما كان يليها [منها[٦]] نفنفاً ، وقاعاً صفصفاً . . . ثم تظاهر الموحدون ثاني يوم فيما أعطاهم الله تعالى من قوة العدة والعديد ، وفاضوا على أعطافها في بحور الخيل وأمواج الحديد ، كل قبيلة في شعارها الموسوم ، وعلى

---

١ — رواية الأصول ، وفي مجموع رسائل : مقتربا .

٢ — انظر مجموع رسائل موحدية : ٢٣٦ — ٢٤٠ .

٣ — زيادة من مجموع رسائل .

٤ — زيادة من (س) و (ر) ومجموع رسائل .

٥ — رواية الأصول ، وفي مجموع رسائل : ولمّ بجيوش الاسلام !

٦ — زيادة من (س) و (ر) ، وفي مجموع رسائل : منه .

مدرجها المرسوم ، كأنهم من البحر لُجٌ [موجُه(١)] متراكبٌ ، أو سحابُ خريف زعزعته الجنائب . . .

ثم أجازنا(٢) وادي تاجو إلى جنابها الإسلامي ، وهو منشأ دوحها المائس الأعطاف ، وحدائقها الغُلْب وجناتها الألفاف . . . وفيه المُنْيَة التي كانت جنّة الكافر ومأواه ، وحظّه من أُولاه وأُخراه ، فكرّ على الجميع المؤمنون كرّة ، فكان انجعافُه(٣) بإذن الله مرة ، ولم يكن بين رؤيته في مُلاءة [٨٩] الحسن والابتهاج، وتضاؤله في شُعُر مسودةٍ كالليل الداج ، إلا بمقدار ماغيّر الله نعمته بالبؤس، وبدّله من الأمن والخفض بالخوف والجوع وهو شرّ لبوس . . . وطالما كانت(٤) حجراً على النوائب ، بسلاً(٥) على الجيوش الكثيفة والكتائب ، وهاهي اليوم — وخيل الله تمرعُ في شعابها آمنةً ، ورماحُ الموحدين تندق في أبوابها طاعنةً — أسيرةُ الركب وقعيدةُ الخطب وضعيفةُ الحَيْل(٦) ، ولَقىً بين أرجل الخيل ، ليس بينها وبين المجاز ناقوسٌ يُضرب ، ولا صليبٌ يُنصب ؛ لا إهلال لغير الله ، ولا نداء إلا بذكر الله ، حتى يُنجز الله وعده في سنامها ، ويُفيض نورَ المِلّة المحمدية على ظلامها .

---

١ — زيادة من مجموع رسائل .

٢ — أجازه الوادي : جعله يجوزه ، وفي مجموع رسائل : أجزنا .

٣ — مصرعه ، تقول جعفه فانجعف : صرعه .

٤ — الضمير يعود على طليطلة .

٥ — رواية (س) و (ر) والمعنى : حراماً ، وفي (ق) : تسلا ، وفي مجموع رسائل : سلّا .

٦ — الحيل : لغة في الحول أي القوة .

وهذا الغزو الذي يَسَّر في طاغية الروم كلَّ مرام ، وعمّ سرارة[١] أرضه بالسير فيها عاماً بعد عام ، أهل البيت [الحفصي[٢]] الكريم يتولى ، وعن آرائهم المرتضاة وسيوفهم المنتضاة ، حلّ وتجلّى ، حظٌّ سواهم منه زهيدٌ ، وشهيدُهم على ماأقول شهيد ، لاجرم أن رايتهم الحمراءَ — نُصرت على بني الأصفر — السمحةَ البيضـــاء هي التي فعلت هنالك الأفاعيل ، ودَمغت بالحق الذي عُقدت لإقامته الأباطيل ، عادةٌ في الحفـاظ عَدَوية ، وشِنْشِنَةٌ[٣] مخزومية لا أخْزَميّة ، وحسبُ الدول بسلف أربوا على الملوك الأُول ، يجدون مُرَّ المهالك أحلى من العسل ، ويعتقدون أعلى الممالك ما بُني على الأسل ، خلفهم خليفة الله في عباده وبلاده ، ومجاهدُ الكفار والمنافقين فيه حقّ جهاده ، القائم الهادي بالحق الواضح البادي ، والعَدْل المقاصّ في الحاضر والبادي ، فملَك البسيطة حَزْنَها وسهلَها ، وتقلّد الإمامة وكان أحق بها وأهلَها ، مناقبُ تَبْهَرَ النجوم الثواقب ، وشمائلُ تُفاخر الأواخر والأوائل ، استحقت على الأمراء المدائحَ والمحامد ، واسترقت من الشعراء القصائدَ والمقاصد ، فلو أُنسيء أبو نواس لَمَا اعتمد سواه بقوله ، وإن كان طويلُ الثناء قاصراً عن طَوْله[٤] :

[إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنتَ كما نُثني وفوق الذي نُثْني

---

١ – السرارة : بطن الوادي ، وسرارة الشيء : أطيبه وأحسنه .

٣ – زيادة من (س) .

٢ – الخلق والطبيعة والعادة .

٤ – البيتان من الطويل ، وهما في ديوان أبي نواس (طبعة الغزالي) : ٤١٥ ، وقد سقطا من (ق) .

وإنْ جرَت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ لغيرِكَ سُلطاناً[1] فأنت الذي نَعْني]

٧٤ ـ أبو عبد الله بن نخيل

لما أتاح اللهُ صلاحَ الأمم، وإيضاحَ الأمم[2] بهذه الإمارة المُطاعة، وأباح لإفريقية أن تراح من عذاب الفرقة برحمة الجماعة، قلّد مُلكَها وسلطانَها، ليَعمرَ بالهداية أوطانَها، ويدحرَ حزب الغوايةِ وشيطانَها، صفوةَ الأملاك ونكتةَ الأفلاك، الذي ضحكت الآناء لما اعتدلت بِشِيمه، وبكت السماء لما أكلت الأرض من كرمه، الأمير المعظمَ الأعلى المجاهدَ المقدّس الأرضى المطهر المرحوم أبا محمد، سقى اللهُ سُحبَ الرضوان ضريحَه، وقدس مثواه || المستودع [٩٠ من المجد لُبابَه ومن الجودِ صريحَه، فدَفَع كلَّ ضُرٍ ورَض[3]، وأطلع لمحاورتي سُنَة وفرض، ومحاولتي بَسْطٍ وقبض ﴿ذُرِّيَّةً بعضُها من بعض[4]﴾؛ ملوكٌ بهاليلُ، ليس إلا عمائمَهم تيجانٌ وأكاليلُ، راضون في الله غِضاب، كأنهم تحت الحُبى[5] هضاب، للقِرى والقِراع خَبُّهم وإيضاعهم. وبالخَطيّات، واليراع توقيعُهم وإيقاعُهم، يبدأون بحق الله ثُمّ النائل، ويحقنون حتى ماء وجه السائل، باء

---

١ ـ في الديوان : ... الألفاظ منا بمدحة لغيرك إنساناً .

٢ ـ جمع إمة (ويُضم) وهي الحالة والشرعة والدين والطريقة .

٣ ـ رضّه : دقّه .

٤ ـ الآية : ٣٤ من سورة آل عمران .

٥ ـ جمع حبوة : مايُشتمل به من ثوب أو عمامة .

الكَمَلَة بالنقص عن كمالاتهم ، وجاء ماأدرج حمالة حاتم وحلم قيس بن عاصم من حُلومهم وحمالاتهم [١] :

غَطاريفُ من قومٍ ثوى المُلْكُ فيهمُ فلم يُبْقِ من بعد الحُلولِ تَرَحُّلا

أُصولُهُمُ منصورةٌ بفروعهمْ إذا قامَ منهم آخرٌ كان أوّلا

فمايشهدون الحربَ إلاّ إذا غَلَتْ ولا يشترون الحمدَ إلاّ إذا غلا

جدّوا وجادوا ، وشدّوا كما [٢] شاءوا وشادوا ، وفعلوا مثــلَ ما فعلت أوائلُهم وزادوا ، فَطَفِيءَ جمرُ الهياج [المشبوبُ [٣]] ، ويجيءُ عَقِبَ المكروهِ المحبوبُ ، وأصبح الثأيُ وهو المرءوب [٤] ، والصنيعُ وهو المربوب [٥] ، وذلك من سنة ثلاثٍ وستمائة إلى عامنا هذا المُوفي أربعين حِجةً ، ورَدَتْ فيها السَّخْلَةُ مع الضرغام ، ورُدَّتْ شامخاتُ المعاطس حليفةَ الرُّغام ، إلا برهةً غاب عنها منازلو أُسد الغاب ، ومساجلو البحار والسحاب ، بالمنن الرغاب ، فَبُودرت عندها بالحَرْب والحَرَب [٦] ، وغُودرتْ وَحْشَةَ الساحات والرُّحَب [٧] ، ثم

١ – الأبيات من الطويل .

٢ – رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) : كيف .

٣ – زيادة من (س)

٤ – رأب الثأى : أصلح الفساد .

٥ – ربّ الأمر : أصلحه .

٦ – الهلاك والويل .

٧ – من قول أبي تمام في وصف عمورية بعد المعركة :

جرى لها الفأل نحساً يوم أنقرةٍ إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

انظر ديوانه : ٦

عاد الرمي إلى النَّزَعة(١)، وفرّج الله الضيقةَ والزلزالَ بالسعة والدعة ، واستوسع بعدها نطاقُ المُلْكِ ، وعاد أهلُ المغرب والأندلس بالنجـــاة من الهُلْكِ ، فأرَزَتْ(٢) إلى هذه الحضرة العليّة البُلدان ، كما يأرُزُ إلى المدينة النبوية الإيمان ، وما هي إلا الخلافة حقاً ، عمَّ إشراقُ نورها غرباً وشرقاً ، لمّا أقامت الدين ، وقامتْ بـكلمة الموحّدين ، فانتظمت الأرجاء والآفاقَ ، وحسمت الشقاقَ والنفاق ، وما عَدَتِ الإجماع والإصفاق(٣) .

وكان ابنُ نخيل لأول هذه الإيالة المباركة ممن فاز بقِدْح النبـــاهة المُعلّى ، وعاد بعد العطل من الوجاهة المُحلّى ، نقلته السعادةُ من ديوان الأعمال إلى ديوان الرسائل ، وأعلقته بأعظم الحُرمات وأشرف الوسائل ، فأجاد الإنشاء وتبوأ من رفيعات المراتب حيث شاء ، مفرداً لخلوص الحماية وجموحها ، ومُعتَمَداً بخصوص العناية وعُمومها ، لا استثناءَ عليه في توقيع ، ولا اقتصارَ به على ترفيع ، وهـــذه فصولٌ من رسالته السلطانية في وقيعة شيذو(٤) من نواحي سبتة(٤) منتصف صفر سنةَ أربع وستمائة ، وقد انتصر الحق من الباطل ، ففرّق جموعَه ، وأذهب بسطوته الغالبة || ودعوته العالية جميعَه ، وأيّد الله طائفةَ التوحيد على حزب الشيطان المريد ، [٩١] تأييداً أراق بسيفه القاصل نجيعَه ، وبيّن لكل ذي بصر سديد وسمع شهيد أن هذا

١ ــ النزعة : الرماة ، وفي المثل : عاد السهم إلى النزعة ، أي رجع الحق إلى أهله .

٢ ــ عادت ، ويُقال : يأرز (ثلاثية الدين) إلى وطنه أي حيثما ذهب يرجع إليه .

٣ ــ الإصفاق : الإجماع ، وأصفقوا على أمر واحد : أجمعوا .

٤ ــ كلمتان غير مقروءتين في الأصول ، وما أثبتناه أقرب الصور إليها !!

الأمر هو أمرُ الله الذي لا يزال نافذُ الأقدار في الإيراد والإصدار مُطيعَه ، وأن عدوه وإنْ تراخى به الأمدُ فلا بد أن ينزل موعده الصادق منيعَه ، ويحطّ رفيعَه ، والحمدُ لله على ذلك حمداً يستمد وحيَ النصر المؤزّر والفتح المدّخر وسريعَه .

ومنها في ذكر الشقي الميورقي : « فحشدَ من قبائل دباب وزغب ونفات ، ومن انقاد إليهم من برابر تلك الجهات ، من قادهم إليه الحَيْنُ بزمام الخدع والترهات ، وأقبل بمن التف عليه من أولئكم الطّغام ، وبقايا الاجتياح والاصطلام ، يتقرى المنازل والمناهل ، ويوهم بكثرة مَنْ جَمَعَه من هذه القبائل ، وخرج الموحدون إليهم مستعينين بالله وبما عوّده من النصر عليهم ، فلما حقّقوا عزمهم وصحّحوا في التصميم نحوهم علمهم ، ورأوا أنهم فوّقوا لِثُغَرهم المثغورة أسهمهم ، طار بهم الفرار ، ونبا بهم القرار ، وولّوا سراعاً لا يستبد بسيرهم دون الليلِ النهارُ ، والموحدون — أعزهم الله — ينتظرون الوقت الذي لا يبعد مداه في هلاكهم ، ولا يفلتون منه بعد إدراكهم ، فلما تراءى الجمعان ، وضاق مُتّسع المجال عن الدماء والطعان ، وشيمت السيوف كالبوارق الخواطف [في اللمعان [1]] ، وحملت الكتائب على الكتائب كالرعان [2] على الرعان ، جرى الموحدون — أعزهم الله — على عادة صبرهم ، فعرّفهم الله ما أحبوه من عوائده الكريمة مع

١ — زيادة من (س) و (ر) .

٢ — جمع رَعْن وهو الجبل الطويل .

أميرهم ، فلم يكن إلا لمحةُ بارق ، أو خلسة مسارق ، حتى استاحمت السيوف أحزابَ الضلال ، وتبرّأ منهم رجيمُهم المغرور تبرُّؤَ من كان وعدهم بالمُحال ، فقُتلوا مئين وعشرات وآحاداً ، وفرّ غويُّهم [1] الشقيُّ جريحاً لم يَصْحَبْه من ذلك الجمّ إلا فُرادى ، وامتلأت الأيدي من غنائمهم فهي تُشَلُّ [2] في حزن وسهل سَوْقاً وطراداً ، وكَفَلَتِ الموحدين عنايةُ الله تعالى ، فلم ينل العدو منهم نيلاً ، ولم يمل الضرر عليهم ميلاً ، بل أشوت سهامه [3] ، وخاب والحمد لله أمله ومرامه ، ولم يبق من هذا العدو إلا ذماء ، ولقد ظل بعد هذه [4] الوقيعة لاتحميه مع العرب أرض ولا سماء ، فإنه أتى في هذه الحركة [منهم [5]] بمن لم يطر له قبل بجناب ، واستهوى بحبالاته الكاذبة وآماله الذاهبة من عاد لأرضه بجُرَيْعَة الذقن ولم يعد شابٌ ولا تابٌّ [6] ، وترك الحلائل في المحامل تتوزعها أيدي الناهبين فلا تدركه حفيظة الانتهاب ، وطالعناكم بهذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى عشيَّ اليوم المشهود والوقت المحمود ، لتحمدوا || الله بجميع محامده وتشكروه ، [٩٢] وتُذيعوا بلاءه الجميل لكم ولكافة المسلمين على أيدي أوليائهم الموحدين وتنشروه » .

١ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : غوثهم .
٢ — رواية (س) ، وفي (ق) : تسق ، وفي (ر) : تستن .
٣ — أشوى السهم : أخطأ الغرض .
٤ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : مدة .
٥ — زيادة من (ر) و (ق) .
٦ — رواية (س) : والتابّ من الرجال الكبير الضعيف ، ويُقال : كنت شاباً فصرت تابّاً ، وفي (ق) : ولم يعد بذاب ولا مات !

ومن رسالته السلطانية أيضاً في الوقيعة الكبرى بوادي أبي موسى سنة ست وستمائة : « وإلى ذلكم وصل الله بالنجاح أسباب آمالكم ، وختم بالفلاح صحائف أعمالكم ، فإن الموحدين — أعزّهم الله — لمّا قفلوا من حركتهم الأولى إلى ديارهم ، وانصرفوا من تمام أغراضهم في اتباع الأعداء وأوطارهم ، أقبل هـذا العدو الأشقى فيمن التف عليه من غَدَرَة بني رياح كفرة النعمى ، يؤمّون هذه الجهة الإفريقية حنيناً إليها ، وصبابة لم تزل تعطف عليها ، ظناً منهم أن هذه العصابة المنصورة ، والجماعة المحمودة في سبيل الله المشكورة ، قد ألقت عصا التسيار ، وأخلدت إلى الراحة من طول السفار ، وكانت قد تلقّتهم بأطراف الزّاب [1] جماعة بني مالك مزيدة وجموع دباب ، فقوّت رجـاءهم في الهجوم على البلاد ، وصدّقت أملهم الكاذب فيما عزموا عليه من الفساد ، فأخذ الموحدون — أعزهم الله — في الحركة إليهم ، والورود بحول الله وقوته عليهم ، بعزائم لا تثني بالأمل ، وحفائظ لا ترضى بالقول دون العمل ، حتى نزلوا القيروان ، وهي قطب منازل الأعراب ومراد سوامهم عند ازدحامهم في مثل هذه الأحوال الصعـاب ، والأعداء حينئذ نزلوا بظاهر قفصة [2] يرتقبون ورود بقيـة دباب من طرابلس إجابة لمـا قدّموه من ندائهم ، وإهابةً بهم إلى إعادتهم [3] في الفساد وإبدائهم ،

---

١ — الزاب : كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب . معجم البلدان : ٣ / ١٢٤

٢ — بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام . معجم البلدان : ٤ / ٣٨٢ — ٣٨٣ .

٣ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : عادتهم .

وأقبلت عصابة التوحيد على استدعاء من ألفته من عوف والشريد ، وندبهم إلى أن يأخذوا بحظهم من خدمة هـذا الأمر السعيد ، وطلبوا بأن يحضروا بالأهل والمال ، ليلقوا أكفاءهم في مثل تلكم الهيئة والحال ، وللعرب عادات في الرحيل جميعاً ، لا تعطي الخفوف إلى المقصود سريعاً ، فسار بهم الموحدون على هيئتهم في التواني سيراً ، ولم يذعروا لهم بإخراجهم عن معتادهم طيراً ، ولما سمع الأعداء برحيلهم من القيروان رحلوا من قفصة إلى الحمة [1] يُبرقون ويُرعدون ، ويهددون باللقاء ويُوعدون ، ثم عطفوا من هنالكم على نِفزاوة [2] ليتقوّتوا من ثمراتها ، ويستدرّوا — ريثما تصلهم أمدادُهم — أخلاف خيراتها ، فلما أبطأ رسولهم ، وتقلّص بطول الانتظار مأمولهم ، انصرفوا على أدراجهم إلى زميط فقطعوا حزن دمر مسلمين للدمار ، ونزلوا من شعَفات الجبال إلى قرار البوار ، وعجّل الموحدون إليهم فوردوا قابس [3] والأرضُ تحرق من بأسهم ، وذُبالات الذوابل أضوأ في سماء العجاج من شمسهم ، وعون الله يُحقق عندهم في يومهم ما مدّ لهم من النصرة في أمسهم ، فلما تجهّزوا منها بجهازهم ، واستكملوا ما عليه عوّلوا من تمييزهم وتفرغوا لنِجازهم ، || ثَنَوا للأعداء أعِنة الجياد ، وأقبلوا وهم [4] من صرائم [٩٣]

١ — الحمة : مدينة بإفريقية من عمل قسطيلية من نواحي بلاد الجريد . معجم البلدان : ٢ / ٣٠٦ .

٢ — نِفزاوة : مدينة من أعمال إفريقية ، بينها وبين القيروان ستة أيام . . وهي كثيرة النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة . معجم البلدان : ٥ / ٢٩٦ .

٣ — مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر . معجم البلدان : ٤ / ٢٨٩ .

٤ — في الأصول : وأقبلوهم ، ولعلها : وأصلوهم .

العزائم أمضى من البيض الحداد ، وقطعوا لهم المراحل شفعاً ، لا يذوقون النوم إلا غراراً مثل حسو [الطير[1]] ماء الثماد[2] ، فجعلوا يستدرجون عزائم التوحيد وحادي المنايا يحدوهم إلى مضاجعهم أن انزلوها ، ولسان القضاء المقدور يخاطب المشرفيات الذكور ، أن حُطّوا عن منازل الكواهل [رءوس[3]] رؤساء الباطل[4] واستنزلوها ، وكان مرامهم في هذا المطال بالنزال ، والوقوف للحتوف أن تنفد أزودة الموحدين وعلوفاتهم ، ريثما يلحق بهم من استدعوا ليعودوا من الهرب إلى الطلب ، ويحلوا منزلة الفائز[5] بالغلب وحسن المنقلب ﴿ ويأبى الله إلاّ أنْ يُتِمَّ نُورَه[6] ﴾ ، ويكمل لأمره العظيم في الأعداء أموره ، ولم يعلموا أن لله بهذه العصابة المجاهدة عن حريم البلاد ، الكافة أيدي هؤلاء الأحزاب المُرّاد ، عنايةً لا يفتقرون بها إلى الأزواد ، ورعايةً تحميهم من النُوَب الشداد ، وتُؤويهم من فضله وإحسانه إلى أرحب جناب وأرغب عتاد ، ولم يزل ذلك دأبهم ، وما انفك إعلانهم بالمقابلة بكتم قربهم حتى حلّوا بمنهل يعرف بوادي أبي موسى من سفح جبل نَفُوسة[7] وفيه أتاهم من نفات وآل سليمان وآل سالم وجموع وافرة

١ — زيادة من (س) و (ر) .

٢ — نثر لبيت من المديد :

لا يذوقُ النومَ إلا غراراً مثل حسو الطير ماء الثماد

٣ — زيادة من (س) .

٤ — رواية (س) ، وفي (ق) : البطل ، وفي (ر) : الأباطيل .

٥ — رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : الفائت .

٦ — الآية : ٣٣ من سورة التوبة .

٧ — جبال في المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال وبينها وبين القيروان ستة أيام ، وأهل هذه الجبال خوارج متمردون عن طاعة السلاطين . معجم البلدان : ٥ / ٢٩٦ — ٢٩٧ .

من الأعراب وأحلافها الأعاجم ماسال أَتِيُّهم (١) بالدَّهْمِ (٢) الداهم ، وأعجبتْهم كَثْرَتُهم فلم تُغنِ عنهم شيئاً وكأنما اجتمعوا للهزائم ، فعاجوا من هنالكم وقد بيّتوا بزعمهم ما لا يرضى من القول ، وبرئوا لحولهم من القوة والحول ، وضمن الغَدَرَةُ من بني رياح مع شقيّهم لقاءَ عصابة التوحيد ، وزعموا له أنهم حديد العرب ، ولا يُفْلَح (٣) الحديد إلا بالحديد ، وتركوا دباباً ومن التف بها لعوف وأحلافها والشريد ، وأتوا بربّات الخدور في الهوادج كالأزهار في الكمائم وقدّموا من حُمُر النَّعَم وسودها ما صار الدوُّ (٤) بتموّجها كالبحر المتلاطم ، وجاءوا بزهوهم وبأوِهم (٥) يَزِفُّونَ زفيفاً ، ويُسمعون من رعود الوعيد قصيفاً ، ومن نُيوب الحروب صريفاً ، واستدعى الموحدون من ربّهم نَصْرَهُ المعهود ، واستمدوا طَوْلَه المحمود ، وعوّلوا على حوله وقوته لا على العدد والعديد ، واستلأموا غُدران الدروع تحت جداول المداوس ، وتهللت بالنصر وجوهُهم فكانوا كالأقمار في شموس القوانس ، وتنكّبوا من أراقم القسيّ ألدغَ على البعد من حيّات البسابس ، وتأبطوا كلَّ خطّار تطّرد كعوبه ، قد ركب فيه نجم ولكن في ثغر البحار غُروبه ، وساروا لعدوهم كأنهم بنيان مرصوص ، وتيقّنوا أن نصر الله بالصابرين المحتسبين مخصوص ، وكان يوم ضباب ، وشمسه من قوام

---

١ – رواية (س) و(ر) ، والأتي : السيل ، وفي (ق) : اليم .

٢ – العدد الكثير .

٣ – يُشق .

٤ – البرية .

٥ – البأو : الفخر والتكبر .

[٩٤] الغمام في حجاب ، فلما تعالت في فلكها ، وانقادت في زمام || الاستسلام إلى ملكها، ورمقت من خلال غيمها ظهرت كتائب الباطل سُوداً كقلوب أهلها ، وقد مالت الأرض طولاً وعرضاً بخَيْلها ورَجْلِها ، فحمَل الموحدون عليهم حملةً أزالتهم عن مصافّهم فولّى شقيُّهم منهزماً لأول دفعة ، ولم يطق وقوفاً عندما رأى من بوارق الخوافق لمعة ! » .

ومنها : « واستحرّ القتل في كثير من زعمائهم ورؤسائهم ، ومات كل مذكور من شجعانهم وحُمَسائهم ، واستحوذت القبائل على أموالهم وولدانهم ونسائهم ، ونجا الشقي في نفرٍ قليلٍ إلى جهة الإبل ، فاتّخذها حصناً ، وجعلها لبناء فراره من زلازل الجحافل رُكناً ، وحفّ من حف من الموحدين والعرب به فلم يبرحوا يتنسّفون ما اعتصم به من النعم نسفاً ، ويسومونه في نفسه وأصحابه خسفاً ، ولم يصرفهم عنه إلا إقبال الليل ، وما انسحب له على الآفاق من ذيل ! » .

ومنها : « وكانوا قد قدّموا الهوادج أمام الآبال ، ودبروا أن تكون لهم حمى يرشقون من يريدها من خللها كالنبال ، وقد قيل النساءُ أغلال الرجال ، والحريم مظنة الآجال ، فكرّوا عندها مستميتين ، ودافعوا عنها للنفوس الدنيّة منها مفيتين ، ولم يزالوا في أثناء انهزامهم يعطفون عند خدورهم ، وأنامل العوامل تجذب أرواحهم من صدورهم ، وبساط ما قدّموه من أموال وعيال يُطوى بقبضهم ، وجانب الحق يعلو كلما جَدّ الجِدُّ [في خفضهم ، وقبائل الموحدين على

راياتهم تركض في آثارهم[١] ،] حتى أسلموا ما كانوا عنه يدافعون قهراً ، وأسالت جداول المناصل من دمائهم نهراً » .

ومنها : « ولم ينجُ عـــدوُّ الله إلا بذَمَائه ، وغادر في المعترك وجوه أهله وقرابته[٢] وأصحابه وأحبائه ، فما رأى يوماً قطُّ أشدَّ منه عليه ، ولا انتهى به الأمر مذ كان إلى ما انتهى به الآن إليه ، والموحدون على أولهم في طِلابه ، والولوج عليه حيث يمّم من أبوابه ! » .

وبلغ ابن نخيل ما ليس عليه مزيد من الارتفاع المشيد ، وغلب على مشرّفه بالاصطناع غلبة جعفر على الرشيد ، فنهى وأمر آمناً من التعقّب ، وأورد وأصدر نائماً[٣] عن الترقب ، وقد فوّض إليه في كافة الأمور ، وقصرت عليه قصص الخاصة والجمهور ، إلى أن كُنف بالسعايات الممضة ، وقُذف باحتجان ما يخرج عن الحسبان من الذهب والفضة ، فما أثرت في التقاص ثروته ، ولا اعترت على انتقاص حُظوته ، بل صم عنها المجدُ الصميمُ سمعاً ، وعم المنتسبين إليه والمتجنّين عليه قبضاً وقمعاً ، صوناً للنعمة المهنأة[٤] من تكديرها ، وصرفاً للظنون السيئة عن تقديرها ، حتى أقصر من بغى عليه كما ابنغى ، واستبصر في مظاهرته لما ظهرت له استحالة ما ابتغى ، وكم أسمعَ بلسان الحلم والاحتمال مُناصبيه ولاسِنيه من كهلٍ يفيض في

---

١ — زيادة من (س) .
٢ — رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : قواده .
٣ — رواية (ق) ، وفي (س) و (ر) قائماً على .
٤ — رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) المصفاة .

[٩٥] حديثه || وحدثٍ ، جوابَ المأمون في الحسن بن سهل : الدنيا أقصر أمداً من أن تبلغ برجل منزلةً ثم تنقصه منها لغير حدث ، وعلى حسن الرأي فيه حمله مـــدة سلطانه ، وبصفايا أياديه أنهض أمله لإبلاغه في تأمل النعم وإمعانه ، لا يُسامح في أمره مناقشاً منافساً ، ولا يُفاتح بذكره راجياً تغيّره إلا أسكته يائساً ، إفادةً للمحافظة الملوكية على حفظ الحرمة ، وزيادةً على ماحكى من كرم المشارطة في الصحبة والخدمة ! ذكر أبو جعفر بن النحاس أن علي بن زيد الكاتب استصحبه بعضُ الملوك فقال علي : أصحبك على ثلاث ، قال : وما هي ؟ قال : لا تهتكُ لي ستراً ، ولا تشتم لي عِرضاً ، ولا تقبل فيّ قولَ قائلٍ حتى تستبرأني ، قال : هذا لك ، فمالي عندك ؟ قال : لا أُفشي سرك ولا أُؤخر عنك نصيحة ولا أُوثر عليك أحداً ، قال : نِعم الصاحب المستصحب[١] أنت ! فأين بواذخُ المكرمات من هذه المكرمة الباذخة ، والمأثرة اللائحة في الزمان البهيم كالشادخه ، كلاّ لقد أعيت كلا ، وأطلعها واحدة في الفضل الواحد فضلاً ، ولما نُزف منه[٢] بحر السماحة ، ونُسف بوفاته — رضوان الله عليه — طودُ الرجاحة ، فانطوى الكمال المنشور ، واستعسر النوال الميسور[٣] ، أولاه بنوه الأمراء المعظمون المؤيدون المكرمون — رضي الله عنهم — ما ورثوه من مكارم الأخلاق ، وتجافوا له عمّا جناه وحباه من أخاير الذخائر ونفائس الأعلاق ، ولقد أصابه الدهر بما أصابه ، وجزّعه

١ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : المنتحب .

٢ – ساقطة من (س) و (ر) .

٣ – رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : واستشعر النوال المستور .

بعدهم خُطبانه وصابَه . فأحضَر في وقتٍ ستمائة ألف دينار ، سِوى ما ظهر من حُلي وآنية وأثاث و كُراع وعقار ، هذا وَسَماحهم يستحقر له [مقدارَها ، وتراثُهم الكريم لا يبلغ معشارَها ، أبوا إلا أن يشبهوا أباهم ، ورأوا [1]] خير ثيابهم ماكان على سواهم [2] :

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَنْ من تعالى هكذا هكذا وإلاّ فلا لا

وأما الحضرة الإمامية فإعتاب الكُتّاب شأنُها ، لا برحت يُباري البحرَ بنانُها ، ويُباهي السحرَ بيانُها ، ما شئت من إقالةٍ وإغضاءٍ على بطالة ، ومسامحة لحصرٍ في وجازة وهذر في إطالة ، لاتحوج أخا الذنب إلى الإعتذار ، ولا تبتهج ابتهاجها بالعفو مع الإقتدار ، كم حَقَنَتْ من دم ، وصفحت عن ذي ندم ، وأخذت بيدٍ في عثرة بقدم ، وأرشدت من حيران لايعرف متأخراً من متقدّم ، عائدة على المُريب بترك التثريب ، عودَ الشباب على المشيب ، والرباب على الجديب ، وعامدة الى المُليم بعطف الحليم ، عَمْدَ الحباء [3] إلى العديم ، والشفاء إلى السقيم ، فلا يأس من روح الله برجائها ، ولا أرج للمحاسن ما لم تتضوّع من أرجائها ، رُبّ جبرٍ من إسجاحها عضده عيان ، ولطف لإبقائها || بعثه ليان ، أما [٩٦] وحرمها العتيق و كرمها العريق ما لِعدلها عديل ولا من فضلها بديل ، فكيف

---

١ - زيادة من (س) و (ر) .

٢ - البيت من الخفيف وهو مطلع قصيدة للمتني . انظر ديوانه : ٣/ ١٣٤ .

٣ - رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : الحبا .

لا أهيم برضاها وهو من الشقوة أمان ! وأشيمُ بارق شيمها وهو للثروة ضمان ! وإذا حُكي أن النعمان بنَ المنذر لقي في يوم بؤسه شاباً من العرب رقّ لكلفه، وقد سأله لقاء ابنة عمه قبل تلفه، فقال: ومن يضمنك؟ قال: كاتبُك هذا، ولم تكن بينهما معرفة، فقال النعمان: أتفعل على شريطة القتل إن أخلفَكَ؟ قال نعم! فذهب الشاب وأتى في آخر النهار وقال للكاتب قم أبرئك مما ضمنته، ودخلتَ معي تحته، وأتيا إلى النعمان، فعجب منهما وقال للشاب: ما الذي حملك على الانصراف إليه بعدما أفلتَّ منه؟ قال: خَشيتُ أن يُقال ذَهَبَ الوفاء! ثم قال للكاتب: وأنتَ ما حملك على ضمانه على أن أقتُلَكَ عنه؟ قال: خشيتُ أن يُقال ذهبَ الكرم! فقال النعمان: وأنا قد عفوتُ عنه خشيةَ أن يُقال ذهب العفو! وأسقطَ يومَ البؤس فلم يكن له يومُ بؤس بعدها ... فمالي لا أرجو إعادة النعيم بعادة الإنعام، وإسقاط الجفوة بإسقاط[1] الاحترام، لاسيما وعذري إلى مولانا — أيده الله — عذرُ الذي استقال وقد مثل بين يدي مثله، وهيهاتَ لا يوجد مثل له، فقال[2]: إن كانت زلّتي قد أحاطت بحرمتي فإنّ عفوكَ مُحيطٌ بها، وكرمَك موقوفٌ عليها، وأنشد[3]:

إني إليك ـ سلمتَ ـ كانتْ رِحلتي أرجو الإله وصفحكَ المبذولا

---

١ – رواية (س)، وفي (ق) و (ر): بإسقاط.

٢ – في العقد أن رجلاً اعتذر من المأمون بذلك. العقد: ٢ / ٣١.

٣ – الأبيات من الكامل، والثاني منها في العقد منسوباً إلى صريع الغواني، والأصفهاني وابن عبدوس ينسبان الأبيات للشاعر إبراهيم بن سيابة ويذكران أنه كتب بها إلى الفضل بن الربيع وقد عتب عليه في شيء. انظر العقد: ٢ ١ / ٣ والأغاني (الساسي): ١١/ ٧ والجهشياري: ٢٩٧.

إن كان ذنبي قد أحاط بحُرمتي ... فأحِطْ بذنبي عفوكَ المأمـولا

هبني أسأتُ ، نعم أسأت ، أقِرُّ كي ... تَعفُو ويزدادَ التطوّلُ طُـولا

٧٥ ـ أبو الربيع بن سالم [١]

شيخي الذي أورثني هذه الصناعة ، ورضي [٢] اتخاذها لي بضاعة ، وضمن أن لا إضاقة ولا إضاعة ، جاعلاً قول [ابن [٢]] أبي الخصال شاهداً في الاعتلاق بها والاتصال : « من جمع بلاغةً وخطاً لم يخش في دولة الأفـاضل حطاً » ، فاسترجحتُ حَصاتَه ، وأقبلت عليها قابلاً وَصاتَه ، غيرَ مستبدل بها خطة ولا متبوّىء دونها خطة ، لكيلا أنقض ما أبرم ، وأرتبط خلاف ما استكرم ، وكان هو — قدّس الله أشلاءه ، وأجزل من النعيم المقيم جزاءه — قد عُني بها في شبيبته ، فعتب عليه والي بلنسية || حينئذ وحجبه رائحاً عليه وغادياً ، وألزمه مكاناً قاصياً ، [٩٧] كان به قاضياً ، [فخاطبه [٢]] مستعطفاً برسالة منها : « وبعدُ فكتب الذي قصّر ، ثم عاين قصدَه وأبصر ، واقترف فاعترف ، واجترح فلم ير أجدى من أن قرع باب المغفرة واستفتح ، وفي علم المولى أن العبيد أهلُ الخطأ ومظنة السعي المستبطأ ،

١ – سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ، استشهد سنة ٦٣٤ هـ ورثاه ابن الأبار (انظر ما تقدم : ٩ – ١٠) كان محدث الأندلس وبليغها في عصره ، وهو من أهل بلنسية . انظر تحفة القادم : ٩٠ والأعلام : ٣ / ١٩٩ .

٢ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) ، رضي .

إن أعرقوا النزع عن قوس الاجتهاد، وأصابوا شاكلة المراد، فكالسهام في قرطسة مراميها، إصابتُها منسوبةٌ إلى راميها، وإن تنكّبوا مُرتضى السعي الحميد، وتجنّبوا مقتضى الرأي السديد، فغيرُ نُكرٍ من شيم العبيد، ومتى نُوقشوا الحساب على كل زلّة، وعُوقبوا في كل ضلّة، أفناهم العقاب سريعاً، وأهلكهم التأديب جميعاً، وإنما بقاؤهم بأن يُسبل الموالي على هفواتهم ستر الإغضاء، ويقرّبوا عليهم مدارك الإرضاء، وهو أدب الله تعالى في عباده حين خلقهم نُطَفاً، ثم درجهم في مناقل النشء مكتنفين إحساناً منه ولطفاً، حتى إذا سوّاهم رجالاً وأوسع لهم في الدنيا وزخرفها مجالاً، أذهلهم شكرُ النِّعم عن شكر المُنعِم، وشغلهم التقلّبُ في نعمائه عن توفية حقه وأدائه، فيُمهلهم — سبحانه — انتظاراً لمتابهم، وترقّباً لمآبهم، وقصداً منه تعالى لأن يظهر في كل حيّ أثر رحمته التي وسعت كل شيء، وليهتدي القادرون من عباده إلى فضيلة العفو عند الاقتدار، وجمال الصفح والتجاوز في هذه الدار، ولو يؤاخذهم — تبارك وتعالى اسمه — بمكسوبهم، ويعاقبهم في بداية ذنوبهم، لوقعت المجازاة منه على عدل بما كانوا يصنعون، ولكنه ﴿ يَقبَلُ التوبةَ عن عِباده ويَعفُو عن السيئاتِ ويعلمُ ما يَفعلون ﴾[1]، والعبدُ — أيّد الله مولانا — من جُملة العبيد، ﴿ منهم أُمّةٌ مقتصدةٌ وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون ﴾[2]، فما أسلف من صوابٍ فَبِبَركةِ مُستعمله، وما اقترف

١ — الآية : ٢٥ من سورة الشورى ، وفي الآية : تفعلون .

٢ — الآية : ٦٦ من سورة المائدة .

من خطإ فمن كسبه وعمله ، وقد مدّ يمينَ الإقرار ، ثم أبدى صفحة الاستغفار لمولى حريص على الصفح يشتمل أثوابه ، مصيخ إلى صرخة مكروب يفتح لهـا أبوابه ، ضارعاً في أن يراجع سعادته ، ويعاود من لثم اليمين الطاهرة واجتلاء لألاء الغُرّة الباهرة عادته ، وإذا كان العفو جلياً رائقاً في جيد الاقتدار ، ورأياً لائقاً بذوي الأقدار ، ومعنى لاحقاً بأفضل مســاعي الأبرار ، فسيدنا أولانا بنفيسه ، وأحراهم بتفريج الكرب وتنفيسه ، ذلك بما[1] خوّله الله من جوامع الفضل الذي لا تَشذُّ عنه صالحةٌ من الأعمال ، ولا يتعذّر عنده أمل من الآمال ، والعبدُ متنسِّمٌ روح القَبول ، ومتوسم بجميل الثقة بفضل مولاه تَسني المأمول ، فإن حقّ تنسمه ، وصدق توسّمه ، فيا طيب مَحْيَاه ، وسعادة ‖ دينه ودنيـــاه ، [٩٨] وإن تكن الأُخرى والعياذُ بالله ، وحاشا مولانا من ذلك حاشاه ، فمن أيّ مولى سواه نلتمس العفو ، وفي أي مورد نتسوّغ الصفو[2] :

والله مـا ندري إذا ما فاتنا طلبٌ إليكَ مَنِ الذي نَتَطَلَّبُ
فأصبِر لعادتكَ التي عوّدْتَنا أو لا فأرْشِدْنا إلى مَنْ نذهبُ

فلما وقف على كتابه ، أسعف بإعتابه .

ثم لم يزل في السيادة مشاهد الزيادة إلى أن ختم الله بالشهادة .

ولهذا الشعر قصة ذكرها يُستقبل به القبول ، وشرحُها ليس من العدل عنه

١ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : مما .
٢ – البيتان من الكامل .

العُدول : حكى ابنُ عبد ربه[١] عن الأصمعي قال : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قُضاعة ثم من بني ضِنَّة — وضبط هذا الاسم بالنون المشددة وكسر الضاد المعجمة — فقال رجلٌ منهم :

والله ما ندري إذا مـا فاتَنا ... طلبٌ إليكَ مَنِ الذي نَتَطَلَّبُ
ولقد ضَرَبْنا في البلاد فلم نجد ... أحداً سواكَ إلى المكارم يُنْسَبُ
فاْصبِرْ لعادتك التي عوَّدْتَنا ... أو لا فأرْشِدْنا إلى مَنْ نذهبُ

فأمر له بألف دينار ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال[٢] :

مـالي أرى أبوابَهم مهجورةً ... وكأنَّ بابكَ مَجْمَعُ الأسواقِ
خافوكَ أم هابوكَ أم شاموا الندى ... بيديكَ فاجتمعوا من الآفاق
إني رأيتُكَ للمكارم عاشقـاً ... والمكرُمـاتُ قليلة العُشّاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ويُقال — فيما حكى أبو علي البغدادي في (النوادر[٣]) وغيره — إن عبد الملك بن مروان دخل عليه[٤] هـذا الضِّنّي فأنشده الأبيات الثلاثة التي في آخرها :

---

١ — الخبر في العقد : ١ / ٢٣٦ .
٢ — الأبيات من الكامل .
٣ — الخبر في الأمالي : ٢ / ٢٨٣ .
٤ — رواية (ر) ، وفي (ق) و (س) : إليه .

. . . .   أوْلا فأرشدْنا إلى من نذهبُ

فقال عبد الملك : إليَّ إليَّ ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال [١] :

يَرُبُّ [٢] الذي يأتي من الخير إنّه   إذا فعلَ المعروفَ زاد وتمما

وليس كَبَانٍ حينَ تمَّ بناؤه   تَتَبَّعَه بالنقض حتى تهدّما

فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال [٣] :

إذا استُمطروا كانوا مغازير في الندى   يجُودونَ بالمعروف عَوْداً علىٰ بَدْء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

---

١ — البيتان من الطويل .

٢ — ربّ النعمة : زادها .

٣ — البيت من الطويل .

[خاتمة المؤلف]

قال المؤلف:

قد أوردتُ ما أردتُ من هذه المآثر الكرام، المحفوظة النظام، واقتداء خلفاء الله به [جل[1]] جلاله في التجاوز عن الذنوب العِظام، مما نويتُ باجتلائه الإلماع، وأعفيت من تشعب أبوابه الأسماع، ‖ سوى أشياء لبعض ما يمرّ نظائر، [٩٩] ليس التدريج إليها ولا التعريج عليها بضائر، وكل ذلك بالنسبة إلى الحلم الإمامي والإسجاح، كالذُّبالة باهرت أنوارَ الصُبح الوضّاح، والصُّبابة كاثرت تيّار اليم الطفّاح، يوم ابتز ما كان باليد اللسان، واستفزّ العجل الذي خلق منه الإنسان، فيا لَمسرف على نفسه خائف، ومُستشرف طُوي بالإهمال طيّ الصحائف، لا جرم أنه تبوّأ رتبة مُرفعة، فربأ عن إسلامها كهلاً بعد إحرازها يفعة، متوقفاً عن الانحدار في الوقوف مع الإختيار، ومُتوكفاً[2] قبول الإعتذار بالبيت السيّار[3]:

---

١ - زيادة من (س).

٢ - توكّف الخبر: انتظر ظهوره.

٣ - البيت من الرمل.

لا تُهِنّي بَعْدَ أَنْ أَكرمتَني   فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَــهْ

فَصَدَرَ ما أثلج الصدرَ من إعفاء، وظهر إبقاء أوفى على الأمل أيَّ إيفاء، ثم في صبيحة اليوم الثالث، هجم عليّ بالكارب الكارث، أُصيِّرَ إلى الإقصاء من التقريب، وأُخيِّرَ بين التشريق والتغريب، ومعاذَ الله لا اختيارَ في خطتيْ خَسْف، هذا لو أنّ جناحاً وبالاً دون كسر وكسف، فكيف ولا حَراكَ[1] موجود، ولا مستنجد إلا منجود، في هاجم للآمال هادم، وناجم بالأهوال داهم، وعلى ما دفعتُ إليه من ارتباك، لمتعسّف كابٍ ومتأسف باكٍ، من ولهى ووالِه، كلّ يجدّ على زواله، ويحدّ في إعواله، شرعتُ في المسير، وضرعتُ إلى الله في التيسير جالياً للجلاء والرحيل أوجهاً تَصلاه، وتالياً من محكم التنزيل ﴿لا تَقنَطوا من رحمةِ الله[2]﴾، وحسبي السميعُ البصير، ﴿نعمَ المولى ونعم النّصير[3]﴾ فقُلْ في يوم عصيب، رماني[4] بسهم للفراق مُصيب، ولم يدع لي فيما سوى الإضاعة وإزجاء البضاعة من نصيب، أرى ضد ما تمنيتُ، وشرى بثمن بخسٍ ما اقتنيتُ، واستشرى في محو ما وَحَيْتُ[5]، وهدم ما بنيتُ، حتى عِيل الاصطبار وغلب الاستعبار، للتفكر في بث الأشجان وبتّ الأشطان،

١ – رواية (س) و (ر)، وفي (ق): ألا حراك.
٢ – الآية: ٥٣ من سورة الزمر.
٣ – الآية: ٤٠ من سورة الأنفال.
٤ – رواية (س) و (ر)، وفي (ق): تأتى.
٥ – أي لجّ في محو ما كتبت.

والتذكّر لولوج الامتحان بالخروج عن الأوطان ، أيّان سلّمها الإسلام آيساً ، وتدبّرها التثليث آنساً ، وخلال ذلك من حسن الظن بالخلال الكرام ما حمل على أن قلتُ في بدء الحال ، وبين يدي العمل على الترحال ، مرتقباً خفايا الألطاف ، ومقترباً بهدايا الاستعطاف ، لاتّضاح دلائل الحدب ، ونجاح رسائل الأدب[1] :

لِمُبشّرِي برضاكَ أَنْ يَتَحَكّما ... لا المالَ أَستثني عليه ولا الدَّما

تالله لاغُبِنَ امرؤٌ يبتاعُهُ ... بحياتِه فوجودُه أن يعدما

أيّ المعاذرِ أرتضي لجناية ... عَظُمتْ ولكن ظَلَّ عفوُكَ أعظما

نَدَمي عَلَى ما نَدَّ مني دائمٌ ... وعلامةُ الأَوّابِ أَنْ يَتَنَدَّما

يا طولَ بؤسي مُبْسَلاً بجريرتي ... إِنْ لم تُجزْني بالتجاوز مُنْعِما

[١٠٠] مولايَ رُحماكَ التي عوّدتَني ... إني اعتمدتُكَ خاضعاً مُسترحما

فأحقُّ مَنْ تُولي الإقالةَ عاثرٌ ... لم يستحبَّ عَلَى الهُدى قطُّ العمى

أقصاه عنكَ تزلفٌ بخطيئةٍ ... خال الصوابَ خلالَها وتوَهما

ولقد تحفَّظَ في المقالة جُهدَه ... لكنّه نُمي الحديثُ ونُمنِما

مولايَ عبدُك ما لَه من مَعْدِلٍ ... عن دارِ عدلِكَ مُنذُ حلَّ وخيّما

لو أنّه يجدُ الحياةَ كريمةً ... في غيرها لرأى المنيّةَ أكرما

---

١ — القصيدة من الكامل .

إنْ ينتزحْ ناديكَ عنه يقتربْ ... منه وإنْ لا تحْمِهِ يَلِجِ الحِمى

مُتَهافتاً مُترامياً متطارحاً ... مُتَوصّلاً مُتوسّلاً متحرِّما

قد علّمته تجنّبَ الجهلِ العُلا ... يكفيه أنْ قوَّمتَهُ فتقوَّما

هيهاتَ يصحو أو يُواقع سلوةً ... من لم يزلْ برضاكَ مُغرى مُغرَما

أَهْوِنْ بما لاقاه من هُونٍ إذا ... لاقاكَ مرْتاحاً له مُتبسّما

وجثا يُقبّلُ قَبْلَ راحتِكَ الثرى ... غَرِداً بما أوليتَه مُترنِّما

بعتابةٍ رسخَ الهُدى أثناءها ... عَلَماً وقامَ الحقُّ فيها مُعْلَما

وكتبتُ إلى النجل الطاهر والقمر الباهر الأمير الأمجد الأسعد الوارث عن آبائه الطاهرين إنجازَ ما وَعَدَ وإخلافَ ما أَوْعَدَ ، أبي عبد الله[1] — نَصَرَ اللهُ لواءه وحرس مجدَه المؤثل وعلياءه ، وكافأ اهتمامَه الكافي طارق الهموم الوافي ، بالخصوص من الأفضال والعُموم واعتناءه — أستشفعُ بمقامه ، وأستدفعُ انتقامَ الأيامِ بإنعامه[2] :

مولايَ دامتْ لكَ السُّعودُ ... أخطأتُ أَخطأتُ لا أَعودُ

مالي براحٌ ولا انتزاحٌ ... موتي في أَرضِكمْ خُلودُ

كُنْ لي شفيعاً إلى إمامٍ ... ليس على فضله مَزيدُ

عادتُه العفوُ والموالي ... تعفو إذا أَخطأَ العبيدُ

---

١ — الأمير أبو عبد الله محمد بن يحيى شفيع ابن الأبار عند أبيه .

٢ — الأبيات من مخلّع البسيط .

وأظلّ شهرُ رمضان على ارتماض[١] لفقد المسكن والسكون، وانقباضٍ من تبسّط الشجون الجون، فشفعتُ وتر الاستقالة، وضرعتُ أثناءَ الشملِ المصدوعِ بهذه المقالة، أُعِدُّ قومي البُشرى، ولا أستبعد فوزي باليُسرى[٢]:

بُشرى بإسْفارِ صبـاحِ النجاحْ	عن صفحة الصفحِ وخَفْضِ الجناحْ
قد آذنَ المَنُّ بحَوْزِ المُنى	وأعانَ الكدحُ بفوز القِداحْ
[١٠١] هذا افتتاحُ الصوم مُستقبلاً	عن اُختتامٍ بالرضى وافتتاحْ
إنَّ الإمامَ الهاديَ المُرتضى	أكَّدَ بالعَطْفِ شُروطَ السَّماحْ
لينُ سجايا عاطراتٍ كما	هَزَّ الرياحينَ هُبوبُ الرياحْ
وحسنُ إسجاحٍ يليه الندى	لِذا انفساحٌ ولذاكَ انسياحْ[٣]
لو جُبِلَ الدهرُ عَلَى حلمـــهِ	لم يكُ منـه للنفوس اكتساح
عفوُ الإمامِ الحقّ عن خاطئٍ	أشرفَ للغـــاياتِ منه طماح
قد راضه بالكيح تأديبُه	ولم يُجـــاهر عامداً بالجِماح
أذنبَ لكنْ تاب من فوره	وفي قَبولِ التَّوْب رَفْعُ الجُناح
حسبي شفيعاً لك في هفوتي	حبٌّ ونصحٌ وثنـــاءٌ صُراح

١ – ارتمض: احترق حزناً.

٢ – القصيدة من السريع.

٣ – رواية (ق) و (ر)، وفي (س) انصفاح، ولعلها تصحيف انسفاح!

بَرِّحَ بي الشوقُ إلى حضرةٍ ليس لمن وُفِّقَ عنها بَراحْ[١]

وهمتُ فيهــــا باقترابٍ فلم تُثْمِرْ ليَ الأقــدارُ غيرَ انتزاحْ

لا زلتَ والزلّاتُ شأنُ الورٰى تهتزُّ للصفح اهتزازَ الصِّفــاحْ

فما راعني غيرُ الأمان تُسفر فيه البُشراء، والانصاف من الزمان تبشّر به السفراء[٢]، في وقت زان مطلعه سعيداً، وكان مقدمه قبل العيد عيداً، فقلت مستقصراً سرفي لقصد الإغضاء، ومُستحقراً لُوّامي[٣] بشكر اليد البيضاء[٤] :

قابلتُ نُعمــاكَ بالسُّجودِ لله من عَطفَةٍ وَجُودِ

ولم أجدْ للحيــاة عدماً وفي وجود الرضى وجُودي

قد وصلَ الأَمنُ والأَماني بعدَ المضادّة[٥] والصدودِ

فإن أكُنْ قبلُ في صُبوبٍ فهأنــا اليومَ في صُعودِ

نَبّهْتَ بالعفو عن خُمولي وكنتُ للهفو في خُمود

هذا ظهوري من التّواري هذا نُشوري من الهُمود

لا وَحْشَةٌ للوعيدِ عندي أزاحَهــا الأُنسُ بالوعودِ

١ — البيت ساقط من (ق) .

٢ — رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : الشعراء .

٣ — أقرب صورة لما في الأصول ، ويمكن أن تقرأ « ومستنفراً لؤامي » والمستنفر السريع الجري واللؤام الحاجة .

٤ — القصيدة من مخلع البسيط .

٥ — رواية (س) ، وفي (ق) و (ر) : المنادات .

يا مُبْدِئاً في العلا مُعيــداً أيّدتَ بالمُبدِئ المُعيــدِ
بأيِّ حَمْدٍ وإنْ تناهى أُثني عَلَى صُنعك الحميدِ
صفحتَ عمداً عن الخطايا وتلك من عادةِ العميدِ
وغيرُ بِدْعٍ ولا بعيــدٍ صفحُ الموالي عن العبيدِ
أَينقُصُ اليأسُ من رجائي وذلك الفضلُ في مزيدِ

[١٠٢] أيُّ امرئٍ في الورى شقي يأوي(١) إلى أمرك السعيد
ما غُرّةُ العيدِ أجتليهــا يومُ رضــاكَ الأغرُّ عِيدي

وقلتُ بعد ذلك مُشيداً بالتشفيع ، ومُشيراً إلى كرم الصنيع(٢) :

أيا بُشرايَ قد وضح القَبولُ وَصحّ من الرضى أملٌ وَسُولُ
وَشَفّعَ نجلَه الأزكى إمامٌ لِمَنْ صُرِمَتْ(٣) وَسائِلُه وَصولُ
فما لِسواهما في الصفح عني يَدٌ عُليا ولا مَنٌّ جَزيلُ
أَقالَنيَ الخليفةُ من عِثاري فمــاذا في إقالته أَقولُ
وكم قبحتْ ممالأةُ(٤) الليالي عليّ ورأيُه الحسنُ الجميلُ

١ – رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : آوى .
٢ – الابيات من الوافر .
٣ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : عزّت .
٤ – رواية (ق) ، وفي (س) : موالاة .

أنا العبدُ الشكورُ لما حَبَتْني به عُليـــاه والمجدُ الأثيلُ
وإخلاصي به المولىٰ عليمٌ وإنْ لم يأْتِ إجْرامي جَهُولُ
أذوبُ إذا أُحَجَّبُ عنه شوقاً إليه فكيفَ لو أَزِفَ الرحيل

وهذا ما جعلته مسكة الختام ولُبْثة [1] التمام [2] :

أجارَ من الخَطْبِ الأميرُ محمدٌ فقمتُ بما أَولاه أُثني وأَحمدُ
ويومَ [3] أتتني بالبشارة رُسْلُه سَجَدْتُ وفي التبشيرِ لله يُسجَدُ
وأملتُ بالشكر المزيدَ من الرضىٰ وأيّةُ نُعمىٰ كالرضى تَتَزَيّدُ
وظائفُ ما أَهملتُ حيناً أداءهـــا
وبعضُ شهودي الأَمسُ واليومُ والغدُ
هُمامٌ كفاني الحادثاتِ اعتنـــاؤه
وقدعَنّ [4] لي [منها [5]] مُقيمٌ ومُقعد
فلا منّةٌ إلا له في تخلّصي بِيُمنِ مساعيه الكرامِ ولا يدُ
ومن يكُ فرعاً للإمامة والهدىٰ فإنّ جناهُ الغَضَّ مجدٌ وسؤددُ

١ – اللبثة : التوقف اليسير .
٢ – القصيدة من الطويل .
٣ – رواية (ق) و (س) ، وفي (ر) : ولا .
٤ – رواية (ق) و (ر) ، وفي (س) : ويذعن
٥ – زيادة من (س) و (ر) .

رآنيَ مردودَ الشرائع[1] كلّما تقرّبتُ بالإخلاص أقصىً وأُبعدُ

نَصيبي من الآداب حرفتُها التي شَقيتُ بها جاراً لمن بات يُسْعَدُ

وللحظّ لحظٌ كلَّ دونيَ خاسئاً كأني وإياه شُعـاعٌ وأَرْمَدُ

فجمّعَ من شملي وشملي مُفرّقٌ ورفّهَ مِن شُرْبي وشُربي مُصَرَّدُ

وصرّح بالبُقيا وما زالَ مُنْعِماً له مَصدرٌ في الصالحات ومَوْردُ

وكانت هُوىً ألقى إليهابيَ الهوى فخلّصني منها مُعانٌ مُؤيَّدُ

تشفعتُ فيهـا للإمامِ بنجله ونِعْمَ شفيعُ المُذنبينَ محمدُ !

تجزت الرسالة الموسومة بإعتاب الكتّاب، صنعة الإمام [الحافظ[2]] أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبّار، [رحمه الله تعالى ورضي عنه[2] ،] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه[3] .

---

١ – جمع شريعة : مورد الشاربة .

٢ – زيادة من (ر) .

٣ – نهاية (س) كما يلي : كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

الفهارس

طريقـــة الفهـارس

١ ـ هذه الفهارس تعتبر الكتاب وحدة ، ولهذا فهي تشمل كل ما جاء في المتن أو الحواشي من مقدمة المحقق و (إعتاب الكتاب) وللتمييز بين ما جاء في المتن وضعنا حرف (ح) قبل ماورد في الحاشية دون المتن .

٢ ـ فهرس الأعلام يجمع أسماء الناس والقبائل والطوائف وغيرها ، مما ورد ذكره في الكتاب ؛ وفي فهرس البلدان والأمكنة أفردت الأعلام المتصلة بذلك .

٣ ـ في ترتيب الفهارس اعتبرت الكلمات التي تؤلف الاسم وحدة مركبة بإهمال (أل) التعريف أينما وردت ، واعتبار كلمات (ابن ، أب ، بنو) أساسية في صلب الاسم .

٤ ـ الأعلام التي ترجمنا لها في الحواشي أو فسّرناها أشرنا إلى صفحات تراجمها بأرقام كبيرة متميزة ليسهل الرجوع إليها .

٥ ـ الأعلام التي أورد لها ابن الأبار تراجم في (الإعتاب) وضعنا إلى يمينها علامة (●) تسهيلاً للمراجعة .

٦ ـ عند تسلسل الأرقام في الفهارس عمدنا بنية الاختصار إلى ذكر أول الأرقام المتسلسلة وآخرها ووضعنا بينها خطاً .

٧ ـ في فهرس القوافي أثبتنا من كل روي القافية المضمومة فالمفتوحة فالمكسورة فالساكنة ، ويتلو كل صنف منها القوافي الموصولة بالكاف أو الهاء .

٨ ـ في فهرس الشعر أثبتنا جميع الأبيات التي ورد ذكرها في الكتاب وحواشيه مرتبة ترتيباً أبجدياً بحسب أوائلها ، وللاختصار ذكرنا من كل بيت كلمات ثم أتبعناها بالقافية .

٩ ـ في فرس الكتب والمراجع ذكرنا مصادرنا في التحقيق ، وهذا غير فهرس الكتب والرسائل التي ذكرها ابن الأبار في (الإعتاب) .

١ ـ فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(غ)

(ف)

(ن)

٢ ـ فهرس البلدان والأمكنة

(ا)

(ب)

٣ ـ فهرس الشعر

(ا)

(ف)

(ن)

(هـ)

٣ ـ فهرس القوافي

٤ - فهرس الكتب والرسائل

التي ذكرها ابن الأبار في المتن

٥ - فهرس الكتب والمراجع

١ — ابن الأبار : حياته وكتبه لعبد العزيز عبد المجيد

٢ — ابن الأثير : الكامل في التاريخ لابن الأثير — ليدن ١٨٧١

٣ — ابن خلدون : تاريخه (القسم الأخير منه : كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب) طبعة البارون دوسلان — الجزائر ١٨٤٧

٤ — ابن خلكان : وفيات الأعيان نشر محمد محيي الدين عبد الحميد — مصر ١٩٤٨

٥ — ابن عبدوس = الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري

٦ — الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب — مصر ١٣١٩ هـ

٧ — الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي — المطبعة المحمودية التجارية بمصر — بدون تاريخ

٨ — أخبار أبي تمام للصولي بتحقيق عساكر وعزام والهندي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧

٩ — أخبار البحتري للصولي بتحقيق الدكتور صالح الأشتر — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق — ١٩٥٨

١٠ — أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لمحمد بن علي بن حماد — نشره فوندرهيدن، الجزائر ١٩٢٧

١١ — أخبار الوزراء لمحمد بن داود الجراح: انظر مقدمة كتاب الورقة ص ١٠، ١٦

١٢ — أدب الدنيا والدين للماوردي — طبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٢٩٩ هـ

١٣ — أدب الكاتب لابن قتيبة — ليدن ١٩٠٠

١٤ — أدب الكتاب للصولي بتحقيق محمد بهجة الأثري — مصر ١٣٤١ هـ

١٥ — أزهار الرياض في أخبار عياض — القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٢

١٦ — إسعاف المبطأ برجال الموطأ المذكورين في سند الأحاديث التي رواها مالك — لجلال الدين السيوطي — مصر ١٣٤٣ هـ

١٧ — الأعلام ـ لخير الدين الزركلي: الطبعة الثانية في عشر مجلدات ـ القاهرة ١٩٥٩

١٨ — الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ـ بولاق ١٢٨٥ هـ

١٩ — الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ـ تصحيح عبد الله البستاني ، بيروت ١٩٠١

٢٠ — الأمالي لأبي علي القالي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦

٢١ — أمراء البيان لمحمد كرد علي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧

٢٢ — الأوراق ـ قسم أخبار الشعراء ـ للصولي ، نشره هيورث دن مطبعة الصاوي بمصر ١٩٣٤

٢٣ — بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى الضبي ـ نشره قديره ، مدريد ١٨٨٤

٢٤ — البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ـ نشر الجزء الأول والثاني المستشرقان كولان وليفي بروفنسال ؛ ليدن : ١٩٤٨ ، ١٩٥١ ، ونشر الجزء الثالث ليفي بروفنسال ، باريس : ١٩٥٠

٢٥ — البيان والتبيين للجاحظ ـ نشره حسن السندوبي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٤٧

٢٦ — تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان — الطبعة الثالثة — القاهرة : مطبعة الهلال ١٩٣٦ — ١٩٣٧

٢٧ — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان =

Brockelmann : Geschichte der arabischen Litteratur.
Weimar Berlin 1898 - 1902; 2 Vol.

والملحق لتاريخ بروكلمان :

Supplémentband, Leyde; 1937 - 1942 ; 3 Vol.

٢٨ — تاريخ اسبانيا الاسلامية لليفي بروفنسال بالفرنسية — طبعة جديدة باريس ١٩٥٠

٢٩ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادي — القاهرة ١٩٣١

٣٠ — تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي — تونس ١٢٨٩

٣١ — تاريخ الوزراء للصابي = تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء

٣٢ — تاريخ اليعقوبي — نشره المستشرق هوتسما — ليدن ١٨٨٣

٣٣ — تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي — بيروت ١٩٠٤

٣٤ — تعليقات على بعض المخطوطات العربية لدوزي — ليدن ١٨٤٧ — ١٨٥١

٣٥ — التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار — نشره قديرة — مدريد ١٨٨٩ (القسم الأول نشره ابن شنب و بل في الجزائر ١٩٢٠)

٣٦ — ثمار القلوب للثعالبي — القاهرة ١٣٢٦ ﻫ

٣٧ — الجامع الصغير للسيوطي — طبعة حامد الفقى — المطبعة التجارية الكبرى بمصر

٣٨ — جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الحميدي — بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي — القاهرة ١٩٥٢

٣٩ — الحلة السيراء في أشعار الأمراء (قطعة منها نشرها دوزي في كتاب « تعليقات على بعض .. » ليدن ١٨٤٧ — ١٨٥١) وقطعة أخرى نشرها موللر Müller سنة ١٨٦٦

٤٠ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني — مصر ١٩٣٥

٤١ — الحماسة لأبي تمام — نشر محمد سعيد الرافعي ، الطبعة الثالثة مصر ١٩٢٧

٤٢ — الحميري = صفة جزيرة الأندلس — نشر ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧

٤٣ — الخلفاء للحارث بن أبي أسامة — انظر ابن عبدوس الجهشياري : ١٣٦

٤٤ — الديارات للشابشتي — تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥١

٤٥ — ديوان ابراهيم بن العباس الصولي = الطرائف الأدبية

٤٦ — ديوان ابن زيدون — نشر كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة — مصر ١٩٢٧

٤٧ — ديوان أبي تمام — نشره محيي الدين الخياط : القاهرة

٤٨ — ديوان أبي العتاهية — نشر لويس شيخو ، بيروت ١٩١٤

٤٩ — ديوان أبي نواس — نشر أحمد عبد المجيد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣

٥٠ — ديوان الأعشى — نشره المستشرق ر . جاير ، فيينا

٥١ — ديوان البحتري — مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٠ ﻫ

٥٢ — ديوان الحطيئة — نشره كولد زيهر ، ليبزنج ١٨٩٣

٥٣ — ديوان علي بن الجهم — نشره خليل مردم بك : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٤٩

٥٤ — ديوان المتنبي (بشرح العكبري) تحقيق مصطفى السقا وغيره — القاهرة ١٩٣٦

٥٥ — ديوان النابغة الذبياني — نشر هارتويغ ديرانبورغ، باريس ١٨٦٩

٥٦ — ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات — نشر جميل سعيد ، مصر ١٩٤٩

٥٧ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٩٣٩ — ١٩٤٥

٥٨ — الرسالة الجدية لابن زيدون : انظر الذخيرة : القسم الأول — المجلد الأول : ٢٩٢ — ٢٩٣

٥٩ — الرسالة العذراء لابراهيم بن المدبر — تحقيق الدكتور زكي مبارك — مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣١

٦٠ — رغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد بن علي المرصفي : مصر ١٩٢٨ — ١٩٣٠

٦١ — زهر الآداب للحصري : (بولاق على هامش كتاب العقد الفريد) وزهر الآداب (طبعة الدكتور زكي مبارك) الطبعة الثانية — مصر (بدون تاريخ)

٦٢ — سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ، مصر ١٢٧٨ هـ

٦٣ — صلة التكملة للحسيني (مخطوط) انظر الأعلام : ١٠ / ٢٠٩

٦٤ — الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال — نشر قديرة ، مدريد ١٨٨٢

٦٥ — الطبري = تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٧٩ — ١٨٨٤

٦٦ — طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء لعبد الله بن المعتز — نشره عباس إقبال — سلسلة جب التذكارية ، لندن ١٩٣٩

٦٧ — طبقات فحول الشعراء لابن سلام — بتحقيق محمود محمد شاكر : سلسلة ذخائر العرب — القاهرة ١٩٥٢

٦٨ — طبقات النحويين واللغويين للزبيدي — تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم — القاهرة ١٩٥٤

٦٩ — الطرائف الأدبية — مجموعة من الشعر بتحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر ١٩٣٧

٧٠ — العقد الفريد لابن عبد ربه — نشر محمد سعيد العريان — مصر ١٩٤٧

٧١ — العمدة لابن رشيق — نشر محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٩٣٤

٧٢ — عنوان الدراية للغبريني — الجزائر ١٣٢٨ ﻫ

٨٣ — الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد الأندلسي — تحقيق ابراهيم الإبياري، سلسلة ذخائر العرب رقم ١٤

٧٤ — الفتح القسّي في الفتح القدسي لعماد الدين الأصفهاني — نشره الكونت كارلودو لندبرغ — ليدن ١٨٨٨

٧٥ — الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقى — مصر ١٩٢٧

٧٦ — الفرج بعد الشدة لأبي علي المحسن التنوخي — مطبعة الهلال بمصر ١٩٠٣

٧٧ — الفلاكة والمفلوكون لأحمد بن علي الدلجي — مصر ١٣٢٢ ﻫ

٧٨ — الفهرست لابن النديم — نشره فلوجل — ليبزج ١٨٧١

٧٩ — فهرس مخطوطات الرباط، للمستشرق ليفي بروفنسال — باريس ١٩٢١
(Les manuscrits arabes de Rabat)

٨٠ — فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — مصر

٨١ — القرآن الكريم

٨٢ — قلائد العقيان للفتح بن خاقان — تحقيق سليمان الحرايري : باريس ١٢٧٧ ﻫ

٨٣ — القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب — بتحقيق ابراهيم الابياري — القاهرة ١٩٥٩

٨٤ — الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف للمبرد — نشره زكي مبارك وأحمد محمد شاكر ؛ مصر ١٩٣٦ — ١٩٣٧

٨٥ — المآثر العامرية لابن حيان : انظر المعجب للمراكشي : ص ٢٦

٨٦ — مجلة الكاتب المصري مجلد : ٧ — عدد ٢٨ ، يناير ١٩٤٨

٨٧ — مجموعة رسائل للجاحظ — مصر (محمد الساسي التونسي) ١٣٢٤ ﻫ

٨٨ — مجموع رسائل الجاحظ — نشر باول كراوس ومحمد طه الحاجري — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — مصر ١٩٤٣

٨٩ — مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية — نشر المستشرق ليفي بروفنسال — رباط الفتح ١٩٤١

٩٠ — مروج الذهب للمسعودي — نشره دومينار ودوكورتل : باريس ١٨٦١

٩١ — المستجاد من فعلات الأجواد للمحسّن التنوخي — نشره محمد كرد علي — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٤٦

٩٢ — المطمح = مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس : للفتح بن خاقان—مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٢ ﻫ

٩٣ — معالم السنن لأبي سليمان الخطابي — طبعه محمد راغب الطباخ : حلب ١٩٣٢

٩٤ — معاني القرآن لعلي بن عيسى الجراح : الأعلام : ٥ / ١٣٣

٩٥ — المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي — بتحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي — مصر ١٩٤٩

٩٦ — معجم الأدباء لياقوت — طبعة دار المأمون : مصر ١٩٣٦ — ١٩٣٨ .

٩٧ — معجم البلدان لياقوت — بيروت ١٩٥٥

٩٨ — معجم الشعراء للمرزباني — نشره كرنكو ، القاهرة ١٣٥٤ ﻫ

٩٩ — المعجم في أصحاب القاضي الصفدي لابن الأبار — نشر قديره ، مدريد ١٨٨٦

١٠٠ — المعرب عن المغرب لأبي هلال العسكري (مخطوطة) — انظر ملحق تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ١٠ / ١٩٤

١٠١ — المعلمة الاسلامية — Encyclopédie de l'Islam (Version française) ليدن ١٩١٣ — ١٩٣٨

١٠٢ — المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن حيان — القسم الثالث نشره الأب ملشورم · انطونية ، باريس ١٩٣٧

١٠٣ — المقتضب من كتاب تحفة القادم للبلنيقي = طبعه ألفريد بستاني في مجلة المشرق — فصلة من المجلة بدون تاريخ

١٠٤ — المقري = نفح الطيب

١٠٥ — المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي — حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ ﻫ

١٠٦ — الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي : طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٤ ·

١٠٧ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للمحسّن التنوخي — الجزء الثامن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٣٠

١٠٨ — نفح الطيب للمقري — نشره محمد محيي الدين عبد الحميد — مصر ١٩٤٩.

١٠٩ — هاشميات الكميت : نشره جوزيف هوروفيتز — ليدن ١٩٠٤

١١٠ — هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي — استنبول ١٩٥١ — ١٩٥٥

١١١ — الورقة لمحمد بن داود بن الجراح — تحقيق عزام وفراج — سلسلة ذخائر العرب : ١٩٥٣

١١٢ — كتاب الوزراء للصابي = تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .

١١٣ — الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري — تحقيق السقا وغيره : القاهرة ١٩٣٨

١١٤ — يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي : نشر محمد محيي الدين عبد الحميد — مصر (بدون تاريخ) .

١١٥ — اليسر بعد العسر للشابشتي : انظر الديارات — المقدمة : ١٨

٦ - فهرس الموضوعات والتراجم

رقم الترجمة	تراجم الكتـــاب	صفحة
١	— مروان بن الحكم	٤٩
٢	— زياد بن أبي سفيان	٥١
٣	— يحيى بن يعمر	٥٣
٤	— يزيد بن أبي مسلم	٥٧
٥	— كاتب آخر للحجاج	٥٩
٦	— الأبرش الكلبي	٦٠
٧	— سالم مولى هشام بن عبد الملك	٦٢
٨	— ابراهيم بن أبي عبلة	٦٣
٩	— خالد بن برمك	٦٥
١٠	— كتّاب المنصور	٦٧
١١	— كاتب الحسن بن زيد	٧٠
١٢	— أمية بن يزيد	٧١
١٣	— أبو عبيد الله مولى الأشعريين	٧٢
١٤	— كاتب الهادي	٧٥
١٥	— يوسف بن الحجاج الصيقل الكوفي	٧٦
١٦	— أبان بن عبد الحميد اللاحقي	٧٧
١٧	— عبد الله بن سوار بن ميمون	٨٣
١٨	— حجر بن سليمان	٨٤
١٩	— سهل بن هارون	٨٥

الفهارس

تصويبات

الصفحة	الموضع	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	المتن	١٥	نقص يجب اضافته	١٠ — مظاهرة السعي الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل (الأعلام : ١٠/ ٢٠٩ — عن صلة التكملة للحسيني —) ١١ — أنيس الجليس ونديم الرئيس (هدية العارفين : ٢/ ١٢٧)
٢٩	المتن	٧	نثر بن الأبار	نثر ابن الأبار
٣١	«	١٥	التاريخية والانسانية	التاريخية والأدبية والانسانية
٤٨	الحاشية	٣	شفيع ابن الأبار	أخو شفيع ابن الأبار
٧٠	«	٣	الحمد بن محمد الخطابي :	لحمد بن محمد الخطابي :١/١٥
١١٦	المتن	٧	بالعدك	بالعدل
١٢٩	«	١٤	أبي بكر الأنباري	أبي بكر بن الأنباري
١٤١	«	٨	ابن الخطيب	ابن الخصيب
١٤٧	«	٢	بباب عبد الملك	بباب ابن عبد الملك
٢٠٥	«	٤	يَعْبَقُ	يَعْبَقَا

وهناك هنات مطبعية أخرى طفيفة لا حاجة إلى الإشارة إليها .

محقق هـذا الكتـــاب

يشكر للمطبعة الهاشمية وعمالها
ما بذلوه من جهد وعناية

المطبعـة الهاشميـة